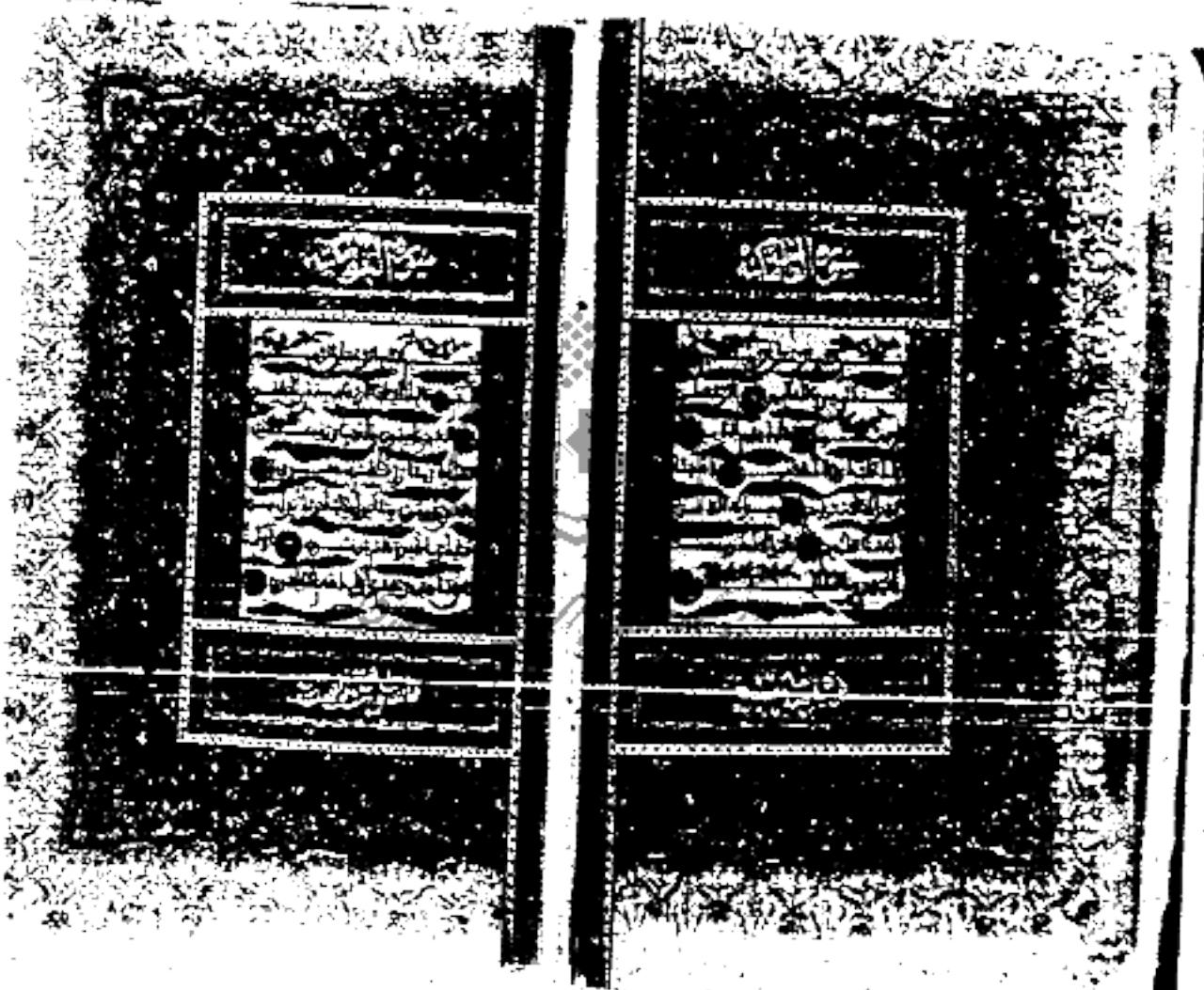


كتابات ابن الستين

٣٧٤



نفسمات و تراويف من مصحف قرآن بتصميم
الحاج زهير باش مملوك . ق ١٣ هـ / ١٩ م

1995 جانفي

عدد 13

شعبان 1415

مجلة دراسات أندلسية

مجلة عملية مختصة مُعَكَّمة في الدراسات المتعلقة بإسبانيا الإسلامية

* * *

مؤسسها ومديرها

جامعة شيخة

هيئة التحرير : محمد العلاري، فرات الدشراوي، منجي الشملي، توفيق بكار (تونس)، ميكال دي بلزا، فرنسيسكو فرانكو سانشيز (إسبانيا)، بيرنار فنسان (فرنسا)، محمد رزوق، عبد العزيز الساوري، مصطفى الغديري (المغرب)، ناصر الدين سعيدوني (الجزائر)، عبد الواحد ذئون طه، مقداد رحيم (العراق)، سحر السيد عبد العزيز سالم (مصر)، عبد الله بن علي بن ثقافان (السعودية)، جعفر ماجد، عبد السلام المساي، محمود طرشونة، حسين البغدادي، عاصم بن حمادي، محمد نجيب بن جصيع، علي حمررت، حسناء بوزينة الطرابلسي، سهام الميساوي (تونس).

تصدر المجلة مرتين كل سنة في جانفي وجنوان.

تسدد قيمة الاشتراك عن طريق حوالات بريدية في الحساب الجاري 543-94 تونس، أو بواسطة حوالات بنكية (وفي هذه الحالة يكون مقابل التحويل البنكي على حساب المشترك).

توجه المراسلات باسم مدير المجلة إلى العنوان التالي : د. جامعة شيخة.

ص.ب. رقم 51-1008 تونس - باب منارة - الجمهورية التونسية . تليفون : 227.616.

لا تلتزم المجلة بما ينشر فيها من آراء، ولا ترد الفصول المخطوطة إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.



كتابخانة ومركز طلاع رسان
بنية دايرقة المعارف الإسلامي

مجلة دراسات أندلسية

العدد الثالث عشر

1995/1415

مركز تطوير كامبيون علوم إسلامي

شماره ثبت ٣٣٩٧٧

تاريخ ١٥-٢-١٩٩٥

طبع بطبعة المغاربة للطباعة والنشر والإشهار
(١٥٠٠ نسخة)

تونس 1995

الفهرس

- * جمعة شيخة : تصدير: الشمعة السابعة (بالعربية على
اليمين وبالإسبانية على اليسار) 3
- * توفيق بكار (تونس) : جدلية المائلة والمقابلة في رسالة
«الرابع والرابع» ، لابن شهيد (الجزء الثاني) 5
- * عصمت دندش بنشرفة (المغرب) : من مظاهر الحياة الاجتماعية
بأندلس «طقوس الجنائز» 20
- * مصطفى الفديري (المغرب) : الوشحات الأندلسية بين الإبداع
والاتباع، انطلاقاً من الخرجات المطمئنة بالعبارات الأعجمية 37
- * حياة قارة (المغرب) : رسائل جديدة لأبي عبد الله بن أبي الحصال 55
- * ميكال دي بلزا : مؤلف (إسبانيا) - حسين البعقوسي : معرّب
(تونس) : الرساط والرباطات في الأسماء والأثار الإسبانية 69
- * سحر السيد عبد العزيز سالم (مصر) : دور الطراز في الأندلس في
عصر دولةبني أمية 87
- 96 * ديوان الأندلسيات :
- ساء الأندلس:محمد ساير(تونس) صبات الشترى:محيى الدين
خريف (تونس)، نب رحاب الأندلس:ملقا د رحيم (العراق)، الرئيس
في الأندلس (عنوان: كتبى كمال بياتلى (تركيا)
- 105 * المكتبة الأندلسية 1994 :
- مؤلفات الأستاذ محمد بوذينة :
أ.قصيدة البردة رمعارضاتها، بـ.القصيدة الهمزة ومعارضاتها،
جـ.القصيدة المنفرجة، دـ.القصيدة الشفاطية، هـ. مراثي المشاهير
(تقديم هيئة التحرير).
- الفنان راحرور وأثرها في الشعر الأندلسي لد. جمعة شيخة ، تقديم
د. لمحة المرني.
- ديوان الجراوي : صنعة د. علي إبراهيم كودي (تقديم هيئة التحرير).
- معجم أطباء المغرب والأندلس : جمع وتحقيق د. إبراهيم زعور، د. د.
علي أحمد (تقديم هيئة التحرير).
- الفرز الأندلسي في القرن 5 / 11، لد. علي ذياب (تقديم هيئة
التحرير).

- مجلة ترجمان (تقديم هيئة التحرير).
- صدى سوط غرناطة في الثقافة الأوروبية خلال القرنين 10 / 16 - 11 / 17. (تقديم هيئة التحرير).
- المجلة العربية للثقافة (تقديم هيئة التحرير).
- المعالس الأدبية في الأندلس، لد. عبد الله بن على بن ثقنان
(تقديم هيئة التحرير).

تصديرو الشَّمْعَةُ السَّابِعَةُ

بحلول سنة 1995 تطهى مجلتنا الفنّية شمعتها السابعة في عامها السابع. ورقم سبعة كما هو معلوم، رقم مقدس يرمز للخير والبركة من جهة، وللتّفاؤل والأمل من جهة أخرى.

ومجلتنا لن تتجاوزت سن الطفولة البريّة، فهي لم تبلغ بعد سن الفنّرة والقرّة، لذا فهي ما زالت تعتمد على ذوى النّوايا الحالمة في دعمها ومساندتها. إنّ بعض الرياح العاتية التي تهبّ من حين لاخر على سفينة الأندلسّيات، ودون سابق إنذار، قد تقلّقها ولكن لن تفترّقها. فلها من المجاذيف القوية ما يسندّها ويعيد لها توازنها، تتشقّ طريقة بكل ثقة في النفس، وإيمان في القلب، وراحة في الضمير. وما تلك المجاذيف إلا أفلام من يكتب فيها من كبار النّقاد والأساتذة والباحثين على الساحة التّونسيّة والمغاربيّة. ولم لا العربيّة والعالميّة ؟ ولهملاه، سواء أكانتوا من تونس و مصر، أم من المغرب والعراق، أم من السعودية و سوريا، أم من تركيا وإسبانيا، ثقة في مجلة « دراسات أندلسية »، وأمل في أن تبقى وتستمر خدمة للبحث العلمي في مجال العلوم الإنسانية بصفة عامة، وفي ميدان الأندلسّيات بصفة خاصة. ويشقّهم فيها ستّاقوم الأنوا، ويقانون حق المساواة بين المعلاّت العلميّة في التشجيع الأدبي والمادّي من طرف الدولة» ستتمسّك وتناضل.

ونضالها من الآن فصاعداً سيترعرّر أساساً على معاملة بخط جسور ثقافية متّيبة ومتّفحة بين تونس من جهة، ودول الضفة الشّمالية للبحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى. ولنن كانت هذه الجسور قوية وصلبة مع بعضها، فهي في حاجة إلى مزيد الدّعم مع غيرها.

علاقاتنا الثقافية مع فرنسا ممتازة وستبقى. ولا شك أن لعامل اللغة دوراً في تغيير هذه العلاقات. أليست اللغة الفرنسية هي اللغة الثانية في بلادنا، وبها تتفّتح على الثقافات الأخرى، وبها نحاول اللّحاق بركب المعاشرة لنساهم فيها ؟ والعلاقات الثقافية مع إيطاليا أمر واقع وملموس. ولنن كان استعمال اللغة الإيطالية على نطاق محدود ببلادنا، فإن ذلك لم يمنع من تعدد الأنشطة الثقافية المتّبادلة. ووسائل الإعلام السمعيّة والبصريّة بين البلدين زادت في تدعيم هذه الصلات الثقافيّة يوماً. ونرجو أن تتراصّل خدمة للتّقارب والتعاون

بين البلدين المجاورين.

أما علاقاتنا الثقافية مع إسبانيا وتركيا، فهي ما زالت في حاجة إلى التدعيم والتكتيف والتنمیع.

فبالنسبة إلى إسبانيا هناك تراث حضاري مشترك بيننا، وربما الشعب التونسي تجريا تجري في عروقه دماء أندلسية أي إسبانية. وهناك مدن تونسية ما زالت تحفظ بكثير من عاداتها وتقاليدها الأندلسية العريقة. ونحن نعتقد أن تثمين هذه العلاقات الثقافية سوف ينعكس حتما على الجانب الاقتصادي. وبه تُفتح مجالات للتعاون شئ، يرغب الطرفين التونسي والإسباني في تركيزها وإثرانها.

أما بالنسبة إلى تركيا، فهي بلد لا يمكن أن تغفل عمّا يربطنا به من علاقات وطيدة، لا في الماضي على مستوى العقيدة والتاريخ المشترك، وإنما في الحاضر على المستويين الاجتماعي والاقتصادي، إن هناك فئة من الشعب التونسي اعترفت وما زالت تعترف بأصولها التركية، لما ورثته من هذه الأصول من خصال وقيم. لهذا فإن تدعيم العلاقات الثقافية بين البلدين سينعكس إيجابياً على مبادرتين أخرى، أصبح العالم كله يضعها في المستوى الأول للعلاقات بين البلدان، وتعني المبادرتين الاقتصادية والتركية، تحكمتا في مصير العالم لعدة قرون. فلا بد حينئذ من رعاية ودعم من أطراف أخرى لتصبح هذه العلاقات في مستوى ما يطمع إليه المثقفون والجامعيون في تونس وإسبانيا وتركيا.

إن مركز الدراسات العثمانية بالجامعة بزغوان، وما يقوم به من نشاط يذكر نبيشر ، ومجلة «دراسات أندلسية» بما توفره من ساحة للبحث العلمي النزيه، لا يكفيان وحدهما لدعيم هذه العلاقات الثقافية مع أمتين عظيمتين إسبانية والتركية، تحكمتا في مصير العالم لعدة قرون. فلا بد حينئذ من رعاية ودعم من أطراف أخرى لتصبح هذه العلاقات في مستوى ما يطمع إليه المثقفون والجامعيون في تونس وإسبانيا وتركيا.

إن على العلماء عناء البحث ومشقة التنقيب للقيام بدراسات موضوعية حسب المناهج العلمية الحديثة. وعلى أصحاب السلطة والقرار أن يوفروا لهم مجال التعاون واللقاء، سواء في تونس أو إسبانيا أو تركيا لتبادل تجاربهم ومناقشة بحوثهم في مرحلة أولى، ونشرها وتوزيعها في مرحلة ثانية. فبدون لقاء مباشر بين الباحثين عن طريق عقد الندوات العلمية، أو غير مباشر عن طريق نشر بحوثهم في مجالات علمية مختصة، يصعب أن نصل إلى ما نصبو إليه من تدعيم الجانب الثقافي، وبالتالي الجانب الاقتصادي.

د. جمدة شيخة
مدير المجلة

جدلية المائلة والمقابلة في رسالة «الغواص والرَّوَابِع» الجزء الثاني⁽¹⁾

يقطن الأستاذ توفيق بكار

لغة المتنمية

هي بلا ريب لبَ الرسالة شكلاً ومعنى، وما انفكَ الكاتب منذ حين يرغُبنا فيها باللون المغريات، وهذا موعدها قد جاء. ولكنَ الدهر أتَلَفَ منها ما أتَلَفَ ولا نعلم من التَّالِفَ شيئاً. فلقد كانت هي «البعض» الذي اصطفاه لنا ابن شهيد في رسالته من عجيبة ما جرى له. في الحال مع صاحبه زهير، وإذا من هذا «البعض» لم يبق إلا البعض الذي اصطفاه لنا ابن سَامَ في «ذخِيرته» من «بدائع أدبها». وحملته أربعة فصول درين مجموع : الأول والثاني، وعفوف : الثالث والرابع، يقرانن ببينة من كلام الناقل بعد كلام الكاتب. تلك حال النص فكيف العمل ؟

[1] انظر القسم الأول في مجلة: «دراسات أندلسية»، عدد 3 / 1989 من ص 71 - 81. أما ما ورد في عدد 10 / 1993 من 5 مجلات «دراسات أندلسية» على أنه المجز، الثاني من هنا البحث الق testim، فقد أدمجه، مع تجفيف، الأستاذ بكار في هذا القسم.

ومن الخبر وحكاية مدحه معمول ذلك النسق، فما شأنهما؟

لذير ودکایتہ :

- منطق الأفعال

لهم

قد استوتها السرد في أربع جمل : فكرة فاستنداً فرحيل فقد.. وبينها في المنطق من الأسباب ما يكون بين خاطر عنَّ والشروع في تنفيذه بعد توفر شروط الإمكان.

جملة قصصية 1⁽²⁾: الفكرة

خطرت يوما ببال البطل عفوا. لا باعث لها في سياق الأحداث إلا طول «المذاكرة»، ولد في النفس شوقا إلى المشاهدة. فقد دعت كثرة الخبر إلى العيان، وشأن الاسم إذا تردد أن يرغب في رزبة الجسم. هكذا تبدو الفكرة لدى البطل : بنت ساعتها... وهي بخلد السارد منذ البدء، ولها قد مهد بكل حيلة. فإنما أفعال الأشخاص في الخبر حجاب يستر عنّا ما يقرره صاحب الخطاب، وأحكام رب القصص أبدا سرية. فيلوح في الجلاء، كمن يُخْبِرُ وهو في الخفاء، يسبر. لا إرادة لأبطاله إلا ما شاء، لهم أن يريدوا. فيخيل إلينا أنهم على ركح القصة بتحرّكـون بعلة من ذاتهم يجروّها العقل، والذي يحركـهم على وجه الحقيقة حاجة في نفس «بعقوب». على أن «يعقوبنا» في هذه الحكاية شخصان في واحد، كلاهما ابن شهيد، بطلـا يخوض غمار الواقع ورواـيا يقصـن تصنـها. وبينهما تواطـؤ في المسر على التاريـي يجعلـه حاضراـ في من منهـما المـتحكم في الأمـور، أيـهما يـليـ على الآخر وأيـهما يـقود صـاحـبهـ. فـهـذا إـلـى ذـاكـ يـرـدـهـ، وـذـاكـ إـلـى هـذا دـوالـبـكـ كالـكـورةـ بينـ أـيـديـيهـماـ يـشـارـمـانـهاـ. فـإـذـا التـفـتـناـ إـلـى السـارـدـ تـرـاءـيـ لـنـاـ كـمـنـ يـتـغـصـيـ منـ مـسـؤـلـيـةـ الأـحـدـاثـ مـتـعـلـلـاـ بـأـنـهـ يـشـارـمـانـهاـ. فـإـذـا التـفـتـناـ إـلـى السـارـدـ تـرـاءـيـ لـنـاـ كـمـنـ يـتـغـصـيـ منـ مـسـؤـلـيـةـ الأـحـدـاثـ مـتـعـلـلـاـ بـأـنـهـ يـشـارـمـانـهاـ. نـابـعـ فـيـهـاـ لـلـبـطـلـ، يـقـضـيـ آـثـارـهـ فـيـسـبـرـ خـلـفـهـ حـبـشـاـ سـارـ. أـلـبـسـ هوـ الـأـوـلـ فـيـ الزـمـانـ وـالـخـبـرـ سـابـقاـ لـلـخـطـابـ ؟ بـدـأـ اـبـنـ شـهـيدـ رـاحـلـاـ قـبـلـ أـنـ يـتـصـدـرـ حـاـكـيـاـ. وـنـوشـكـ أـنـ نـصـدـقـهـ لـوـلـاـ أـنـ تـصـنـهـ مـنـ خـيـالـ لـمـ يـقـعـ مـنـ مـرـوـيـهـ إـلـىـ أـمـاـ أـوـقـعـهـ لـنـظـرـ الرـوـاـيـةـ. فـلـاـ مـاضـيـ فـاتـ فـيـ المـقـولـ إـلـىـ أـمـاـ أـمـضـاهـ حـاضـرـ الـمـقـالـ. لـاـ شـيـ، اـنـقـضـيـ قـبـلـ سـاعـةـ السـرـدـ / وـلـاـ أـحـدـ تـقـدـمـ السـارـدـ فـيـ الـحـكاـيـةـ. مـنـ حـدـيـشـ تـولـدـ الـأـحـدـاثـ، وـيـفـعـلـهـ تـيـدـاـ فـيـ الـقـصـةـ الـأـعـالـىـ يـشـهـدـهـ مـنـ عـدـمـ وـيـدـعـيـ أـنـهـ مـتـمـتـ فـيـ مـالـفـ الـأـيـامـ. فـهـوـ الـرـاحـلـ فـيـ الـحـكاـيـةـ بـالـرـاحـلـ، يـشـهـدـهـ مـاـ يـظـهـرـ لـأـشـانـهـ لـهـ إـلـىـ الشـرـفـ إـلـىـ طـلـعـةـ الـأـعـلـامـ رـحـبـلـ وـمـنـ قـصـدـ، قـصـدـ. فـالـبـطـلـ فـيـ مـاـ يـظـهـرـ لـأـشـانـهـ لـهـ إـلـىـ الشـرـفـ إـلـىـ طـلـعـةـ الـأـعـلـامـ مـنـ شـبـاطـينـ الـأـدـبـ، وـ«ـيـعـقـوبـنـاـ»ـ لـاـ يـهـفـوـ إـلـىـ غـبـرـ شـبـاطـانـهـ: نـفـسـهـ. فـعـلـيـهـ لـاـ عـلـيـهـمـ يـقـبـلـ فـيـ الـرـحـبـلـ. فـإـنـ كـانـواـ النـوـاـيـعـ فـهـيـ نـابـغـةـ النـوـاـيـعـ. مـنـهـ يـرـدـ أـنـ يـقـضـيـ الـوـطـرـ فـيـنـشـشـيـ بـفـضـلـهـ لـمـ نـهـمـ فـيـشـبـعـ فـضـلـهـ. يـعـشـقـ ذـاتـهـ وـيـصـبـرـ إـلـىـ الـوـصـالـ وـلـاـ مـوـاعـيـدـ لـهـ إـلـىـ مـعـهـ. فـهـنـيـ التـيـ يـحـبـ أـنـ يـوـافـيـ فـيـ كـلـ لـقـاـ، مـعـ الشـعـرـ، وـالـكـتـابـ لـبـلـتـذـ بـحـسـنـهـ يـتـبـرـجـ فـيـأـلـقـ لـلـازـهـ فـيـ عـيـونـهـ إـذـ تـرـاهـاـ. فـإـنـ يـطـلـبـهـمـ فـلـيـكـوـنـواـ لـهـ كـالـرـايـاـ تـرـجـعـ إـلـيـهـ صـورـهـاـ فـيـ تـمـ الـبـهـاـ، فـيـزـهـوـ فـوـقـ زـهـوـ الـزـدـهـينـ. فـسـرـدـهـ تـسـبـبـ دـلـيـلـهـ التـشـبـيبـ، وـمـسـرـودـهـ هـيـامـ طـبـهـ الغـرامـ، تـشـبـيبـ «ـنـرجـسـ»ـ بـفـاتـنهـ وـغـرامـهـ بـجـمـالـهـ. وـعـلـىـ مـثـلـ ذـلـكـ نـلـبـكـنـ اللـقـاـ، بـعـدـ اللـقـاـ. تـلـكـ غـاـيـتـهـ مـنـ غـاـيـةـ الـرـحـلـةـ وـلـكـنـهـ دـوـنـهـ عـلـيـنـاـ يـوـمـ عـسـيـ أـنـ تـقـعـ فـيـ شـرـكـ الـوـهـمـ فـنـلـهـوـ بـاـ يـبـدـيـهـ فـيـ الـخـرـافـةـ مـنـ زـخـارـيفـ عـمـاـ يـبـطـهـ فـيـ السـرـيرـةـ مـنـ خـفـيـ الـمـأـربـ. يـخـادـعـنـاـ عـنـ الـوـجـهـ بـقـنـاعـ الـخـيـالـ، وـلـكـنـ فـرـطـ الـبـهـوـيـ فـاضـحـ، وـ«ـلـهـوـيـ النـفـوسـ

(2) سـرـدـ هـذـهـ الـعـرـةـ فـيـمـاـ يـقـيـ منـ الـبـحـثـ بـهـذـاـ الرـمـزـ «ـجـ. قـ. ٧ـ».

سريرة... قد تعلم». الأحداث هو صانعها وهو المحرّر للمسار، عليه إلى غاية الغايات يجري
مشتاقاً يسعى إلى مشتاق.

ولا نكاد نكشف عن أحابيل الرأوي حتى تأخذنا في البطل ربة. أحقاً، وهو الصبيحة، لا يعلم ما يريده به إله القصص السارد؟ أحقاً أمراً بيد راويه يقدر له الأفعال ورسم المصير ولا يدري هو ما لصانعه في غيبته من شأن به يتضيئ حتى إذا سار سار شير مخبير، يُحرّك ولا يتحرّك، ويقاد ولا يقود؟ محال؟ كيف يعقل أن يجعل أبو عامر، ولو في الخيال، ما يرومه أبو عامر لنفسه من خصيم الأغراض. التصدى يعرفه من أول الأمر، بل إليه يتدفع برأيه اندفاعاً. يقوده من جوارحه شبهة تففرز بصاحبها إلى مشتبهها. فإنه في القصة عشقه يجري به سارداً عاشقاً إلى الملعون، في كل لقاً، يجمع بينهما ليتَحد الحبُّ والمحبُّ والمحبُّ والمُحْبُوب في نسورة الوصال. ما بالغافل هو وإنما يتغافل مواطأة منه للأخر، شريكه في الخداع، وهما واحد، وله يود أن يستغفلاً نِيرينا من الولع بأفذاذ الأدب ما قد يعمينا عن وله الأديب «بالأدبية». يقودنا في العلن إلى ملاقاة جهابذة الكلام وفي السر إلى مواعيد الغرام بين المحبُّ والمحبُّة. كلامُ هو الراحل في النصّة بالسارد، يدعوه إلى العشيقة فستجيب ويقتضيه تدبّراً فبأتأتي بالحال، له عليه أن يستخلِّ فليختبر الأسباب إلى الوصال. يخادعنا هو أيضاً في ظفالعنا كالمُسَيْر يرددنا إلى خبار السارد، وإذا السارد هو المسير ينوره من أحشائه بطله الغرام، حسّبنا أن قد كشفنا عن الوجه للعناء وإذا ما خلناه وجهاً ينكش عن العناء... ولا وجه إلا وجه أبي عامر بترفق في القصة لجاجته، ويشكر نيميس بمنتضى الحال ما يناسبه من قناع تارة راوياً مريضاً متوارياً وتارة مرورياً مرانياً موارياً. وإنهما منه لکالعتلى والتهوى، هذا يزئن الأمور وذاك إلى الأمور يستبطط السبيل. وهو بينما يتنقلب، خطاً، فيزره لوح التفنّن فـ«هذا فـ«هذا من الحجّ سيل من الشهوة عارم، ومن فوق مذاهب من المنطق ترتّب للجري العلل فتحفه بدلالات الإناء.

أيّها المُسْحَكُم في الأمور ؟ لا هذا ولا ذاك. كلامها وهم والحقيقة أبو عامر. فبِهِ القصَّ
والقاصِّ والمقصوص، وهو العشق والمعشوق والعاشق. «يعتوبنا» من أمكر اليعاقبة وأشدّهم على
القارئ اختبالاً. والقارئ، اغترَّ أم لم يغترَّ، هو الغائم. نبأَيَ القناعين لتبه الكاتب فهو في شغف،
له لهف الشارد إلى ما في طوابيا الرحلة المُوْعَدَة من رائع المغامرات، خوارق فاتنة وأخطار تهول.
فأن يسافر المرء إلى ما وراء الدنيا أمر مُغْبَبٍ. وأشدّ منه إعجاباً أن تشوّهه من مج giolel العوالم
أرض الجن، أبطالنا في الخرافات من عهد الصبا. ولم تكن تحلو لنا الحكاية إلا إذا تطابرت فيها
المُرْدَة بين جبل قاف وجزر الواقع، وصالت العقارب صولتها فسألي من صور التناسخ ما
يسحر، ومن أنواع الشرور ما ترتعد له الفرائص... إلى ساعة الخلاص وتأتي لا رب فيها. كُنَّا
نتحبّ أن نخاف، وكان الخوف مجاناً، ما دمنا في واقعنا وما دامت في الخرافية وبيننا جدار سميك
وإن كُنَّا نعتقد أنه قد ينشقّ عنها في الظلمات فتظللُ من الفلول علينا أشباحها وتعيث.

أشبهها كانت «بأشرطة الرعب» رأيناها بعين الخيال قبل أن نطالعنا مصورة على شاشات السينما.
فإلى الشّياطين إذن ! ... ولكن ...

ج.ق. 2: الاستئذان

... ولكن لأرض الجن حدوداً، ولحدودها حرمة. فهي من عالم الغيب ودونها حجب لا تحرق إلا بإذن آذن. فلا بد لداخلها من شفيع كفيل، ومع الشفيع الكفيل، من ... تأشيرة كشأن ابن القارب بعد حين في دخول الجنان. أما الشفيع فحاضر وأمام التأشيرة فبحاجة فيها إلى طلب لدى أولي الأمر من الشّياطين، السلطة. أي نعم السلطة أبداً في كل مكان وزمان من دنيا الحقيقة وحتى في عالم الخيال. فلا مفر من الاصطدام بالحدود ولو في التنقل الخرافي بين الأرضين، ولا مفر من الجواز، بل من مكس أحياناً يؤدي على الخروج قبل الدخول 451 ديناراً مركرياً في «بلاد الضربي»، وأمر، أن المرة من الجن ... والأمر يكأن يتحسن علينا ديارنا بلا استئذان ويعيشون فيها بأمان. ولكن قانون الأقويا، يغزون ولا يغزوون، وحكم الشّياطين من الجنة والناس. فويل للمغلوب ! ونحن الغلوب. (وهدى الله علينا !).

ويعرض الاستئذان المشرع من أوله فيخر الرحلة إلى أن يُبتَغى الطلب. يعلق أمرها بين يسر وعسر بل بين إمكان ومحال. لفترة انتظار «هيششكوكية» قبل «هتشتكوك». هم أن يتحقق لها الفوز خوفاً على الرحلة من الخطر، وللهذا بالخصوص، «فللرعدة» في القصص حلواتها من اللطاعب بعواطفنا بين غصرة الكيس وروح الانفراج بالمشتبه بهنай إذا دنا فتظل على قلق نرقه حتى إذا كدنا نقطع منه لطول الانتظار هجم علينا بلا إنذار. تعودناها للعبة على مر النصوص وما زالت إلى اليوم تأخذنا. ولكن الوقفة لم تطل وليتها طالت فارتजتنا ويرجفتنا استمعنا ! أجل ليستها طالت فتتسع شيخ الشّياطين مقدار ما يتقلّى البطل بين رجا، وبأس ... ونشكل، وعن حبرتنا نسلّى وهو إلى حضرة الشّيطان يتوسل بقصائد المدح أفالين كحال ابن شهيد في الحياة مع أمراً، عصره، وحال ابن القارب في «الغرران» مع رضوان خازن الجنان. ولكن السارد متبعجل إلى نفسه لا يطبق عنها صبراً فيختصر إليها طريق السرد اختصاراً معرضاً عن دعوات الفن إلى التعرّج في المسار.

«في لمح من البصر» في الخبر، وبعد سظر، في الخطاب، جا، الجواب، يمثل هذه السرعة المدهشة آذن سلطان الجن لفتى الإنس بالعيور. حاكم لميرالي ؟ بل محكوم تلقى تعليماته من فوق، من ثدن السارد صاحب القرار. فهو الذي رخص للبطل في الدخول ... وما كان له أن يرفض، لأنّه، وإن طالت بيده، ليس بطلق النفوذ، وإنما هو مقيد في «دولة» القصص «ب-Constitution» العقل. فلو أبي لامتنعت الرحلة وانتفت القصة، وهذا محال. لا يمكن له أن يريد الشيء، وضده، فكان من

«المنطق» إذن أن يشاء. ومن أين له، مع ذلك، أن يعصي شهورته؟ ولكنَّ مُطالب لها بالتجزير فبرر وعجل نجعل من العسر سراً. ومن لم يعجزه الخيال عن السفر إلى أرض الجن، لا يعجزه عن تخييل الجواز. وأما لماذا استوجب في المكابية الاستثناء ولم يكن له في مجري الأحداث أدنى تأثير؟ فطاعة منه ملوك الزَّمان. يعطيهم «كار اسلطة» فيقرّ لهم بوجوب الجواز على كل مسافر وأن كان الرحيل في أبعاد الخيال. ثم وقد أرضاهم بجراً عليهم في القصة فيعلوهم كإله القدير وبأنص السلطان، عبده الشيطان، شيخ الشياطين، أن ياذن للزائِر بالوفود. وكيف لا ينصاع له والأمر هر الزائز؟ آمر مأسور بحكمه الهوى، سارد في الحب سادر.

رُفعت من أمام المسافر الخواجز وتنفتح الحدود فلم يبق إلا الرحيل... فليستعدَ له القارئ؟

ج.ق. 3: الوحيل

له في حكم العادة مستلزمات : مطية ورفيق، أو دليل، وزاد. وكلها مدخلات كامنة في الحديث، وفي السرد متوقّعات، معلومة الرؤائف من قبل مجھولة الأداء. أدوار مرسومة تختلف باختلاف اللاعبين وأسلوبهم في التسلل. تصارييف كلّه التتصص مدارها فوارق الكيف. فهو تنوع بلا حدٍ على عدد محدود من النماذج ، ولعب على ثوابت منتهيات بما لا ينتهي من التغيرات.



- المطية

ما كان الرحيل إلى ما وراء الحجب كإنتقالة من صراحته إلى إخفاقه من طلاق العجب. بضربيه من عصا السحر وثب البطل من أرض الإنسان إلى أرض الجنان. طار به إليها زهير على صهوة جرواده، ونوّا كان لهذا الحصان جناحان لربما ادعى بعض المتعصبين علينا من غلاة الغربيين أنه نسخة منقوله عن «بيغاس» اليونان، فرس الآلهة في ميثولوجيتهم القديمة ورمز الخطوط الجوية الفرنسية في ميثولوجية اليوم. ولكنه «أدهم» العربي من عتاق خيولنا الشعرية. إلى أولى المعلمات برقي تسبّه العريق وإن انحدر اسمه من حصان عترة. وما فتئنا من ذلك الوقت نسمعه يركض في الأبيات ويصلّل معنى وحساً:

مِكْرٌ مِفْرٌ مُدْبِرٌ مُقْبِلٌ مَعًا (أمزق التيس)

رَوْنَدٌ تَصَاهَلٌ بِالْعَرَاقِ جِيَادُنَا (بشّار)

رجاله في الركضِ رجلُ واليدان يد... . (المتنبي)

فلم يزل الشاعر القديم يتطiple في «رحيله» عبر القصيدة من غرض إلى غرض حتى طار

به ابن شهيد خارج الأبيات في رحيل جديد من قصيدة إلى قصيدة، يركبها إلى الشاعر بعد الشاعر وعلى مثله من الجناد يلقاه «الفرسان» منهم، فيحضر في النص ما حضروا، في زي الشياطين، وإنهم غابوا عنه غاب، فهو من الشعر آت إلى هذه القصة، وفيها إلى الشعر صائر، فربما يلازم في المنشور بعد المنظوم، من أول الدهر يعود في فضاء القراءة وعلى متنه الشاعر وهو ذاته يعود به في رحاب القصص، نهل كان لولاه تكون القصيدة كما كانت وتكون هذه المكابدة كما هي ؟ بطل من أبطال الأدب كذلك هو، ولم يُشدْ بفضله على قدر ما يستحق، ألا لفته إليه من الدارسين !

ولا علاقة له، على خلاف ما قيل، ببراق الرسول في قصة المعراج، فذاك من وحي الدين وهذا من همس الشياطين، ما رفعته في السما، نسمحة من روح القدس بل نسمحة من سحر الجنمال كالي أطارات المردة وحتى البساط ببعض العباد في حكايات ألف ليلة وليلة، فهم جمبعا «صواريختنا» في الفضاء، قبل الصواريخت، ترثنا بها بين العوالم ولنا فيها بلا نزاع بعض الريادة، لولا أنها مراكب وهم لا مراكب علم من جنس ما نرى اليوم عند الغربيين، فتلك لا جود لنا فيها ولا سجاد، فلكل أمة خبال، لهم الخلاق ولنا الملائكة، فلتدعهم إذن في صحوتهم إلى كواكبهم الصناعية يغزون بها الأرض والسماء، ويستدرون علينا المتأذى، ولنبيق في حلمنا مع عفاريتنا السحرية تلهو عن صدق الرؤية بخلب الرؤيا، و... .

ناموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا يوم لا يرحمك يا رصافي !!

مركز تحقيق كافويت لعلوم مسلمي

- الدليل :

طار الحصان فانعكست في القصة وجهة الأحداث، وصارت من أرضنا إلى أرض الجان، انتقل مسرحها من الواقع إلى ما فوق فقارتنا الطبيعية ونراقبها إلى خوارق الخرافة، وتغيرت بين اللاعبين الأدوار، كان البطل يستقدم صاحبه إليه من أرضه ليستلهم من سحره شعراء، وهذا هو يقدم معه إليها لبياهي أساسين الشياطين بسحر أشعاره، «شب عمرو عن الطوق» و«وافق شن العثم طبة»، انتهى عهد التلقين والتكتوين وحان وقت الشهادة له بالكتفاة ... بل بالتبشير ... بل بالتفوق على العالمين، ولبقنع زهير بعد دور النجي الموجي بدور الرفيق الدليل، فقد كان يهديه سجبل الشعر فحسبه الآن أن يهديه السبيل إلى الشعراء، في شخص توابعهم من الشياطين.

- الزاد

وعدته في رحيله إليهم ما حفظه من دواوينهم فاحتذاه في ديوانه. فهو المسافر زاده الأدب، في صدره يحمله، ويلسانه ينشره. لا مساع له غيره، منه يأخذ ويعطي على سبيل المبادلة، والماثلة والمقابلة: قصيدة بقصيدة، ورسالة برسالة، ونقداً بنقد. وهل إلى غير ملكة الأدب كان ذا الرحيل؟ فلا بضاعة في أسواقها تروج إلا طرائف من شعر ونشر، ولا مال يكتسب إلا الذكر بين الأمجاد من أسانيد البيان.

طار الحصان فكانت خارقة توقعنا منها أن تذهب بنا شوطاً بعيداً في عالم الغرابة، ولكن ما أسهل ما كان السفر وما أسرع! مسافة هائلة في السماء بين عالميْن تقطع في سطرين بعض سطرين ولا من مدوخات إلا «الدُّوَّ بَعْدَ الدُّوَّ»؟ فهذا أقل من القليل في حق العجائب. حرمتنا السارد من فرحة كانت تكون مدهشة. متوجّل كالعادة إلى غرضه ولا غرض له إلا نفسه الفاتنة، نهي العجب الأكبر. يسرع إلى ملاقاتها ولا يحب أن يلهي عنها في الطريق شيء، ويلهينا.

فالقصد القصد!

بـ.ق. 4 : القصد :

حلَّ الزائر على الحصان الطائر بأرض الشياطين، فإلى أيهم يتجه؟ عليه أن يخطُّ للمسير خطه وأن يرتّب عليه المراحل مخططاً مخططاً. نرسم طريقه بين سؤال وجواب: «من تريد أن تبدأ؟» . «الخطباء أولى بالتقديم ولكنني إلى الشعراً، أشوق». الحديث بين اثنين والمتكلِّم واحد. هو ابن شهيد يحاور نفسه من وراء حجاب لم ينطق بلسان بعد لسان. فهو الملكي السؤال وهو المعطى الجواب. ألمهم في الكفاية تحقيق محيط سلطنة في الحرفة أن يخلِّصه بطلاء. ذاك اختيار حتى يريح نفسه، إن اختار، من حرج يدرسه. ولم يصرّح به بل لمح إبهام بذكرة في الجواب. واللبيب تكفيه الإشارة. فما غاب عنه، وكيف يغيب؟، أن الخطباء ظائفان: بلغاً، «الحرفة» من جمهور الأدباء، ويبلغاء الخطبة من خاصة الساسة. كتاب البيان وكتاب السلطان. وفرق عنده في الاعتبار بين الصنفين. فإنما الأولى زمرة من الأقلام المحبرة لا شوكة لهم إلا ذهاب اللسان ولهم فيهم خصوم، لا سيما ذلك اللجوء الذي لا يكفي عنه طرفة عين. فلا ضير إذن أن يؤخرهم إلى ساعتهم في السجال. وأمام الآخر فصنوة من الأدمغة المدببة لشئون الدولة. ولا يجوز، رغم أهل صداره، أن يؤخرهم في من آخر. ولا هو يستطيع، حتى من باب المجاملة، أن يقدمهم في الكتابة. فلا محل لهم فيها لأنهم خارج النزاع أو فوقه. بل لهم في نفسه بالشأة والخبرة مهابة. يُعجب بكمائهم وقدر جلال ما يضطلعون به من مهنة التسبير لدواويب الحكم. يُعرف وهو الوزير ابن الوزير ابن الوزير ما خطورة الكتاب في نظام الملك:

«لو شهد الماحظ سهلاً يخادع للرشيد ملكاً، ويدبر له حرباً، ويعاني له إطفاء، جمرة فتنة،

فسلطان فهو خارج من نفوذ إلى نفوذ، من متنع إلى متاح. يعلم بذلك بعدها، الملك يتربع على عرشه ويتصدر. ويصعب أن تأتيه البيعة أولاً من الشعراء. قدّمهم لأنّهم المقدّمون في هذا الأمر. فإنّهم وإن كانوا في دولة السياسة دون الكتاب رتبة لفوقهم في دولة الأدب قدرها. فالشعر «ديوان العرب»، و«فضيلتهم» بين الأمم، على ما قال المحافظ أستاذه. وإلى عزّه تطبع به النفس. وقد فاته أن يكون في دواوين الملوك كاتبها وزيراً ولن يغدوه أن يكون في ملكة الشعر الأمير. والشعر بعد أولى به وهو البطال، وأونق لطبيعته وهو الظرف، وأونق بنياده وهو الماجن لا شأن له، والعهد فتنة دائمة، إلا كأس ولحن وشادن. أخفّ عليه كلفة من خدمة السلطان، وأسمح له بخلع العذار وترك الوتار مع الندامى على الذمّ، وأوتار وقيان، وأس وريحان. ولتذهب الأندلس بين زقّ وعود، كما يذهب اليوم كلّ شيء بين خمر وزمر: ويسكري وعروادة، أو بيرة ومزود، وشبّة وحشيشة حتى مطلع الفجر.

فليبدأ إذن بالشعراء، فهم أمجاد من عهد «قفنا نبك»، مضوا وأورثوه ملكاً يثبت فيه سلطانه وتباركه له عنهم توابعهم وتبسط عليه من ظلّهم ما يزيده نوراً على نور. ولا مانع بعد ذلك من أن يضمّ إليهم الخطباء، حتى يكتمل النصاب ويتم التنصيب.

وكلّ هذا في الحقيقة تبرير للترتيب في الخبر، وقد جلونا خلقياته. تبرير من جهة البطل وإن لم يكن من ابن شهيد إلا قناعاً. وللسارد، وهو القناع الثاني، منطق آخر يتبعه ولا ينكشف كاملاً إلا مع توالي الأطوار، وممرداً في الحكاية. يعني ابن شهيد أنه ينشئ في الرسالة أدباً يريد فيه. وفيه. أن يفتح خصوصه من الحال، وأنه لن ينفوذ عليهم ما لم يفلح قبل ذلك في صياغة النص. فإنه لا يُخْرِج حجّة له في ما يجريه معهم من السجال والقارئ هو الحكم. وعليه أن يستهويه بأمهّر أساليب الفصّ حتى ينحرّ له عليهم. فالفن إذن هو أول ما يستوجب منه - حاكياً. أن يتخّبِر النظام، نظام السرد لا نظام الرحلة في الحكاية، حتى يكفل لنصّه ما يتّبعني له من إتقان الصنع. فالمجمال في الشكل مبدؤه حتى الرصف لوحدات التركيب. وكان الأمر على مشئّه يهون لو وقف عند ضرورة الاستجابة لمتضيّبات حسن التأليف. ولكنه، إلى ذلك، يمسّ على نحو ما رأينا بناموس الدولة، ولا بدّ من تحري الأمر. فالسارد يواجه كالبطل قضية الاختبار إلا أنّ الحال قد صار بين السياسة والقصّ، لا النفس كما كان. وبلباقه الآخر يفضّلها مؤثراً نظام الفنان على نظام السلطان. فلا سباب تركيبة لهم بنا، النصّ، لا لأسباب شخصية لهم مسار الرحلة، تقدم الشعراء. برأسه خطّة ينتذها ولها أول وثان. نظامها الزمان، زمان الأدب في التاريخ لا زمان السفر في الخرافات. فبني البدء كان الشعر والبداوة قبل أن يكون النثر والمحضارة، فيمضي بنا على خطّ التاريخ مطرداً من جاهلية العرب في صحرائهم إلى أندلسهم في عهدبني عامر، وهو عصر أبي عامر، ذاك منطقه. وله في نكتة الجواب نكتة يلاعب بها قرأه مع مداراة السلطان. فلابدّ أن يشدّهم إلى الحكاية بالطف حيل الحكى. فيبح لهم، كالصامت، بما سيكون من فصول الرواية.

وهما إثنان عاجل كأنه قد حل، وأجل لا ندري متى ساعته. أسلوب من السرد فيه تذوق وتعليق يتغطّاه معنا، وبه يودّ على الوجهين أن يلذنا، فما لنا من متعتين من بدّ. متعة القريب يدهمنا بلا إمهال فنقاء بنفس معرضة للطوارئ، ومتعة بعيد معلقاً بأفق القصة، وبغواصه يشوقنا على طول المسافة. فللأول دهشة المفاجئ يأخذنا على غير استعداد من عارض إلى عارض؛ وللثاني فتنة المرقوب بعد ويسوف فيبدّو وينأ حاضراً غائباً. والتقديم والتأخير في القصّ كالتقديم والتأخير في النحو لغرض أبداً. خيار البطل هو خيار السارد، هذا لشهوة النفس، وذاك لحاجة الفن. لكلّ منها وظيفته يزدّبها في تناسقٍ دقيق مع الآخر، وعلى نحو شيق من المائلة والمقابلة. يفترقان في الدور ويتلقّيان في خدمة النصّ. يفعل البطل في الحكاية الأعاجيب، وي فعل السارد أعاجيب الحكاية. واحد يسافر بنا في النصوص، ومن النصوص يؤلف الآخر نصاً. أدباً على الأدب. وكلّاهما ذاك الرجل، كلّاهما ابن شهيد بين الواقع والخيال، والتاريخ والخرافة. فهو في الحبّة مفرد وفي النص متعدد : واحد وإثنان، ووجه وقناعان، وحقيقة ورهان. أحسن ما في هذه القصّة التطابق في الهوية، على اختلاف الدور، بين البطل والراوي وبينهما والكاتب، وهو سر التوافق العجيب في الحكاية بين شكلها ومعناها.

يُمشي الشخصان في القصّة جنباً جنباً، والبد في اليد. يرتّب المسافر ما شاء من المراحل، فيصنّف السارد ما دبر من النصوص. و يجعل الرواية لوكهم في الاعتبار ثانيةم في الماز فيرسم لنا الرأوي برنامج القصّ، فصلان أول وشيك وإنما متراوح في الزمان : الشّعراً، ثم الخطباً.

وإنما هذا نصف الرحلة في ما تبقى من حكايتها. ومجلس النقد؟ وموقف التحكيم؟ لا ذكر لهما، بما التفسير؟ قصاراً إن نجدهما أفرولاً يعن في الأمر يمكن. فلا علامة، أو في معدوم النصّ، تعرّفنا بما التعليل لهذا المزيد. إن هي إلا واؤ بعد واو تعطف في النصّ لاحقاً على سابق، فتضمّن كلاماً من الفصلين السابعين إلى الذي يليه من قبل على وجه من «الوصل» المجرد ينتظمها بسلك الزمان ولا يشّه من المنطق بسبب.

. أنهو شي، من أمر البطل، عرضت له في الرحلة عوارض فاستجاب لها وكان التمدّيد؟ أقسم عليه مضيّوه، وقد بهرّهم بأدبه، إلا ما أطال الزيارة (وزيارة الشياطين ثلاثة نصوص على الأقل)؟ أم طاب له المقام فرأى وقد قضى حاجته أن يمتنع نفسه بحرّ السباحة؟ الثابت أن الأمر لم يكن بفكرة البطل فهل كان برأس السارد؟ أهي مخابات من الرحلة أدخلها لنا ليفاجئنا بها في الإيّان؟ أم هي شهادته بلغت الحدّ المرسوم ولم تقنع فانطلقت به، على سبيل الإشّباع، إلى منتهاتها؟ أم هو، آخر الأمر، شيء، من قبل الكاتب دعّته دواعي الكتابة إلى الاستزادة فلبّاها؟ فالقصّ تركبـه أحـبـانا فـيرـكبـكـ، وـتـرـيدـ أنـ تـسـبـ، وجـهـتكـ إـلـىـ ماـ يـوـافـقـ غـرـضـكـ فـيـأـسـ إـلـاـ أنـ يـسـيرـكـ وجـهـتكـ إـلـىـ ماـ يـرـضـيـ نـظـامـهـ منـ قـامـ المـادـةـ وـتـنـاسـقـ الـأـجـزـاءـ، أـكـانـ يـكـونـ لـلـحـكاـيـةـ مـثـلـ

زونتها لو وقفت الرحلة عند ذلك المتصف ؟ بل انظر إليها بشطريها كيف تعادلت أقسامها
وتناظرت أولاً بأخر، في المكان مشرقاً بغرب، وفي الزَّمان سلفاً بخلف، وفي الذَّات إنساناً
بحيوان، وفي العصَفات مِقراًلاً ببُواكِل، ودرر ببعز.

أني كان التفسير نهي فصول القصَّة وأخْوار الرَّحْلة. أربعة بين حالٌ ومنتظر، ومتوقع
وطارى، تتعاقب على خطِّ السَّرَد وخطِّ السِّرود حسب ترتيب مدروس. وفيها يُوغل بالبطل بين
الشَّياطين - وينا - النَّصَّ.

الأطوار وروايتها :

من طرافة هذه الرحلة أنها تجري في حيزين معاً : حيز المكان تنتلا من موضع إلى آخر،
وحيز البيان تجولاً عبر التصوص. مداها إثنان: أرض الجن وأرض الفن، والأولى تعلة للثانية
ومداعاة إليها. فمن المشهود إلى المنطوق، ومن المرئي إلى السمعي ترددنا القصَّة في مواقفها،
فيستفتح كل موضع فيها على مواضيع الأدب، فلندخل إلى المكان ولنعبر منه إلى البيان.

أرض الجن :

«أرض لا كأرضاً» لها «جر لا كجورنا» خرافية هي أيضاً هذه الأرض. يرجع أصلها في
التاريخ إلى «وادي عبير». فكرة نجحت فيها بدماغ الماجاهلين. اشتئروا من كل شاعر شيطاناً له
يلهمه وأسكنوه غياهباً ذلك الغور. واعجب لها من تكرر لوحاتها إلَيْهم المخيال فصارت هي التي
توحي إليهم بالخيال ! ولأندرى ما الذي أغراهم بها : تجاذب الجنس أم تداعي الجوار. وبين الشاعر
والساحر من الصلة ما يؤكده تقارب الحروف في الأسمين. كلاماً ينسى، بغيب الأثار. وبين
الوسواس الجنسي والساحر من الناس نسب ما بين الملقن والمعبر. يبدأ الشيطان في همس وبردة
الترجمان بجهر اللسان. وهذا في الإغواء سوء، كلَّ منهما شرير يخلب اللب بفاتن الكلام. شعر
فسر، وسر سحر، وسحر فشر، وشر فشيطان. سلسلة محكمة الحلقات من التداعي بالصور
والمعنى قد تكون عتيدت في رأس الأولين بين لغة القوافي وألسنة الجنان. غير أن الفكرة ظلت
على مرَّ القرون وهما في الخاطر لم يشخصها في الأدب مشخص بالألوان والأشكال. تطبع
الشياطين من قاع الأرض فتزور أصحابها، وما عن لأبي منهم أن ينزل إليها فيزورها في واديهما.
فضلَ أرضًا بكرًا لم تلتجئها قريحة مغامر حتى جاء أبو عامر فاقتصر أسرارها وراد الماجاهل. فهو
كشافها وأول من وضع لنا خريطة لها تصور المشاهد والمعالم. وإذا نحن معه في رحلته بها من
«واد» إلى «جبل» إلى «مرج»، وبين «دوخ» و«غيضة»، و«قصر» و«دير». لا عجب في أرض

العجبات هذه. بل كأرضنا هذه أرض التي لا كأرضنا. فجانتها، لولا «صبيحات منكرة» و«بعض المخارات المساجدة»، كالإنسان، وحيوانها، إلا النطق، حيوان، ومازها ما، ونباتها نبات. فحتى المسافات فيها بالفراشخ. لا هول فيها ولا فزع. لا يعلوها ثمار ولا تستعر بها نار. بأربع العبر يعيق جوها لا يأخذه الكبريت وأدخنه النار. كلها خصب وأنس كأنها قطعة من أندلس. فصر بالكاتب دونها الخيال؟ فإن كان فله بعض العذر. لقد ورد في القرآن من صفة الجنة والنار ما ألم به المعرفي في رسالته والمسudi في قصصه، ولم يرد فيه من صفة أرض الجن ما قد يلهم أنها عاصم. بقى الغراف. فهلاً وقد استعار منه جواه، الطائر استعار أيضاً وحشة المكان وغرائب الصور والأشكال؟ فلعل جانه من المؤمنة، نساكاً كلها من ولد إيليس. أم تراها صورة أخرى من لعبة الماثلة والمقابلة؟ يوهننا الكاتب أنه يحدثنا عن «الدنيا الأخرى»، وعن بلاده يحدثنا. يغرننا عنها مقدار ما نفتر وملامع في الأصل هي هي، كما فعل الدواعي «بلاد الظرفني» جعلها في كوكب المريخ نابية، وهي تونس بأهلها دائبة، مهما يكن الأمر فليس المقصود بالرحلة المكان وطبيعته، وإنما ذلك مناظر يخطئها السرد بسرعة ليبلغ غايته. ففي كل موضع لها، أو منتدى، ومجلس أو محفل ولا حدث فيها جمباً إلا عن منظوم الكلام ومنتوره. فإذا التstell في المكان جولة بين فنون القول من شعر وخطابة ونقد إلى ما على حدودها مما تشبة بها وليس منها من ألوان السخف والحمامة. فالسباحة في غياض الملة نزهة في رياض الأدب. فذاك مطلوب الكاتب وحقيقة الرحلة.

أرض الفن : مركز تحقيق كافية في علوم إسلامي

دنيا غير الدنيا، عمارها النصوص. عواصمها عُصم القصائد وبيونها الأبيات. فلا جبال إلا الأعلام الرؤاسخ، ولا مروج إلا بُسط الصحفانف ترويها من زلال الكلام أنهصار السطور. فالألفاظ أشجارها والمعاني الشمار. ولا من نور يفرج في رياضها إلا «زهر الأدب». فإن يكن فيها من عجب فالقول المفلق والفقير الحسان، ومن سحر فسحر البيان. مملكة الأدب !

على هذا الوجه تتجلّى حقيقة النظام. لا في ما نراه من المشاهد بل في ما نسمعه من الشواهد تتواجه أو تتعارض فتحاول. فهي لحمة القصة وسداها، النسيج والبطانة. هي الصحف في الصحف، والأحداث في الأحداث. وهل يقع في هذه المكابيات إلا النصوص توارد على نحو من الترتيب الضمني.

لقد يبدو من ظاهر الرحلة أن لا منطق يتحكم في توالى أطوارها إلا منطق «الشهوة تُبدي فتراضي» : «... ولكنني إلى الشعراء، أشرق» . «ملينا إلى الخطباء، فقد قضيت وطراً من الشعراء» . «كفاني من رأيت أصرف وجه قصدنا إلى ...» أو منطق الصدفة : «تذاكريت يوماً مع

«وَهِيَ...» . «وَحَفَرْتُ أَنَا أَيْضًا وَزَهِيرُ مَجْلِسًا مِنْ مَجَالِسِ الْجَنِّ...» . «وَمَشَتْ يَوْمًا أَنَا وَزَهِيرُ بِأَرْضِ الْجَنِّ أَيْضًا». فَكَانَ الْقَصَّةُ تَخْلُو مِنْ كُلَّ تَرْكِيبٍ عَضْرِيٍّ، مَجْرِدٌ فَصُولٌ مَتَّلِعَةٌ تَرْتَبِطُ بِسِنْكِ الْبَطْلِ الْوَاحِدِ وَأَدْوَاتِ الْعَطْفِ، وَيَتَلَاقِيَّةٌ تَسْحَرُكَ فِيهَا الْأَحْدَادُ، تَلَقَّاَيَّةُ الْهُوَى وَإِتْفَاقُ الْأَشْبَاءِ، وَلَا قَصْدٌ إِلَّا مَا تَشَرِّعُ إِنْيَهُ النَّفْسُ بِعْفُورِهَا وَمَا يَوَاتِي مِنْ نُرُصِ الدَّهْرِ. وَمَا بَنْطَقَ الرَّغْبَةِ وَمَحْضُ الصَّدْفَةِ تَسْبِيرُ الْأَحْدَادِ، بَلْ بِتَدْبِيرٍ خَفِيٍّ يُوزَعُ وَحدَاتُهَا حَسْبَ نَظَامٍ دَقِيقٍ يَسْجُلُ فِي مَظَاهِرِ شَشَّيِّ مَتَّفَقَةِ الْأَنْجَادِ وَالْمَعْنَىِ.

أولها المكان. فمن الشرق تبدأ الرحلة وإلى المغرب تنتهي. تتجه من «الجزرية» إلى «الجزرية»، من وطن انعرب الأول إلى منتشرهم وراء «العدوة»، عبر العراق والشام وحتى مصر. بل تنطلق من «سقوط الثوى بين الدخول فحومل» إلى ما حوله من الفيافي. ثم تعرج على بعض القصور ببغداد و«دير حنة بذات الأكبراج»، ومنه تذهب إلى بادية الشام فحلب، من حلب إلى صحراء سيناء فالفسطاط. وأخيراً تطوي الطريق طيّاً رأساً إلى قرطبة. فيختصر مكان الرحلة في حيزٍ، بلاد العرب «من الخليج إلى المحيط». كما يختصر زمانها مديد الخطب من المعاهلية إلى عهد العماريين، مروراً بدوليتيبني أميّة وهي العباس. فأرض الجن دنيا تداني فيها المكان وتداخل الزمان. ولا مكان إلا أوطان الأدب ولا زمان إلا عصوره. فبحسب الشعراء، والكتاب تواتت محطّات الرحلة وأيامها. فإن كان في هذه القصبة من سفرٍ ففي «ديوان العرب» و«معجم أدبائهم»... وفي «ديوان ابن شهيد» و«معجم» رسائله. فعلى حافتي طريقها تصطفَ التصوص متوازية متناظرة، متماثلة متنقابلة، تصوص الفطاحل وبعض الأضاحل وتصوص البطل، وكلها تحبيه وتزكيه، بالإيجاب أو السلب، عظيمها بعن العظام، وأعظمها بين الأقزام. فإنما غاية الرحلة هو «هذا» في محسنٍ، «والآن» في عصراً، بل كذلك كان من أول الرحلة، فلم يقطع بما فيها إلا مسافة تنسه. من ذاته إنما ذاته يذهب بما في السفر منه شاعراً إليه كاتباً ثم إليه ناقداً فمحكاً.

نهي فصل أربعة تشدّها من تحت صور شبيه من المفترق الباطن :

منطق الفنون

فالألان، وهو المجموعان، في الإبداع نثراً بعد شعر، والثانيان، وهما المفروقان، في النقد، موازنة قبل تهجين.

شطران متسبّيان عَدَّاً متعارضان معنى. عبرهما ينتقل بنا النص من فنٍ إلى فن، من صناعة الكلام إلى الكلام على الكلام. من تعاطي البلاغة «بشقّها» إلى النظر في درجاتها من الأحسن إلى الأسوأ. ومع تسلسل الأنواع على هذا النسق المعمول يرقى البطل مراقي المجد.

بدأ بالاحتكام إلى الكبار في ما أنشأ حتى إذا أجازوه انتلب عليهم معيّنا في ما أنشأوا.
ثم وقد بَرَزَ انتصب حاكماً على الصغار فسامهُم من لاذع سخريته ما مسخهم مسخاً هذا حماراً
ذاك يغلا وتلك إوزة.

تلمذ حتى تفذه، وتفذ فتجهذ فحبذ ونبذ ويد الأعلام كلهم. ثم من عليه نظر إلى «البهائم» فردها إلى سخفها من بول وروث وهواء.

منطق الأعراض

أولها مدر، وثانيها كالعتاب، وأخرها هجا،

ومن غرض إلى غرض ينزل البطل درجة في سلم اعتباره لأدب غيره من الأدباء، أثني ثم سنتين وفي الآخر أختي.

فيفيد الاعجاب يأتى الحساب، ويأتى بعد الحساب العقاب.



منطق الأساليب

من عرض كالمعارضة بقول الكلام الى الاعتراض. ويشتد الاعتراض فينتهي إلى التعرِض، صعوباً في الذهن من التوقيير الى التعبير ومن التعبير الى التحقيق، وحدوراً في المكان من المشتري الى المُغَرِّب، وفي المقام من الفحول الى «البغال».

مدم فصرح، ثم قدس فلمع، ثم شتم فيهم (تعصية ومسخ).

سار في المقال من الحقيقة إلى المجاز، من قرب العبارة إلى لطف الإشارة إلى بعد الاستعارة تقريراً ثم كتابة ثم تشكلاً (مجازاً ومتكلماً).

نَسْتَوِيَاتٌ عَدَّةٌ مُتَعَاوِذَةٌ تَشَكَّلُ نَظَامُ الرَّحْلَةِ فِي أَرْضِ الْفَنِّ، وَكُلُّهَا مُتَفَقَّهَةُ الْمَعْنَى : لَيْسَ
غَوْقَ بَطْلَنَا مِنْ مَزِيدٍ . شَهَدَ لَهُ بِالْتَّفْوِيقِ فَرْسَانُ الْكَلَامِ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرَقِ عَلَى تَعْاقِبِ الْأَصْحَارِ، وَلَا
بَنَكَرَ عَلَيْهِ الْبَوْمَ فَضْلَهُ إِلَّا بَغْلُ بَوَّالٍ أَوْ حَمَارٌ رَوَاثٌ أَوْ إِبْرَوَةٌ حَمْقَا، مِنْ أَعْلَامِ الْبَلَاهَةِ : الْبَلَاهَةُ

للتَّحْلِيلِ يَقْسِمُ

٢١٣

من مظاهر الحياة الاجتماعية بالأندلس: «طقوس الجنائز»

دكتورة عصمت دندش بتشريفة

كلية الآداب - الرباط - المغرب

محطات ثلاث تعدّ أهم الأحداث في حياة الإنسان : الميلاد، والزواج، والموت، وإن كان الميلاد والموت لا دخل للإنسان فيما ، ومع ذلك تكثر الكتابات حول هذه الأحداث، ولذلك تختلف وتتناوت من حدث لآخر، فالميلاد بداية الحياة، والزواج مرحلة النضج والسعادة وإنجاب الذرية، بينما الموت نهاية المطاف الذي لا بد منه.

وترتبط بكل من هذه المناسبات مظاهر اجتماعية واحتفالات المناسبات السعيدة أو الحزينة، ولاشك أن هذه الاحتفالات تصعبها كثيرون من العادات والتقاليد والبدع التي قد تختلف في كثيرون أو قليل من بلد إلى آخر، والمجتمع الأنجلوسي امتاز ببعض السمات والخصوصيات التي لازمته في معظم فتراته، نظرا إلى تعدد أجناسه وداخلها نتيجة التزاج وانصهار هذه الأجناس وذريعنها في المجتمع الإسلامي، مع احتفاظها بكثير من عاداتها وتقاليدها قبل الإسلام. كما كان لوجود عدد من التنصاري واليهود داخل هذا المجتمع ما جعله مجتمعاً تسمى في تقاليد الإسلامية وتحتفل بين ما هو إسلامي وغير إسلامي.

فإذا أخذنا طقوس الجنائز في الأندلس، فهذا لا يعني أنه يختلف في كثير من العادات والتقاليد عنه في أنحاء شتى من العالم الإسلامي، ولكن مع ذلك له بعض الخصوصيات.

ومن الملاحظ في الفتح الإسلامي تحبس مكان يكون مقبرة للمسلمين. وبعد فتح الأندلس أمر الخليفة عيسى بن عبد العزيز والي الأندلس السعدي بن مالك الخولاني بتحبس قطع من أراضي الخمس لتكون متاجر للمسلمين. كما كان بعض المسلمين يحبس قطعة أرض أو فدان أو أكثر لشيارة، وفتح استغلال هذه الأقباس في غير ما حبست له، وكانت لهذه الأقباس احترامها وعدم المساس بها، حتى ولو هجرت المقبرة ولم يعد يدفن فيها. ومع ذلك فهناك بعض التجاوزات وعدم احترام ذلك باغتصاب بعض القبور، ولكنها حالات فردية ونادرة الحدوث، فقد ذكر ابن حيان

ما فعلته صنهاجة بجثة أحدهم الذي قتله باديس بن حبّوس «إذ خرجوا بالجلة على نعش للمقبرة فوجدوا قبرا قد احتضر لست من أهل البلد، فصبوا صاحبهم الصنهاجي فيه وواروه من غير غسل ولا كفن ولا صلاة، فعجب الناس من سجيتهم في الاغتصاب حتى الموتى في قبورهم»⁽¹⁾. والمقابر عادة ما تقام خارج المدينة أو خارج أسوارها بجوار أحد أبوابها، ومن خلال المصادر تعرّفنا على عدد كبير من المقابر المشهورة بالأندلس. ففي قرطبة مقبرة أم سلمة وابن عباس، وقرش، والريض العتبقة والجديدة، وروضة الصلحا، ومقبرة متاحة، وموزمرة، وجلال، وابن عباس الوزير وغيرها، وفي إشبيلية مقبرة مسكة، والنخيل، والفحارين، وروضة سوق البقر خارج باب قرمونة أحد أبواب إشبيلية، ومقبرة الصلحا، خارج باب مقرانة، وكدية الخيل خارج إشبيلية.

وفي غرناطة مقبرة باب فنتالة، وجبلة باب الفخارين في أسفل السفح تجاه القصور الحكيمية، ومقبرة الصلحا.

وفي المرية مقبرة الآخرين بالريض، ومقبرة باب بجامة، ومقبرة الحوض،

وفي بلنسية مقبرة باب الحنش، وباب بستانة، وباب الخبر والمصلى.

وفي عربسية مقبرة ابن فرج بالريض سرحان، ومقبرة باب أحمد والنخيل.

ولكن كثيراً ما تتسع المدينة وتتشدّد خارج أسوارها، وبذلك تصبح بعض من هذه المقابر داخل المدينة فيختارها الناس والعجلات والجرارات اختصاراً للطريق، كما حدث في مقبرة متاحة، بل كانت جنائز النصارى تمر منها مما استدعى دخُل قاضي المدينة ومحاسبها لمنع هذه الأمور التي تخلّ بحرمة الموتى⁽²⁾. بل يمكن أن تشقّارب مقبرة المسلمين مع أخرى لأهل الذمة إذ كانت مقبرة جلال لا يفصلها عن مقبرة اليهود إلى الطريق السالك بجوف قرطبة⁽³⁾. وأحياناً تصب بعض القنوات في المقابر مما يتسبّب في إتلافها، كما حدث لقنوات... رفعت بشأنها شكاية للأمير، فأمر القاضي والفقها، بالانتقال والمعاينة وإعلامه بصحة الشكوى ومدى التلف الذي لحق بالمقبرة، فكان الرأي وجوب ردم هذه القنوات لকفّ أذاها عن إتلاف المقابر وصيانة حرمة الأموات بهما طال عيدهما، إذ لا تقادم ولا تهانٍ في تلك الحرمة⁽⁴⁾.

(1) ابن الخطيب : الإحاطة ج. 1 ص 466.

(2) محمد عبد الوهاب خلأ : وثائق في أحكام قضا ، أهل الذمة في الأندلس ص 412.

(3) ابن بشكوال : الصلة ج 1 رقم 675 ص 295.

(4) خلأ : ج.س. ص 405.

ولم يأنف بعضهم أن تكون سكناه بجوار المقبرة تطلّ عليها، فقد كان لنصر الخصيّ قصر يحيطه إلى جانب مقابر الريض، ويطلّ أيضاً على الوادي الكبير⁽⁵⁾. وكان يطيب للفقيه أبو وهب عبد الأعلى الإقامة بجنته بتدريب مقبرة قرشن، وكان يعتمرها بيده ويقابل بها طلبة العلم⁽⁶⁾. والقبور في بداية النفع كانت بسيطة البنيان ترتفع قليلاً عن الأرض، وكان القضاة والمحاسبون يأمرن حشاري القبور بتعويقها قدرًا معقولاً بحيث لا تظهر رواجها ولا يتمكّن السَّباع والكلاب من نبشها، وأن يستر ما خرج من عظام الموتى في التَّراب ولا يترك ظاهراً⁽⁷⁾. وتشير المشكّلة عندما يكون الدُّفن في وقت الشَّتاء، وتكون الأمطار غزيرة فتدخل المياه للقبر الذي حفر، مما يستدعي نزع المياه وفرش القبر بالرِّمال⁽⁸⁾.

وتمرر الزَّمن واسع العمران والرَّحاء بالأندلس، طال التَّغيير كلَّ مناحي الحياة، حتى الموت ومراسم الجنازة والقبور، ولم يستثن منها طبقة الخاصة أو العامة، فتبعد الأندلسيون في بناء القبور والتَّباب والانتفاف والروضات عليها، وتنتشروا في زخرفتها ونقشها، ويلفت أرجوها في دولة شرナطة النَّصرية. ولكن هذا لم يمنع بعض أولئك الأمراء من العلماء في كل عصور الأندلس من الإشارة إلى السقوط من أن يأمرروا ببنائها وتغييرها وحطّ سقنهما وما على من حيطانها، ولا يترك منها إلا ما أباحه أحد العلم من الجدران اليسيرة ليتميز به قبور الأهلين والعشائر. وقد حفظت كتب التَّوازل وكتب الحسبة مثل هذه الأوصي، كما كان يلاحظ في المبني المطلة على المقبرة إلا تكون لها نوافذ أو أبواب تفتح أو تطلّ عليها، ويزمر أصحابها بإزالة المخالفات أو سد الكوى والتواند المطلة على التَّبور حتى لا تكشف النساء، وينبع بناء الخوابي على القبور أو السكني بها، أو تحجّل الباعدة في طرقها، وشمّه أولئك الأمراء على المحاسب بأن يهرّ في اليوم مرتين لمراقبة الشَّباب العاثر الذي يعرض النساء داخل أتنبيه المقابر خصوصاً أيام الصيف عند خلاء الطرق في القبابات⁽⁹⁾.

٢

(5) ابن حبان: المتبصّر بحقن مكي ص 12.

(6) ابن الأبار: التكميلة ج 2 رقم 1863 ص 751.

(7) عياض: نزال الأحكام تحقّق د. بنشرفة ص 301، ابن رشد: الفتاوى رقم 1242، ابن عبدون رسالة في القضاة والحسنة ص 27.

(8) ابن عبد الملك: الذليل والتكميلة سفر 6 رقم 440 ص 166.

(9) المعدن السابق.

وأخذ أهل الأندلس شواهد للقبور من الرخام الفاخر المصقول الذي كانت تشتهر به المرية وغيرها من مدن الأندلس، ونقشوا عليه اسم المتوفى وتاريخ وفاته، وتباري بعضهم في كتابة المرائي وذكر فضائل الميت والبالغة في ذكر خصاله وأفعاله، وكانت تتسم بالطول أو القصر على حسب مكانة صاحب القبر، وهناك أمثلة كثيرة لذلك منها على سبيل المثال ما كتب على قبر ملك غرناطة النصري إسماعيل بن فرج، فقد كتب على لوحة من الرخام ببازا، رأسه «هذا قبر السلطان الشهيد نجاح الأنصار، وناصر ملة المصطفى المختار، ومحبي سبيل آبائه الأنصار، الإمام العادل الهمام الباسل، صاحب الحرب والمحراب، الطاهر الأنساب والأثواب، أسعد الملوك دولة، وأمضاهم في ذات الله صولة، سيف الجهاد ونور البلاد».

وفي الجهة الأخرى من اللوح تصدّدة طريلة من نظم ابن الجبار⁽¹⁰⁾ يمثل الأشعار التي كتبت على قبر النصّور بن أبي عامر (الكامل) :

أشاره تسنيبك عن أوصافه حتى كأنك بالعيان تسراء

قالله لا يأتي الزمان بشيء أبدا ولا يحمي الثغور سواه⁽¹¹⁾

ومن الناس من كان ينظم لنفسه بعض الأبيات، ويوصي بأن تكتب على قبره بعد وفاته، وهناك نماذج كثيرة، فقد نظم ابن زهر الحفيظ أبياناً ووصى أن تكتب على قبره، وفيها إشارة إلى طبعه ومعالجته للناس (المقارب) :

سأمل بفضلك يا مولانا كافيلا لاعظ عـكـانـدـاـ لـعـعـنـاـ إـلـيـهـ

تراب الضريح على صفحتي كأنـيـ لـمـ أـمـشـ يومـاـ عـلـيـهـ

أدوـيـ الأنـامـ حـسـنـارـ المـسـنـونـ فـهـاـ أـنـاـ ثـدـ صـرـتـ رـهـنـاـ لـدـيـهـ⁽¹²⁾

وأمر الوزير الكاتب أبي يكر بن معاور يكتب هذه الأبيات على قبره وهي له (الحفيظ) :

أيها الواقف اعتبرا بقىري استمع فيه قول عظي الرّمّيم

أودعوني بطن الضريح وخافوا من ذنوب كلسوها بأديسي

قلت لا تجزعوا على قباني حسن الظن بالمرزوق الرحيم

(10) ابن الخطيب : الإحاطة مجلد 1 ص 401، 402.

(11) المزي : نفع الطيب ج 3 ص 189.

(12) المزي : نفع الطيب، ج. 3 ص 434.

وَدَعْنِي بِهَا اكْتَبْتُ رِهْنًا غَلَقَ الرَّهْنَ عَنِّي مَوْلَى كَرِيمٍ⁽¹³⁾

ونظم ابن الزفاق هذه الأبيات ويقال أنها مكتوبة على قبره (الطويل) :

أَخْوَانَا وَالْمَوْتُ قَدْ حَالَ دُونَا
وَلِلْمَوْتِ حَكْمٌ نَافِذٌ فِي الْحَالَاتِ
سَبِّتُكُمْ لِلْمَوْتِ وَالْعُمَرِ طَبَّهُ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُلُّ لَا يُبَدِّلُ لَا يُحِقِّي
بَعِيشِكُمْ أَوْ بِاَخْطَجَاعِي نِي الشُّرِّي
أَلْمَ تَكُ فِي صُفْرٍ مِنَ الْعِيشِ رَائِقٌ
فَمِنْ مَرَّبِي قَلِيلٌ مُضِرٌ لِي مُتَرَحِّمًا⁽¹⁴⁾

رأوصي أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بكتابه هذه الأبيات على قبره (الطويل) :

سَكَنْتُكَ يَا دَارَ الْفَناءِ مُصَدَّقًا
بَأَنِي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ
وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنِي صَانِسٌ
إِلَى عَادِلٍ فِي الْحَكْمِ لَيْسَ يَجُورُ
فِي الْبَلِيْتِ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عَنْهَا
وَزَادِي قَلِيلٌ وَالذُّنُوبُ كَثِيرٌ
فَيَانُ أَلَّهُ مُجْزِي بِذَنْبِي فَيَانِي
شَرُّ عَقَابِ الْمُذَنبِينَ جَدِيدٌ
وَإِنْ يَكُ عَلَرُ مِنْ شَئِيْهِ وَمُفْضِلٌ

دلبس أهل الأندلس البياض في المناسبات الحزينة بعكس أهل المشرق الذين يلبسون
السوداء، وقد قال بعضهم في هذا المعنى (الراين) :

أَلَا يَا أَهْلَ أَنْدَلُسِ فَقْطِنَتُمْ
بَلْطِنِكُمْ إِلَى أَمْرٍ عَجِيبٍ
لَبْسَتُمْ فِي مَآتِكُمْ بِيَاضًا
فَجَتَتُمْ مِنْهُ فَيْ زِيْغُرِيبٍ
وَلَا حَزْنٌ أَشَدُّ مِنَ الْمُشَبِّبِ⁽¹⁵⁾

(13) ن.م. ج. 3 ص 331، ج 4 ص 342.

(14) المقرئ : نفح الطيب : 340/4، ديوان ابن الزفاق ص 205.

(15) المقرئ: نفح الطيب: 440/3، الشريشي: المقامات: 49/1.

وتحتختلف المراسيم الشَّبعة في الوفاة من حالة إلى أخرى، خصوصاً إذا كان الميت مغتصباً عليه من السلطان أو بالأحرى قُتل بأمره أو بيده، وكثيراً ما تجد إشارات كثيرة في المصادر عن قيام بعض أولي الأمر بقتل مُنافسيهم أو الخارجين عليهم، أو حتى أبناءهم بأيديهم، وتكون سمة الوحشية ظاهرة في الانتقام؛ فقد أمر المستنصر المُوحدي بضرب ابن غالب الداني ألف سوط وصلبه، فضرب بإشبيلية خمسماة وفاضت روحه إلا أنهم استمرّوا بضرره بقيمة الألف حتى تناهى لحمه، ثم صُلب فرثاه ابنه بقصيدة منها (البسيط) :

جَهَلًا لِمُثْلِكِكَ أَنْ يَسْكُنِي لِمَا فَدَرَ
وَأَنْ يَقُولَ أَسْأَى يَا لِيَشَهَ قُبْرَا
فَاضْتَ دَمْوَعُكَ أَنْ قَامُوا بِأَعْظَمِهِ
وَقَدْ تَطَابَرَ عَنِ الْحَسْنِ وَانْتَشَرَا

ومنها :

صَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ مَا كَانَ حَمْلَهَا
مِنَ الْأَيَادِي ثَمَجَتْ شَلَوَةُ ضَجَراً
وَعَزَّ جَسْمُكَ أَنْ يُحَظِّي بِهِ كَفْنٌ
فَمَا تَسْرِيَلَ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ⁽¹⁶⁾

وقام عي بن حمود بقتل الخليفة المستعين بالله سليمان بن الحكم صبراً بيده بفرطه
يدعوى أخيه بزم هشام المُؤيد، وقال عندما هم يقتله : «لا يقتل الزَّلطان إلا الزَّلطان يعني السُّلطان». ثم أمر بقتل أخيه وأباه وقطعت رؤوس الثلاثة في طست وأخرجت من القصر إلى المحلة
ينادي عليها هذه جزاً من قتل هشام. ثم ردّت الرؤوس الثلاثة وغسلت وطُبِّيت وأمر بدفنها مع أجسادها⁽¹⁷⁾».

وأمر المغضّد خادمين من قتيانه بقتل الفقيه أبي حفص عمر الهاوزني، ولكنّهما أشفقا من سوء فعله، وفراً لا يباليان بغضب المغضّد أو سروره، فقام إليه بنفسه وبإثر قتله بيده، ثم أمر بدفنه بشيابه دون غسل أو جنازة.

(16) ن.م. ص 310.

(17) ابن الخطيب: الإحاطة، 274/4.

وإذا كانت المثلة بجثث الموتى أو يُبَشِّرُ تبُورُ المسلمين من قبل النصارى قد أصبحت عادةً مُشيَّعةً من قبْلِهم، فإنَّ هذا كان من غير المقبول من قبل المسلمين في أيِّ عصرٍ من العصور مهما كان الدافع. ففي الإسلام نهي عن المثلة وأكيد على احترام الميت، ومع ذلك فكان يحدث في بعض الأحيان المثلة بجثث الخصوم أو يُبَشِّرُ تبُورُهم تشفيًا وحقدًا، فعندما أوقع ابن حفصون بمسار بن حمدون 277 / 890 وكان علىٰه من أعلام العرب وصاحب لواه، تيس بالأندلس جي، بجثة سوار إلى البيرة لعرفتها، فذكر أن الشكالى من نسائها قطعن لحمه مرقا، وأكلته حتى لما نالهنَّ من الشكل إغراقا في شهوة الشئي⁽¹⁸⁾.

وكان المعتمد بتلذذ برؤية رؤوس ضحاياه التي احتفظ بها بطريقة تمنعها من التحلل. ووضع في أذن كلَّ رأس صاحبها، فلما نزع المرابطون إشبيلية دفعوا بهذه الرؤوس إلى أهلها لدفنتها⁽¹⁹⁾.

واعتاد أهل الأندلس في حالة الوفاة الطبيعية أن ينعوا الميت بأن يصعد أحد الناس إلى صومعة المسجد الجامع أو الأعظم في ربع النهار ويتراً شيئاً من القرآن، ويدرك مثل ما يفعل المؤذن بالليل، ثم يدور في الصومعة ويقول فلان مات وجنائزه في كذا، فأشهدوا جنازته، كما يسير شخص في أسواق المدينة وطرقها يعلن عن الوفاة ومكان الجنائزه⁽²⁰⁾.

ويجهز الميت للدفن، وكان الذي يقوم بهذا انعمل مستأجرًا أو متطرعاً، فكان يستأجر من يقوم بالغسل والتكمين لقاء أجراً معين يتفق عليه، وشرط فيه أن يكون على معرفة بخطوات الغسل، نكثروا ما يكون الغاسل يجهلاً بما هو متبع، أو يهمل أو يسيء عن بعضها، فكان يستحب أن يقف معه أحد قرابة الميت أو أحد أصدقائه من العلماء⁽²¹⁾.

وفي حالة وفاة أحد العلماء، كثيراً ما يقوم بعض من رفاقه بهذا العمل متطرعاً، أو يكون المشوقى قد أوصى بأن يقوم بهذه المهمة أحداً بعينه. فعندما توفي أبو عبد الله محمد بن نوح

(18) ن.م. ج. 3 ص 331.

(19) ابن الأبار : الحلة السرا، ج. 2 ص 50.

(20) ابن الحاج : المدخل ج. 2 ص 226، ابن رشد، البيان والتحصيل، الروشى: المعمار: ج 1 ص 317، ابن عبد الرزوف: أداب الخبسة ص ص 69 - 76.

(21) ابن الحاج : م.س. ج. 3 / 254.

وكان من كبار المقربين، تولى غسله المؤذن أبو عبد الله بن الرقان، وتولى صب الماء عليه أبو الحسن بن خيرة الخطيب، وأبن واجب وأبو الربيع بن سالم⁽²²⁾.

واستعمل في تكفين الميت أثواب القطن أو الكتان أو الحرير تباها وفخرًا، وكان بعض العلماء يوصي بأن يكتفى في ثلاثة أثواب ليس فيها تمييز ولا عمامه⁽²³⁾. وكان بعض الأمهات يتولون تجهيز الميت خصوصا إذا كان من الفقهاء والعلماء ورجالات الدولة احتراما وتقديرا. فبرسلون إلى ذويهم الأكفان والخيوط⁽²⁴⁾.

ويوضع الميت بعد ذلك على سرير أو محفة.

ومن البدع التي شاعت وأصبحت من أعراضهم في بعض الأوساط أنهم بعد غسل الميت وتكفينه يأتون به إلى حضرة الرجال إن كان رجلا أو إلى النساء إن كانت إمرأة فيلقي المعزون بالمال فوق⁽²⁵⁾. بعد ذلك يحمل السرير أو المحفة الشيعون من الأهل والأصدقاء أو نمرساته وخدمه⁽²⁶⁾. وكان يحدث عند حمل الميت الجهر بالتهليل والتصلية والتيسير والتنذير، ونحو ذلك على صوت واحد⁽²⁷⁾.

وعند خروج الميت من منزله ينبعرون الصبيحة العظيمة نساء ورجالا، وقد يختلطون ويسمعون ذلك وداعا للميت وقباما بعده⁽²⁸⁾. وإذا كان الشوقي فتى أو فتاة لم يتزوج كانوا يودعونه بالزغاريد⁽²⁹⁾.

وقد يتبع الجنائز الشموع والنساء، والنوانح حاسرات الرأس مكسوفات الوجه، مما يستدعي في كثير من الحالات تدخل القضاة والمحاسبين لمنعهم من السير وراء الجنائز، ونجز من يشجعهن على ذلك⁽³⁰⁾.

(22) ابن عبد الملك : م.س. سفر 6، رقم 346 ص 137، ابن بشكوال : الصلة ج 1 رقم 557 ص 240.

(23) ابن بشكوال : الصلة ج 1 رقم 557 ص 240.

(24) عباس : المدارك ج 4 رقم 467.

(25) ابن الحاج : م.س. ج 3 ص 258.

(26) ابن الخطيب : م.س. ج 3 ص 344.

(27) الوئرسى : م.س. ج 1 ص 313.

(28) ابن الحاج : م.س. ج 3 ص 257.

(29) الوئرسى : م.س. ج 1 ص 344.

(30) السنطى : رسالة في الحمية ص 48.

وقد ذكر أن القاضي أبا بكر بن يعيش كان يتصدى بنفسه لمنع النساء من الخروج من باب طليطلة خلف الجنائز، وكان هذا العمل أحد الأسباب التي أدت إلى كراهية الناس له وأدت إلى عزله⁽³¹⁾.

ويختلف موكب الجنازة بحسب مكانة المتوفى، فإن كان من أكابر الدولة والعلماء والفقها أو الصالحة، كثيراً ما كان الأمراء لا يتخلفون عن تشبيع الجنازة، فكانوا يسيرون على أقدامهم إكباراً واحتراماً لشخصية المتوفى، وربما ذهب راكباً وترجل أمام قبره، ويقف إلى أن يورى محمد تربيها بقدرها وإشادة بيقا، الحرمة على خلفه⁽³²⁾.

ولم يقتصر تشبيع النساء، لرجالات الدولة بل تعداً إلى بعض نساء الخاصة، فقد مثى الأمير الحكم بن هشام في جنازة زوجة الفقيه طالوت بن عبد الجبار راجلاً إلى مقبرة الريض، ثم انصرف معه إلى منزله مشاركة منه في حزن الفقيه على زوجته. وعندما تُؤتيت أم الخليفة هشام المؤيد السيدة صبح سنة 388 / 998 احتفل المنصور بن أبي عامر في جنازتها ومشى فيها حانياً وبالغة في الحزن، وصلّى عليها ووزع خمسة دينار على قبرها⁽³³⁾.

وكانت الجنائز التي يشيّعها النساء، وأصحاب السلطان فرصة لأن يتصدّى لهم المظلومون لعرض مظلومتهم⁽³⁴⁾.

ويزدحم الناس خاصةً وعمامةً لشهادة جنائز المتصوفة الذين شهر عنهم الصلاح وإجابة الدعوة، ويتنافسون على حمل نعشة على الأكتاف⁽³⁵⁾. وربما مزقوه أو كسروه تبركاً به⁽³⁶⁾. أما جنازة الشيخ الصوفي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بالصناع (ت. 749 / 1348) «آخذة في الاحتفال، قدم لها العبد، ونفر لها الناس من كل أوب، وجيء بسريره تلوح

(31) عياض : م.س.ج. 4 ص 755.

(32) انظر على سبيل المثال: الذيل والتكميل، سفر 6، رقم 424 ص 159، رقم 684 ص 236، 705 ص 233، 252، ص 318، 306، ص 316، 1021 ص 380، 1263، 489، التكلمة رقم 162، الإحاطة ج 4 ص 80، 107، 110.

(33) خلائق : م.س. ص 90.

(34) المقري : م.س.ج. 3 ص 37.

(35) ابن عبد الملك : م.س. سفره رقم 1021 ص 380.

(36) ابن الأبار : التكلمة ج. 2، رقم 1671 ص 652.

عليه العناية وتحفه الآتياع المقتاتون من حل أموالهم وأيديهم من شيخ البدية، فتولوا مواراته
تعلو الأصوات حوله ببعض أذكاره⁽³⁷⁾.

ويصف ابن الخطيب جنازة الصرافي أبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري المعروف
بالساحلي بأنها «كانت مشهودة تزاحم الناس على نعشة، وتناولوه تمزيقا على عادتهم من ارتكاب
القحة الباردة في مسلح حسن الظن»⁽³⁸⁾.

ولم يقتصر الأمر على صلحا، الرجال بل كانت جنازة بعض النساء، اللائي عرف عنهن
الصلاح يتزاحم عليهما الشيعة من الرجال والنساء، والصبيان. فقد وصف ابن بشكوك جنازة
فاطمة أخت النبي يوسف بن يحيى المغامي بأنه «لم ير على نعش امرأة قط ما رزى على
نشتها»⁽³⁹⁾.

وكثيرا ما كان يصلى على المتوفى أحد من أفراد أسرته، خاصة إذا كانت أسرة من
العلماء، كأن يصلى الابن على الأب أو العكس، أو يصلى الأخ على أخيه. وهناك شواهد كثيرة
على ذلك⁽⁴⁰⁾. ومنهم من كان يوصي بأن يصلى عليه شخص بعيته، مثل وصيّة أبي القاسم
محمد بن عبد العزيز بن عتاب الذي وصيّ بأن يصلى عليه صهره القاضي أبو عبد الله بن أصبغ،
وهناك أمثلة كثيرة⁽⁴¹⁾.

ويتم الدفن عادة في مقابر المدينة إلا إذا أوصى المتوفى بغير ذلك بأن يدفن مثلا داخل
مسجد بناء، أو في داره، فقد أعد أبو الوليد سعد السعود بن عفير الأموي قبرا لنفسه بجوفي
داره، وأوصى أن يدفن فيه. وكان ~~يقع فهو يكتفي بالسلام والقراءة~~ فبيه حتى توفي⁽⁴²⁾ (ت 588 /
1192) وأوصي الوزير أبو عامر بن شهيد بأن يدفن بجنب صديقه أبي الوليد الزجاجي⁽⁴³⁾.

(37) ابن الخطيب : م.س. ج. 3 ص 230.

(38) ن.م. ص 241.

(39) ابن شكوك: المصالة: ج 2، ص 350.

(40) على سبيل المثال صلاة قاضي المساعدة ابن رشد على ابنه وصلاة صفوان بن إدريس على ابنه وصلاة أبي القاسم بن بشكوك على أخيه أبي عبد الله.

(41) ابن عبد الملك : م.س. سفر 6 رقم 1046 ، ص 391.

(42) ابن عبد الملك : م.س. سفر 4 رقم 44 ص 18.

(43) ابن سام : الذخيرة، القسم الأول مجلد 1 ص 333.

وغالباً ما يدفن العلماء والصالحون بجوار بعضهم إجلالاً لتقديرهم، أو يختار بعض الناس الدفن بجوارهم لما ورد «**فِي التَّرِفِ لَا يُشْتَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**»، فقد ذكر ابن عبد الملك أنَّ أبا الحسن محمد بن عبد العزيز الشَّعْبُوري (ت 597 / 1200) دُفِنَ بمقبرة أم مسلمة على قارعة الطريق إِذَا
تَبَرَّ هارون بن سالم وحيث تَبَرَّ ابن حبيب وابن وضاح... قدس الله تراثهم⁽⁴⁴⁾.

وفي كثير من الأحيان يلحد العلماء أقرانهم أو شيوخهم، فعندما مات أبو عبد الله محمد ابن قاسم المعروف بالقطان الحمد في تبره الخطيب القاضي أَبْرَ عبد الله الطنجالي⁽⁴⁵⁾، وقام أبو الحسن بن خيرة الخطيب بجماعٍ بمناسبة الصلاة على ابن نوح وإقباره بمقبرة باب الحنش، ونزل معينا له نفي إقباره الأستاذ أبو عبد الله بن أبي القاء⁽⁴⁶⁾.

وفي حالة الأوئنة أو الشَّفاعة والفووضى كثيرة ما يخاف الناس من الاشتراك في صلاة الجنازة، كما حدث أثنا، الفتنة البربرية في قرطبة التي نقى فيها كثير من القضاة حفظهم، وتُدفن الجثث جماعياً وفي بعض الأحيان تترك في العرا، لا تجد من يدفنه مدة⁽⁴⁷⁾.
وإذا مررت الجنازة أمام أحد، عليه أن يقف إذا كان جالساً ويقول: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون ويدعو للميت بالرحمة والغفران، ومن الناس إذا مررت أمامه جنازة حركت فيه موهبته الشعرية فترتجف بعضها من نظمه قال أَبْرَ الحسن الإلَيْسِي⁽⁴⁸⁾ عندما مررت أمامه جنازة أحد أصدقائه (الطويل):

تَرَ لِذَاتِي وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدَةٍ كَمْ فِي عَالَمٍ أَتَى بِكُلِّكُلْمَ غَيْرُ خَالِدٍ
وَأَحَلَّ مُوتَاهُمْ وَأَشْهَدَ دَفْنَهُمْ كَائِنَ بَعْدَ عَنْهُمْ غَيْرُ شَاهِدٍ
فَهَا أَنَا فِي عَلَيِ الْبَسْمِ وَجْهَالَتِي كُمْسِتِيقْظِيرَسُو بِقَلْمَةِ رَاقِدٍ

(44) ابن عبد الملك : م.س.، سفر 6 رقم 1037، ج 287، ابن الأبار : م.س. ج 2 رقم 1436.

(45) ابن الخطيب : م.س. ج 3 ص 242.

(46) ابن عبد الملك : م.س. سفر 6 رقم 346 ص 137.

(47) ابن بشكراو : م.س. ج 1 رقم 571 ص 246، رقم 580 ص 254.

(48) المقرئ : م.س. ج 3 ص 189.

وفي نفس السياق قال أبو إسحق الفزاروي⁽⁴⁹⁾ (البسيط):

إِلَّا الَّتِي كَانَتْ تَبْلُلُ الْمَوْتَ بِأَنْبَهَا
وَإِنْ بَنَاهَا بَشَرٌ ، خَابَ بِأَنْبَهَا
وَدُورَنَا لِغَرَابِ الدَّهْرِ تَبْلُلُهَا
وَلِلْبَلْى بَرَّا لِأَرْوَاحَ بَارِسَهَا
لَا دَارَ لِلْمَرِ ، بَعْدَ الْمَوْتِ يَسْكُنُهَا
فَإِنْ بَنَاهَا بَخِيرٌ ، طَابَ مَسْكُنُهَا
أَمْوَالُنَا لِذَوِي الْبَرَاتِ تَجْمَعُهَا
وَلِلْحَسْوَفِ تُرْبَى كُلُّ مُرْضِسَةٍ

ومن المفارقات في الجناز التي لا تتناسب مع جدية الموقف أنَّ أَنَاسًا يسبقون الجنائز ويسجلون لانتظارها، ويتحدّثون في التّجارات والصّناع وأمور الدّينا، بل بعضهم يفعل ذلك والمبيت يغيب، وبعضهم يتضايقون حين يتكلّمون وأخرون يتسمّون، وآخرون يستمعون منشغلين عما يلزم من إظهار الحزن والاعتبار⁽⁵⁰⁾. خرج القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى بن يحيى ابن يحيى إلى حضور جنازة، وكان لرجل من إخوانه متزلّ بقرب مقبرة قريش، فعزّم عليه في الميل إليه، فنزل وأحضر طعاماً وغشت جارية (الكاملا):

طَابَتْ بِطَبَبِ لِثَائِلِ الْأَقْدَامِ رَزَّهَتْ بِحَمْرَةِ وَجْهِكَ النَّفَاحِ
وَإِذَا الرَّبِيعُ تَسْمَتْ أَرْوَاحَهُمْ بِعَرْفِ نَسِيمِكَ الْأَرْوَاحِ
وَإِذَا الْمَنَادِسُ أَبْسَتْ ظَلَمَّاً هُنَّا كَمُؤْتَمِرٍ فِي نَصِبَاءِ وَجْهِكَ الْدَّجْنِ مَصْبَاحِ

فكتّبها القاضي طرباً على ظهر يده. قال الرأوي فلقد رأيته بكراً على الجنازة والأبيان

على ظهر يده⁽⁵¹⁾.

وفي بعض الأحيان يفاجأ بأنَّ تابوت القبر ليس على قباس الميت مما يستدعي حشره أو خروجه عدة مرات حتى يسوئ على قده. يقول ابن عبدون «فإنَّي رأيت مبتداً قد أخرج من قبره ثلث مرات . ورأيت آخر يدخل فيه بالضغط»⁽⁵²⁾.

(49) ابن الأبار : م.س. ج 2 رقم 1929 ص 786.

(50) ابن عبد الرؤوف رسالة نبى الحب ص 76، ابن الحاج : م.س. ج. 3 ص 269.

(51) المثري : م.س. ج. 3 ص 564.

(52) ابن عبدون : م.س. ص 48.

بعد الدُّنْيَ يلتقي أهل الميت العزاء عند المقبرة أو في متزليهم أو ترسل تعزية إذا تعلّم الحضور، وهناك حاجة كثيرة لذلك. وذكر ابن بِسَامٍ أنَّ الوزير أبو الوليد بن زيدون عندما توفيت ابنته وبعد الفراغ من دفنتها وقت النَّاسِ عند منصرفهم من الجنائز ليتشَكَّرُ لهم، فقيل له ما أعاد في ذلك البرقة عبارة قالها لأحد، فإذا كان في تلك الجنائز على الأقلَّ ألف رئيس ممَّن يتعمَّن عليه أن يتشَكَّرَ له ويحضر إلى ذلك، فبحاجة في هذا المقام إلى ألف عبارة مضمونها الشَّكر، وهذا كثير إلى الغاية، لا سيَّما من محزون فقد قطعة من كيده⁽⁵³⁾.

وتحفل المصادر الأدبية وغيرها بما يسمى أدب التَّعازِي، فشهر عن كثير من كتاب الأندلس البراعة فيه، أمثال ابن أبي الحصال وأبن الحافظ ابن عبد البر وغيرهم كثير، كما لا يخلو ديوان من دواوين شعراً، الأندلس أو غيرهم من أشعار تيلت في العزاء أو الرثاء، وأصدقه ما نظم ممَّن له صلة بالمتوفى، فإنه نابع من قلب محزون لفقد حبيب أو صديق⁽⁵⁴⁾.

ويقام المأتم سبعة أيام يزار القبر نيباً كلَّ صباح ويتراً عليه القرآن⁽⁵⁵⁾. وقد ذكر أنَّ أبا بكر محمد بن محرز المعروف بالنتائجش بلغ به الحزن على فقد زوجته بنت الحضرمي مبلغًا كبيراً، فكان يذهب إلى قبرها ويرتجل قطعة شعر نيباً كلَّ صباح حتى أكمل السَّابع، منها (البسيط) :

يا رَبَّ الْقَبْرِ، نُوقِنُ بِكَ لِهِ الْقَبْرُ مِنْ شَحْرٍ وَمِنْ شَخْنٍ
تَبَاهِيْتُ فِيْكَ أَحْوَالِيْ أَسْأَى فِيْضَتِيْ إِلَيْكَ لِقَائِكَ سَبَرِيْ طَالِبَ الْوَسَانِ
وَخَالِفَ الْقَلْبُ فِيْكَ الْعَيْنَ مِنْ كَمْدٍ فَاسْوَدَ بِالْفَمِ وَابْيَضَتْ مِنَ الْحَزَنِ⁽⁵⁶⁾

مَرْكَزُ تَعْلِيَةِ كَامِيُورِ عِلُومِ الْمَدِيْنَى

وكان بعض النَّاس يقدرون في البيت الذي توفي فيه الشخص شمعة أو مصباح طوال أيام المأتم السَّبعة، ويتراً القرآن على قبره، كما يتراً في المنزل، وكان يستأجر لذلك قرآن للرجال ونساء، للنساء وأحياناً يتراً عبيان الرجال للنساء⁽⁵⁷⁾.

(53) ابن بِسَامٍ : م.س. مجلد 1 ص 339، المثري : م.س. ج 3 ص 565.

(54) انظر على سبيل المثال تعازي ابن أبي الحصال لقاضي الجماعة ابن رشد، وتعزيته في قينة، وانظر ديوان الأعمى التطيلي، وأبن خفاجة، وغيرهم.

(55) الونشريسي : م.س. ج. 1 ص 327.

(56) ابن الأبار : م.س. ج. 2 رقم 1400 ص 512.

(57) الونشريسي : م.س. ج. 1 ص 323.

ولم تقتصر هذه المراسيم على طبقات النخبة من المجتمع بل تعدّها إلى شرائح أخرى فلدتها نبيه، فقد أقيمت جنازة كبيرة لتبوط الملهي وزربوط الطبوط المغني، وأقام الطبوطيون أصحابه عليه مائة مشهوراً، وحزن الناس عليهم، يقول ابن حيان: فمهما أن يخلف الدهر مثلهما⁽⁵⁸⁾. ويصف ابن حيان⁽⁵⁹⁾ طقوس جنازة امرأة من الطبقة الدنيا، وعددها من عجائب الزمان لقيام أهلها ببعيها ودعوة علية القوم إلى جنازتها، يقول: «ومن غرائب هذا الدهر... أن هلكت عجوز لبني كوثر، فاهتيل بنوها في السعي لها، وإنذار طبقات الناس لشهود جنازتها بأنفسهم والمشي على أعاظم القرية ببعيها، فسارعت طبقاتهم لشهود جنازتها فجيء بسريرها، وابن جهور الوزير يقدم حضارها مائياً على قدميه، قد انسى به كل ذي منزلة رفيعة، ووقف على جدتها إلى أن وورثت وانقضت جمعها، ثم ضرب على قبرها قبة عالية تمهدًا للنبيت عليها طول أسبوعها ومدة زيارة قبرها، حسبما كانت الجبابرة تفعله في الأعصر الخالية على قبور الملوك الأعزاء، ففضي العجب بمشاهدة هذه النادرة في امرأة من نساء، حشالة العامة، مرددة في الحسول، لم يكن نظر بينها وبين النباهة من كلا طرفيها نسبة في الدولة القريبة ولا البعيدة، ولا ظفرت بجعل مشرطة ذرية نبيهة، عهدي بجعلها الشَّيخ مطرفة». أحد سحاصر البر بقرطبة، يروح بها يومه الأطول كبس الإزار، أعظم أفراحه ظفره بقوت يرمده، وكان مع ذلك كثيراً ما ينتاب المحنات على قلة وفقاره حاله، فيروح نشوان العشبيات يمسح الأرض بأسفاله، وكان له ضرب القرقرة، محكمًا لأقانين إيقاعها، فسبحان الكبير المتعال نافل الأحوال مبدل العسر يسراً»⁽⁶⁰⁾.

وزياراة المقابر كانت من العادات الشائعة، فبعضهم كان يزور مقابر الأهل للترحم، أو قبور الصالحين للتبرك وقضاء وقت بها، ذكر ابن الخطيب أن الناس كلُّفوا بمقبرة أبي عبد الله المعروف بالموافق وأولوا حجراته من التَّعظيم وجلب أوانِي المياه للمداواة ما لم يولوه معاشره في أيام حياته⁽⁶¹⁾. وزعم الناس أنَّ رائحة الملك تفوح من قبور الصوفي ابن شاطر، وقصد قبره المرضى وأهل الحاجات، ويقى القرآن، يقرأون القرآن عليه مدة طويلة، وتصدق على قبره بجملة كبيرة من المقال كان يفتدى به طائفة من الأسرى⁽⁶²⁾.

(58) ابن سام : م.س. فـ 1 ، مجلـ 1 ، ص 44.

(59) ابن سام : م.س. فـ 1 ، مجلـ 2 ، ص 595.

(60) ابن الخطيب : م.س. جـ 3 ، ص 291.

(61) نـ 1 ، جـ 1 ، ص 272.

ولم يقتصر الأمر على التبرك بقبور الصالحين من الزهاد والصوفية بل تعدد إلى قبور بعض القادة الذين يعتقد في صلاحهم. فكان الناس يقصدون قبر الأمير يحيى بن غانية المرجوه بداخل المسجد الصغير المتصل بقبر باديس بن حبّوس داخل القصبة بغرناطة للتبرك⁽⁶²⁾.

وإذا كانت زيارة المقابر من حين لآخر أو في المواسم والأعياد نسقة للتذكر والاعتبار والترحّم، فقد كان بعض الناس يخرج للمقابر ترويعا عن النساء في حالة الضجر، خصوصاً إذا كانت بالمتبركة رابضة أو زاوية يلتقي بها الناس. فقد حكى أبو عمر بن سالم المالكي قال: كنت جالساً في منزلي بالقمة فهاجت نفسي أن أخرج إلى الجبانة، وكان يوماً شديداً الحرارة فراودتها على التعود فلم تكنني من التعود، فمشيت حتى انتهيت إلى مسجد يعرف برابطة الغبار، وعندئذ الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن علي المالكي، فقال لي: إني كنت أدعوا الله تعالى أن يأتيني بك وقد فعل. فاخسى لله، فأخبرته بما كان مني ثم جلست عنده. فقال أنشدني، فأنشدته أشعاراً لأبي عبد الله بن البين البطليوسى (الكامل):

غصباً الصباح نسموه خُدودا
ورأوا حَسَنَ الياقوت دون نعور حِسْمٍ
واسْتَوْدَعُوا حَدَقَ المَهَا أَجَنَانِمْ
لم تكنْهُمْ حَدَّ الأَسْنَةِ وَالظَّبْنِ
واستوعبرا قصبة الأراكِ قَدُودا
تَقْتَلُدُوا شَهْبَ النَّجُومِ عَتُودا
فَسَبَسُوا بَهْنَ فَسَرَاغِمَا وَأَسُودَا
حتى استعماروا أَعْيُنَا وَخُدودا

مَرْكَزُ تَعْلِيَةِ كَافِرٍ عِلُومٍ مُسْلِمِيٍّ

فصال الشیخ وأشمي عليه وتصبب عرقاً، ثم أفاق بعد ساعة وقال: يا بني أعدوني شيئاً يثيراني، ولا أملك نفسي عندها، النظر إلى الرجه الحسن، وسماع الشعر المنطبع⁽⁶³⁾. واتخذ بعض النساء من زيارة المقابر فرصة للخروج والمجون ومحادثة الرجال الأجانب وزرعن وملاغبتهم وكثرة الفسحك مع الغنا، في موضع الخروع والاعتبار، وقد وصف ابن قرمان النساء، اللائي يذهبن لزيارة المقابر في الأعياد وهن مزینات الوجود:

كُلُّ وجْهٍ مِنْنَنْ لِلْيَلَةِ الْعَيْدِ هُبَرا

(62) ن. م. ج. 4 ص 37.

(63) المترى : م-س. ج. 3 ص 403.

على الأحباب ذِمَّة
والبكاء بالمقابر
فاحتفال الفجائع
احتفال المُرْسَل
ودموع الترَحَّم
في ثياب الشطَّار⁽⁶⁴⁾

واستحغل الشباب الماجن أيام الموسم والأعياد للجلوس على طرقات المقابر لاعتراض النساء، وكثير الحساب والقصاص بالمقابر، واتخذوا لهم أخبية للانفراد بالنساء، بحجة الكلام في أسرارهن، واعتبروها ابن عبادون «مراودة وحبلة وسرقة، ولا يأتي إليهم من النساء، إلا الناجرات»⁽⁶⁵⁾، وتشدد القضاة والمحисون في محاربتهم ومنعهم، ولكنهم لم يوقفوا في كثير من الأحيان.

وكتيراً ما كانت تحدث الخلافات بين الأزواج بسبب إصرار المرأة على زيارة المقابر، وتأبيه عليه إلا الخروج أو تفارقه، فتضطر للخروج معها، نبري أو يسمع أو يشاهد استمتاع الأجانب بحرث زوجته، فإذا غلبت الغيرة يقع الضرب والخصام وينتهي الأمر بالطلاق، فإذا كان الزوج ممن له رئاسة ولا يرضى أن يخرج مع زوجته ولا يقدر على تركها تسير وحدها لما يعلمه من مناسد ترتكب في المقابر بضطر إرسال من بصحبها تكون عوناً لها من صبي وعبد أو عجوز أو غير ذلك، فيكون أكثر فساداً من خروجها وحدها، لأن أكثر الناس يباب أن يستدئ المرأة بالكلام أو المزاح إذا كانت حرمة، فإن وجدوا أحداً في ذكرها، توصلوا بسببه إلى ما يريدون بسبب توسل الواسطة وتزيينه للعمل الدائم وتسيره لذلك، وقد يكون بعضهم قد عدم الطرفين أي أن الزوج ليس بصاحب منصب يستحي أن يسبر مع زوجته، أو آخر لا يقدر على إرسال أحد معها وعند ذلك غيرة لا يقدر على تركها تخرج وحدها وتأبي عليه إلا الخروج، فتضطر للخروج معها، ونشي بعيداً عنها، وفي هذا الوضع يكون أصعب وأشدًّا عليه، إذ يسمع بأذنيه ويرى بعينيه معاكسة المنحرفين لزوجته، فمتهماً من يسكت على مضمض ويرى ذلك من السَّيَّنة والشَّر على نفسه وعلى عرض زوجته، وإن غلبت الغيرة وضاق ذرعه مما يرى يقع الضرب، وقد يزول ذلك إلى الوالي أو المحكم والحبس والطلاق وغير ذلك.

(64) ابن ترمان زجل رقم 48.

(65) ابن عبادون : م.س. ص 27.

وخرج النساء على الدواب لزيارة المقابر كانت له مشاكله التي ازعج لها بعض الفقهاء، ففي ركنهن على الدواب في الذهب والإياب ومس المكاري لهن تحضينه للمرأة في إركابها وإنزانتها وحين مضيّها رُبما يتعدّد وضع يده على فخذها، وتجعل يدها على كتفه حتى لا تقع، ويدها ومعصمها مكشوفان لاستر عليهما، بما مع ما ينضاف إلى ذلك من الخواتم والأساور من الذهب والفضة أو حسا معاً، مع الخضاب في الغالب، وتقصد إظهار ذلك كلّه، وأثناء الطريق تناجي المكاري وتحديثه كأنه زوجها أو ذو محرم، يتول ابن الحاج: «والعجب أن زوجها وفيرة يشاهدون ذلك بالحضره ويعلمونه بالغيبة، وهذا فيه من المحرمات وجوده كبيرة، وكل من يعاينهم من الناس سكوت لا يتكلّمون ولا يغيرون ولا يجدون لذلك غبرة إسلامية في الغالب»⁽⁶⁶⁾ فلما
للّه ما أَنْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وفي الأخير لابد من الإشارة والتأكيد على أن كل هذه المظاهر أو البدع التي صارت من الأعراف والتقاليد ليست من الإسلام في شيء، بل هي مكرهه، وشدد الرسول عليه الصلاة والسلام على النبي عتبها وفي فند الجنائز الكبير من أقوال الرسول عليه السلام التي تنهى بل تکاد تحرم مثل هذه العادات السيئة المستمرة إلى وقتنا الحالي.



مركز تطوير علوم إسلامي

(66) ابن الحاج : م.س. ج. ١ ص 261.

الموشحات الأندلسية بين الإبداع والاتباع انطلاقاً من المخرجات المطعمة بالعبارات الأعجمية

لمصطفى الغديري - كلية الآداب

بوحدة - المغرب

من المعروف أن مسألة الموشحات بين الإبداع الأندلسي والتقليد للمشرق العربي قد أثارت كثيراً من الخبر إلى حد لا يكاد يخلو من مناقشتها بحث عالج فن الموشحات الأندلسية؛ في بعض الدارسين أفضوا في الموضوع ثم تركوه معلقاً⁽¹⁾، وبعض آخر قال فيها كلمة الفصل⁽²⁾. لكن هناك رأي آخر تناول الموشحات من زاوية أخرى: هل الموشحات إبداع أندلسي عربي أم تقليد لأصول محلية إسبانية؟ وقد أثار النقاش حول الموضوع مجموعة من المستشرقين، الإسبان منهم خاصة، وبعض الدارسين العرب.

ويعود تاريخ إثارة هذه المسألة بشكل حاد إلى بداية هذا القرن، رغم أن بوادر التشكك في أصالة الموشحات الأندلسية يعود إلى أواخر القرن التاسع عشر حين نشر هارتمان الألماني كتابه «الموشح»⁽³⁾. ويستمر هذا الكتاب مجموعة من الموشحات المأخوذة من شتى المصادر القديمة. وكان كتاب «هارتمان» المرجع الأساسي المعتمد لدى المستشرقين الذين اعتنوا، منذ ذلك العهد،

مركز تحقيق وتأصيل كافوري لعلوم إسلامي

(1) الأدب الأندلس: النظر والتجديف د. محمد عبد المنعم خفاجي: 400. الموشحات الأندلسية د. محمد زكريا عتاني سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1981 ص: 21 - 24، فن التوشيح د. مصطفى عوض الكريم: 107 - 119. أدب، العرب في الأندلس ليطرس البستاني: 171-172 ط. دار مارون عبود، بيروت (ب.تا).

(2) الأخيرة لابن سما: 496/1/1.

ـ سفينة ابن خلدون: 583 ، تعيين التوشيح للصندي: 20، الأدب العربي في الأندلس د. عبد العزيز عتيق: 342، الأدب الأندلس: موضوعاته وتطوره د. مصطفى الشكرمة: 373، الأدب العربي في الأندلس لحمد سرحان: 133 ، في الأدب الأندلس د. جوات الركابي: 286، ملامع الشعر الأندلسي د. عمر الدنان: 336، نصوص في الأدب الأندلس د. حكمة على الأوسي: 167، مقدمة لمحقق جيش التوشيح لهلال ناجي ...

-Das arabisches strophengedicht:

Das Muwassah. Hartman M. Weimar 1897.

بلغ

(3)

ثم أعيد طبعه 1980 باليابان الشربة في مصر

بینا الفن الأندلسيُ الطريف.

وتبيّدوم هذه النّفّة من الباحثين هو «خوليان ريبيرا» الذي صرَح في خطابه الذي ألقاه في المجمع العلمي الإسباني بمناسبة استقباله عضواً جديداً في هذه الهيئة عام 1912⁽⁴⁾، بأنَّ الموسَّع استمدَ بعض عناصره الأساسية من الشِّعر الغنائي الشعبي الإسباني (الأشاني الرومانشية)، معتمداً في ذلك على بعض الموسَّحات وعلى قراءته الخاصة لنقرة أوردها ابن سَام في كتابه الذِّي، حيث يقول : «وأولَى من صنع أرزان هذه الموسَّحات بأفتنا واخترع طريقها . فيما بلغني - محمد بن محمود الشَّيربي الضرير، وكان يصنعها على أشطار الأشعار، يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسعبه المرْكز، ويضع عليه الموسَّحة دون تضمين فيها ولا أغصان»⁽⁵⁾.

وفَسَرَ ريبيرا لفظة المركز . في كلام ابن سَام . المركز الأساسي أو المحور الذي تبني عليه الموسَّحة، على حين يعني ابن سَام بالمركز الخريجة أو انقل الأخيير من الموسَّحة. ثمَّ يُسَيِّد أطروحته على هذه العبارة وذهب إلى أنَّ الشِّعر الشعبي الذي اقتبس منه الموسَّحات الأندلسية عناصرها الأساسية هو الأغاني الرومانشية التي كانت سائدة أواخر القرن 3 / 9، وهذا يتزامن مع ظهور الموسَّح . كما علل هذه الأطروحة بأنَّ الموسَّح انحدر من أصول إسبانية «رومانشية» لوجود بعض مقاطع الأغاني الشعبية في الخرجات، تلك التي جاءت بفضل الحاضرات والمربيات والنجواري والرَّقيق الإسباني الوافد من الشَّمال، فاستخدمها المستعربون والعرب في الأندلس، ودخلت البيوت ومحافل القضاة والأمراء، في الأعياد والمناسبات وحنلات الزَّواج والختان، فأعجب الأندلسيون بها وازداد افتتانهم وتأثرهم بجماليتها وبروعتها «فأخذها اليوشاجون والشَّعراً، لينظموا على غرارها»⁽⁶⁾.

(4) انظر مقالة «الموسَّح والرَّجل همزة وصل بين ثقافات مختلفة» للأستاذ شارل بيل ، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض المجلد الأول سنة 1390 / 1970 ، ص: 45.

(5) الذِّي : 469/1/1

(6) تفاصيل أطروحته في كتابه :

Disertaciones y Opúsculos T1. pp 49 - 55 ed. Madrid 1927.

وانظر تلخيص آرائه في «جوانب من التأثير العربي في الشعر الإسباني والشعر الأوروبي» د. حكمت علي الأوسي «مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد العدد 26 عام 1979 ص 545 وما بعدها.

ووجد هذا الرأي صدى واسعا عند المستشرقين الهرميين بفن التوشيح، ودفعهم إلى مزيد من البحث في الموضوع، فتوالت البحوث والمقالات⁽⁷⁾. وستعرض لأهمها وأكثرها التصانات بالموضوع.

ففي 1948 كتب «شتمون» مقالة بعنوان «خرجات إسبانية في موشحات عربية وعبرانية» ونشرها بمجلة الأندلس⁽⁸⁾.

Les vers finaux en espagnol dans les muwassahs hispanohébraïques.

وقد قاده إلى ذلك اطلاعه على مخطوطة جديدة عظيمة الأهمية هي : «عدة الجلس ومواصلة الوزير والرئيس» لابن بشري الفراتاطي التي كانت في حوزة المستشرق الفرنسي ج. كولان⁽⁹⁾. وقد أثارت مقالته هذه ضجة كبيرة حين أعلن عن اشتراك موشحات عربية وأخرى عبرانية في خرجات أعمجية.

وبعد ظهور هذه المقالة بسنة قام الباحث إميليو غارسيا غوموس باستخراج مجموعة من الموشحات الأندلسية التي ختمت بخرجات أعمجية. ومصدره الأساسي في ذلك هو كتاب «عدة الجلس» - المشار إليه من قبل. وقد بلغ عدد المخرجات التي استخرجها وعلق عليها ستة وعشرين خرجة ليعلن عن نظرته في الموضوع بقوله : «إن وجود نفس الخرجة في موسوعة عربية، وفي



- (7) من ذلك : (الشعر العربي الأدريسي كأثر في علم الأدب)
 -R. Menéndez Pidal: *Poesía árabe y poesía europea* Ied. Madrid 1941.
 -Poesía juglaresca y juglares. Aspectos de la historia literaria y cultura de España Ied. 1942.
 -R.A.Nykl : *Hispano arabic poetry* Baltimore 1946.
 -J.Millas Vallicrosa: *Sobre los más antiguos versos en la lengua castellana*, *Rivista sefarad* Vol. 2 p. 362-371.

نشرت في هذه المقالة ثلاث خرجات وجدتها في موشحات عبرية 1946 .
 -*Les vers finaux en espagnol dans les muwassahs hispano-hebraïques: une (8) contribution à l'histoire du muwassah et à l'étude du vieux dialecte espagnol "mozarabe"* en *Al-Andalus* Vol. XIII p. 289-348 Madrid 1949.

ثم نشر مقالة أخرى في هذا السياق :
 -*Un muwassah arabe avec terminaison espagnol*. *Al-Andalus* Vol. XJV Madrid 1949.

(9) وقد ظهرت المخطوطة أخيرا وحققتها آن جونز وطبعت بأكسفورد، بريطانيا 1992.

أخرى عبّرية في موشحتين لوشاحين مختلفين لدليل يزيد بأنّ هذه المخرجات عبارة عن أغاني قصيرة باللغة الرومانثية كانت معرونة قبل تضمينها في الموشحات العربية والعبرية، وعلى هذه الأغاني بنيت الموشحات⁽¹⁰⁾.

هذه هي النتيجة التي تاده إليه مجموعة من البحوث التي نشرها بمجلة الأندلس⁽¹¹⁾. وإذا أمعنا النظر في سانج «شتيرن» و«غومس» نائنا نجدها إنجليزية، لأطروحة «خ. ريبيرا»، مع تقديم أدلة ملموسة وجاءها توجيهها معيناً . كما سيتبين في مناقشتنا لها . ومن الباحثين الذين اتسروا من آراء هؤلاء المستشرقين المرحوم عبد العزيز الأدواتي، وحجّته في ذلك «أنَّ مضمون المخرجات بصفة عامة، والمختلطة بصفة خاصة، وما نسبنا من تغزل النساء بحبيبهما شيء لا نظير له في الشعر العربي، والمخرجات كلها - تقريباً - على لسان فتاة تتغزل في نسي وتعلن حبها وشوقها إليه»⁽¹²⁾.

(10) مقتبسة من مقالته:

Lalírica hispano-arabe y la aparición de lírica románica en Al-Andalus Vol. XXI Madrid 1956. pp. 303-338.

(11) وسبّت هذه المقالة مجموعة من البحوث التي استخلص منها هذه النتيجة وهي :

- Más Sobre Las jaryas romances en Muwassahas hebreas en Al-Andalus. Vol. XIV Madrid 1949 pp. 409-417.
- Nuevas observaciones sobre Las "jarchas" romances en muwassahas hebreas en Al-Andalus XV 1950 pp. 157-177.
- Veinticuatro "Jaryas" romances en Muwassahas árabes en Al-Andalus Vol. XVII 1952-pp. 57-127.
- La Muwassaha de Ybn Baqí de Córdoba (Malady) con Jarya romance en Al-Andalus Vol. XIX Madrid 1954 pp. 43-52.
- Dos nuevas Jaryas romances (25,26) en Muwassahas árabes. en Al-Andalus XIX-1954-pp. 369-391.

ثم جمع هذه المقالات مع إضافات أخرى ونشرها في كتابه بعنوان «المخرجات الرومانثية في إطار الموشحات العربية».

Las Jarchas romances de la serie árabe en su marco Madrid 1965 y 2a ed. Barcelona 1975.

(12) تلخيص لما جاء في كتابه الرجل في الأندلس ص: 2-51. وقد حاول أن يثبت فيها بأنّ المخرجات الأáfجيمية هي بقايا من أغاني شعبية إسبانية قديمة «رومانتيكية»، علماً أنه كان قد أطلع على كتاب عدة الجليس واستشره في كتابه (ط. القاهرة 1957).

أما آراء بطرس البستاني ومصطفى عوض الكريم فكانت أخطر آراء الدارسين للموشحات إذ تبئها آراء المشترين سميتها وغثتها. وهي آراء مفادها أن أصول الموشحات ليست عربية إطلاقاً⁽¹³⁾.

ويمكن تلخيص جميع الذين يرون أن الموشحات نشأت تقليداً لضرب من الأغاني الشعبية الإسبانية القديمة «الرومانتشية» في ما يلي :

- وجود خرجات مطعمة بعبارات رومانتشية في الموشحات العربية والعبرية.
- خروج الموشح عن سمة الشعر العربي في الغزل، فصارت المرأة هي المترفة في المذكور بدل العكس.

• شروع أوزان الموشحات التي لا تجري على العروض العربيّة ويحور الشعر.
قبل مناقشة هذه الآراء، ينبغي أن نعود إلى مصادر الموشحات لعرفة حجم الموشحات ذات خرجات أعمى، تلك التي بنيت عليها نظريات وأطروحات تذهب إلى أن أصول الموشحات إسبانية.

أولاً : حجم الموشحات ذات خرجات أعمى :

فيما مضى كان البحاثة د. سيد غازى قد قام بإحصاء، غداة جمعه الموشحات الأندلسية في ديوان خاص، فوجد حجمها 447 موشحة مابين كاملة ومتقطعة، ولم يكن قد أدخل في الجمع والإحصاء، ما تضمنه كتاب «عدد المجلس وموازنة الوزير والرئيس» إلا ما نشر منه إميليو غارسيا غومس من موشحات ذات خرجات رومانية على صفحات مجلة الأندلس، وينظمه ككتاب عدد المجلس تبين لي. بعد قراءة سريعة، أنه يضم سبعاً وسبعين ومانة موشحة لم ترد في ديوان الموشحات. بذلك سيصبح عدد الموشحات أربعاً وعشرين وست مانة موشحة. أما عدد الموشحات التي تنتهي بخرجات أعمى فهي ست وأربعون موشحة، حسب

(13) ينظر كتاب «فن الفوشنج» لصفوى عوض الكريه ص: 107-119 مستكنا على آراء «ترنده» الراودة في كتابه :

The Language and History of Spain By J.B.Trend (Great Britain 1953).

وتوجد آراء البستاني في كتابه «أدباء العرب في الأندلس وعصر الاتياع» ط. الثالثة، بيروت ص: 109-118، ووط. دار مارون عبد المنقحة ص: 171-172.

المصادر التي أطاعت عليها، وتفعيلها . بعد مقارنتها وإسقاط المكرورة منها في هذه المصادر.

كالآتي :

- 1 - جيش التوشيح، ورد فيه تسعة عشرة مושحة من هذا الصنف.
 - 2 - عدة الجليس، ورد فيه اثنتان وثلاثون مoshحات من هنا الصنف.
 - 3 - ديوان الأعمى التطيلي، موشحات.
 - 4 - ديوان الجزأ السرقيسي، ثلاث مoshحات من هذا الصنف.
- نمجوّعاً في هذه المصادر ست وأربعون مoshحة.

وإذا تمنا باحصاء لتحديد نسبتها إلى مجموع المoshحات $\frac{46}{624} \times 100 = 7.37\%$. وجذناها

أي 92.63% من المoshحات الأندلسية خرجاتها عربية، سواه كانت لغتها فصيحة أم عامية عربية، بينما يبقى 7.37% من المoshحات جاءت خرجاتها مطعمّة بالفاظ وعبارات أعرجية. وهذه النسبة لا تكتفي بلغة الإحصاء، لكنّي تكون أساساً للتأثير.

أما رشاحو هذه المخرجات فهم ستة عشر رشاحاً من المoshحات المعروفيين⁽¹⁴⁾ ، بالإضافة إلى إحدى عشرة مoshحة لمجهولين لا نعرف شيئاً عنهم، منهم أحد عشر من عصر الطوائف، وأربعة من عصر المرابطين، ورشاح واحد من عصر الموحدين، مع العلم أنه وصلتنا مoshحات أندلسية من العصر الأمري أي قبل عصور هؤلاء، ولم ترد فيها ألفاظ أعرجية⁽¹⁵⁾ . ثم أنّ رشاحي هذه المخرجات نجدهم يكترون في عصر الطوائف حيث كثر الاختلاط بين العرب والنصارى، وبالاخص حين شاع هذا الاختلاط عن طريق الزواج بالنّصارى، والأسر، واستجلاب الجنوبي والخدمات التّشاليّات إلى قصور الأمراء، وما أكثروا في هذا العصر . حيث شاعت مفردات وعبارات اللّغات الإسبانية . منها اللهجة الرومانثية . في اللّغة اليومية المتداولة آنذاك، وبالاخص في

(14) وهم: المعتمد بن عباد . ابن رحيم . ابن لبون . الكمي الغربي . ابن الخياز . الجزأ السرقيسي . ابن المعلم . ابن عبادة . ابن رافع رأسه . الأصبعي اللاردي . ابن اللبانة . المنبishi . الأعمى التطيلي . ابن بني . ابن الصيرفي . أحمد بن مالك.

(15) أعني بذلك مرشحتين لعبادة بن عبد الله بن ماء السماء (عاش في فترة الخطابة العامرة وأدرك عصر الفتنة القرطبيّة (ت. 419 / 1028) (موشحاته في ديوان المoshحات الأندلسية صنعة د. سيد غازي : 5/1 وتروشح التّوشح: 113 ، ديوان المoshحات 10/1).

حواضر الأندلس ومدنها الكبيرة، كما شاعت الأغاني الإسبانية وردد السّاهرون مقاطع منها، علماً أنَّ عصر الطوائف شاع فيه الانحلال إلى حدِّ الخلاعة والمجون، وكان الأمراء يتسابقون على الإكثار من إقامة السّهرات الغنائية وجلب المغنيين والمطربين، فكان من الطبيعي أن تحفظ مقاطع غنائية مختلفة على ألسنة عشاقِ فنِ الطرب، وفي مقدمتهم الوشاحون أصحاب نظم الكلمات الغنائية، لأنَّ المؤشّحات أنشئت أصلاً لفنِّ الغناء والطرب.

من هنا تجد الوشاحين يضمّنون موشّحاتهم كلمات وعبارات متداولة إرضاءً للمستمعين، والمستمعون آنذاك فيهم العربي والإسباني وبالأخصّ الجواري والمطربات اللاتي يحضرن السّهرات الغنائية في قصور الأمراء، ثمَّ بدأ هذا الصّنف من المؤشّحات يقلُّ تدريجياً في عصر المرابطين والمرحّدين، لا تتميز به العصّران من كفاح وجihad وجديّة ومحاربة الّ فهو والعبيث. وفي عصر إمارة غرناطة اختفت نهائياً لكون هذا العصر عصر انحسار وحروب وعداوة بين المسلمين والنصاري، فالمساكن التي بين أبدينا لا تتضمّن موشّحة واحدة من هذا الصّنف في عصر إمارة غرناطة، رغم ما عرف هذا العصر من كبار الوشاحين من أمثال ابن خاتمة وابن الخطيب وابن زمرك.

ثانياً : مسألة ورود بعض المؤشّحات المنضمة بالأنماط الأعجمية في مؤشّحات عربية وعبرانية التي اكتشفها «شتيرن» وبنى عليهها «أمبليو شارسيا غوموس» نظريةٌ تعتبر حجة ضعيفة على «إسبانية» المؤشّحات للأسباب الآتية:

إنَّ المؤشّحات العربية في الأندلس نشأت محاكاةً للموشّح العربي، وكان السبب الأساسي لنقل البيهود هذا الفن هو محاكاةِ العرب في الشعريّ بها في حفلات السّهر واللّهو، قبل أن تنتقل المؤشّحات العربية إلى أناشيد تشد في مناسبات دينية⁽¹⁶⁾. والأدلة على ذلك كثيرة، منها أنَّ الموشّح العربي «شيرازور» يحاكي الموشّح العربي في نظامه وبنائه، إذ يتالف من أسماط «أزوريم» تتكون من سطر «طور» أو أكثر، ومجموعة من الأدوار «بزمون» تتكون من أسماط غالباً ما تكون ثلاثة، وتشقّ الأتفال في الوزن والقافية، كما تشقّ أسماط الدّور الواحد في القافية أيضاً. وأكثر المؤشّحات العربية صبغت على أوزان المؤشّحات العربية كما لاحظ ذلك د.

(16) انظر مقالة : د. محمد بحر عبد المجيد «المؤشّحات العربية» في مجلة «الشعر» المصرية، العدد الخامس 1977 ص. 138 ، القاهرة.

محمد بحر عبد المجيد المتخصص في الأدب العربي⁽¹⁷⁾. أو كما يقول د. مصطفى الشكعة : «إن ظهور المنشعات العربية هو تنبؤ للمرشحات العربية ببنائها وموضوعها⁽¹⁸⁾. وقد بنى أبيليو غروس نظرته على نصوص استخرجها من عدة الجليس وهي :

موشحة ابن بني التي مطلعها :

أَجْرَتْنَا مِنْ دِيَارِ الْخَلْقِ رَحْمَ الصُّبَّا عَبْرَاتِ الدُّنْدُلِ

وخرجهما :

بِسِنْدَلٍ بَشْفَدٍ إِيُونْ شِلٌ (الصَّرْنَدُ مِوْتَرْجُونْ بُرِّلُ)

في الإسبانية :

Viene la pascua e yo sin él

Lasrando mi corazon por él

وأصلها كما رسمها أ. غروس:

Bnd' | Bsqh'ywn sn |

Lstnd mw q Rywn br |.

ومعناها : أقبل العيد وما أزال بيته يبكي نزادي أسى من أجله⁽¹⁹⁾. فهذه الخروجة

موجودة في مرشحة عربية للرثاح اليهودي (ت 536 / 1141) وهو معاصر لابن بني 540 / 1145.

ثمًّ موشحة أخرى لمجهول مطلعها :

أَيْ عَيْشَرْ بَلْدَ مَحْبُوبُونْ حَلَوْمَ سَكَنْ قَلْبَهُ الْحُورُ الْعِيسَىُ

وخرجهما :

كُسْمُ سِيْ فِلِيسُولُ الْبُنُرُ نُونَ مَشْ أَذْرَمْشَنْ أَمْوَشِينُو

(17) نفس المصدر.

(18) الأدب الأندلسي : موسوعاته وتطوره ص. 385 بتصريف وتلخيص.

(19) عدة الجليس ومسانسة الوزير والرئيس رقم 167 ص. 245 تحقيق آلن جوز أكنورد 1992، ديران المنشعات صنعة د. سيد غازي : 476/1.

Las jarchas romances de la serie arabe en su marco. (E.G.Gomez) Madrid 1965 pp. 130. Hispano - arabic strophic poetry (stern) pp. 135-136.

أي :

Como Si fijo ello Olyno
non mas duermes mi ami sino

وفي الأصل كما رسمها أ. غومس

Km Flw, Lynw

Nwnms, Drms, Mwsynw

ويعندها : «كأنك ولدي بالتبني، فما عدت تناه جنبي»⁽²⁰⁾. والترجمة في موسوعة عبرية
لبيهودا اللاوي أيضاً.

واستشهد غومس بموسوعة ثلاثة لابن رحيم (520 هـ) من شعراً، الطوائف والمرابطين

ومطلعها :

يا نسب الرَّبِيع إِنْ عَجَتْ عَلَى رَبَّةِ الْفُرْطِ
فَاهدِهَا مِنْيَ رِيحَانَ السَّلاَمَ عَلَى الشَّخْطِ

وخرجتها :

فَكَتَ ذَلِيلَ وَقَاتَلَ لِي بِالْوَدْدَهُ
لَوْنَ مَضْنَكَشْنَهُ حَبِيبِي لَانَ قِرْدَنِيشْ
الْفَسَلَهُ رَخْصَهُ بَشَتَ أَطْوَ طَوْمَرِيشْ
فِي الإِسْبَانِيَّهُ .

Nometoque yà habibi

La, no quiero daños

Algálala rajsá

basta a todo me rehuso

(20) عدة الجليس رقم : 260 ص. 390، بيان المرشحات : 651/2.

-Las jarchas romances p. 168.

-Hispano-arabic strophic pp. 137-138.

ورسمها شومس :

Nwn M tnks ya habibi la

N gr dnys

Al gilalah rajisah Bst

Tutu M rfys

و معناها : لا تلمسني يا حبيبي، لا أحب أن تؤذني. الغلالة رخصة كفى ! لست أقبل

ما تصنع⁽²¹⁾.

و الأخرى مترجمة أيضاً في موسوعة ليهودا للأوي، كما وردت أيضاً في موسوعة ابن

بني⁽²²⁾.

هذه هي النماذج الأساسية التي بني عليها أغ. شومس أطروحته كما سبقت الإشارة.
وما دامت الموسوعات العربية كانت محاكاة للموسوعات العربية وتقليلها لها بنا، وموضوعاً،
فيما ينال التأثير والتأثر مسألة عادلة سواء ضمن هؤلاء الوشاحون خرجات ليهودا للأوي أو العكس،
فالفرع يرد إلى الأصل، علماً أنَّ أقدم الموسوعات العربية في الأندلس تنسب إلى فئة من الوشاحين
شارحاً في عصر الطوائف وبعد ذلك، ولا نجد موسوعة عربية قبل الموسوعات العربية التي وصلت إليها
من عصر الأمويين، وأقدم هؤلاء الوشاحين اليهود الذين وصلت إليها موسوعاتهم : إسماعيل بن
النفريلة، أو صمريل هناجيد (448 هـ / 1056 م) وإسحاق بن غيباث (482 هـ / 1089 م)
ويهودا للأوي (536 هـ / 1141 م)، وموسى بن يعقوب بن عزرا (536 هـ / 1140 م)، يوسف
بن صديق (526 هـ / 1149 م)، وإبراهيم بن شرزا (545 هـ / 1167 م)⁽²³⁾.

(21) عدد المجلد رقم : 345 ص. 349/1 - 351 ، ديوان الموسوعات: 17-516.

-Las jarchas romances p. 216.

-Hispano-arabic strophic pp. 138-139.

(22) انظر جيش الترشيح : 117 ، ديوان الموسوعات : 1-482/1.

Las jarchas romances pp. 206.

(23) يعب ما جمع من نصوص الموسوعات العربية في الأندلس انظر :

. حاييم شربمان: هشيرة ها غفت بسفاداد أو ببروفانس تل أبيب 1954.

. الشعر العربي د. محمد محمد القصاص، القاهرة 1958-1959.

. الموسوعات العربية ليهودا هاليبي أطروحة الدكتوراه بجامعة أكسفورد 1972.

. شيريم هاشين من هاجنباوه القدس 1965.

ثمَّ أنَّ المستعرب أ.غ. غومس لم يناقش نصوصاً أخرى من الموشحات وردت في كتاب عدَّة مجلس نفسه، وهي من صميم التأثير والتأثر بين الموشحات العربية والعبرية، أذكر من ذلك الموشحة السادسة عشرة (16) ص : 25 - 26) لجهول مطلعها :

نَبِّئْ الرُّؤْضَ فَاحْ فَقْسُومُوا نَشَرْب

فهذا المطبع ورد خرجة فصيحة في موشحة ليهودا اللاوي العبرية بدون تغيير أو حذف.

ثمَّ موشحة رقم 71 (ص 109 - 110) لأبي بكر بن الأبيض (من عصر المرابطين)، خرجتها فصيحة⁽²⁴⁾ وردت في موشحة عربتين : إحداهما لموسى بن يعقوب بن عزرا، والأخرى ليهودا اللاوي، والوشاحان معاصران لابن الأبيض وما تابعه. ثمَّ موشحة أخرى لابن باجة (ت. 1128 / 533) (رقم : 106 ص : 161 - 162) مطلعها يوجد خرجة لموشحة يهودا بن غياث⁽²⁵⁾ (ت. 12/6) وكان معاصرًا له، وعارضها وشاحون يهود، بعد ذلك⁽²⁶⁾. والأمثلة كثيرة على هذا.

وهي كلها تسقط نظرية أميليو غاريا غومس وتدحضها.

من هنا يمكن التلوك إنَّ ورود خرجات رومانشية، أو غير رومانشية، مشتركة في الموشحات العربية والموشحات العبرية من باب التأثير العربي في موشحات اليهود، وليس من قبيل استفهام، الفريقين ذلك من **الشعر الشعبي الإسباني** «الأغاني الرومانشية».

ولنا أدلة أخرى في هذا السياق من عصادر متعددة، منها قول ابن سنا، الملك : «وَكَنْتُ لِمَا أُولَعْتُ بِعَمَلِ الْمُوْشَحَاتِ قَدْ نَكَبْتُ عَمَّا يَعْمَلُهُ الْمُصْرِيُّونَ مِنْ اسْتِعْارَتِهِمْ خَرْجَاتِ مُوْشَحَاتِهِمْ خَرْجَاتِ مُوْشَحَاتِ الْمَفَارِيَّةِ، فَكَنْتُ إِفْرَاعَلِيَّتِ مُوْشَحَاتِهِمْ لَا أَسْبِيَرُ خَرْجَةً غَبْرِيَّ، بَلْ أَبْتَكِرُهَا وَأَخْتَرُ عَبَّاهَا وَلَا أَرْضَى بِاسْتِعْارَتِهِا، وَقَدْ كَنْتُ نَحْوَتُ فِيهَا نَحْوَ الْمَفَارِيَّةِ، وَقَصَدْتُ مَا تَصْدُوَهُ، وَاخْتَرَعْتُ أَوْزَانًا مَا وَقَعَرَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ، عَمِلْتُهُ إِلَّا عَمِلَتْهُ، إِلَّا الْخَرْجَاتِ الْأَعْجَمِيَّةِ فَإِنَّهَا كَانَتْ بِرِّيرَةً، فَلَمَّا اتَّفَقَ

(24) بالله يا رسول قل للخليل كيف السُّبُل وَتَبَيَّنَتْ عَنْسِي
تعظِّي دلال خلَّتْ الْجَنَّالُ عَلَى النَّكَال وَنَسْرِيدَ لَهُبِي

(25) انظر :

Stern: Hispano arabic strophic Poetry, p. 105-120-181.

(26) انظر الموشحات الآتية في عدة مجلس: رقم 88 ص. 135-134، رقم 177 ص. 269-270، رقم 167، ص. 255-254، رقم 249، ص. 375-376، رقم 112، ص. 171-170، رقم 284، ص. 427-426، ص. 304، ص. 458-457، رقم 319 ص. 479-478... إلخ.

لي أن تعني اللغة النازية عملت هنا الموضع وغيرها، وجعلت خرجته فارسية بدلاً من الخروج البربرية⁽²⁷⁾.

ما يمكن أن يستخلص من كلام ابن سناه الملك هو أن تضمين المنشآت خرجات مطمئنة بعبارات أجنبية تقليد نفي سنه الأندلسية للخروج عن الرتابة والمؤلف. الأمر الذي دفع هذا الوضاح إلى تعليم خرجات موشحاته بعبارات فارسية، رغم أنه وهم حين قال : إن الأنماط الداخلية في المنشآت الأندلسية بربرية، لأنّه يجهل البربرية والإسبانية معاً : إذ لم أقف حب المصادر التي اطلعها عليها . على موشحة واحدة تتضمن خرجتها ألفاظاً بربرية :

ومن تطبيقات ابن سناه الملك في هذا المجال موشحته التي مطلعها :

فِي خَدِيكَ مِنْ حَسَرِ الْأَذَاءِ شَابَ الْيَاسِمِينَ
وَدَعَ ذَافِبَا حِيرَةَ الْوَاشِيِّ مِنْ ذَا السَّحَرِ الْمُبَيِّنِ
وَخَرَجَتْهَا يَهْلِكُهَا بِتُولِهِ :

ذَلِكَمَا جَنَّتْ مِنْهُ قُبْلَةً شَدَّدَتْ بِالنَّازِيِّيِّ :
ذَكَنْتِي كَسِي بُوسَهَ بْنَ دَازَ
أَوْ لِزَكْرَوِي دَسْتَ مِنْ باشَ
وَمَعْنَاهَا بِالْعَرَبِيَّةِ :
أَتَعْرُفُ مِنْ أَعْطَانِي الْقُبْلَةَ ؟ مَسَازِلَتْ أَتَسْدَكَرَةَ
وَهَذَا الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيَّ بِالْأَنْتِيلِيَّةِ أَحْمَرَهَ⁽²⁸⁾⁽²⁹⁾.

وفي هذا الصدد نقول : هل يمكن للدرس أن يناظرا في المنشآت العربية لأنّ ابن سناه الملك وظف عبارات فارسية في خرجات موشحاته ؟

إنّ مسألة تضمين عبارات أجنبية في نون الشعر العربيّ سنة قدية تعود إلى العصر المعايلي، فشعر الأعشى وغيره حاصل بالأنماط النازية. وقد سبق للمرحوم د. عبد اللطيف

(27) «فصل الفصول وعمر العقول». محضر باريس ورقة : 21 نقلًا عن كتاب دار الطراز ص : 181
هامش المحتق رقم : 2.

(28) دار الطراز : 181-183 ، وله موشحة أخرى من هنا العنف (توسيع التوسيع : 47-49).

(29) دار الطراز : 183 هامش المحتق رقم : 1.

السعدي أن كتب مقالة هامة في هذا الموضوع بعنوان «ذري اللسانين»⁽³⁰⁾، كما أن مصادر الأدب العربي غنية بالأمثلة. من ذلك في كتاب الأغاني قول شاعر عباسي :

إذ قال لي : يا «مُرْدَمْ حَسْرُ» وَكَرْهَا عَلَيْ وَكَنَاسِي مِزاحًا يَصْفُوانِ
قال أبو الفتوح : «هذا كلام بالفارسية تفسيره : يا رجل اشرب النبيذ»⁽³¹⁾.

وقول شاعر آخر :

فقال : «أَزَلْ بَشِينَ» حِينَ وَدَعْنَا وَقَدْ لَعْمَرَكَ زَلَّنَا عَنْهُ بِالشَّبَنِ
قال أبو الفرج : قوله «أَزَلْ بَشِينَ» كلمة سريانية تفسيرها «مضى سلام...»⁽³²⁾.

والأمثلة من هذا القبيل كثيرة. وفي هذا الصدد أجد في قولتين لباحثين جليلين ما يمكن دحض آراء، الذين يرون أن المושحات الأندلسية نشأت مباشرة بالأنغامي الشعبية الإسبانية «الرومانشية» لوجود ألفاظ أعمجية في بعض خرجاتها، الأولى للدكتور مصطفى الشكعه، قوله: «إن ظهور الخرجات الأعمجية ليس دليلا على أن أصل المoshحات إسبانية، فسن البدويات أن مجتمع الأندلس كان يتكلم لغتين اللغة العربية واللغة الرومانشية أو اللطينية، وفي فترة التسهيل في النظم خاصة إذا كان الهدف من النظومة أن تغنى، يمكن للشاعر نفسه الذي يجيد اللغتين أن يجعل بعض ألفاظها عامية محلية، وهو نفس ما فعله الوشاحون فطعّموا مoshحاتهم بالفاظ أعمجية»⁽³³⁾.

أما التولة الثانية فهي للأستاذ هلال ناجي وردت في مقدمة تحقيقه كتاب «جيش التوشيع» قال: «إن الخرجات الرومانشية في المoshحات الأندلسية كتبها الوشاحون الأندلسيون الذين كانوا يحسنون اللغتين العربية والرومانشية الدارجة ليسلحو بها المoshحة ويطعموها بالفاظ أعمجية على غرار ما فعل قبلهم الشارقة فيما يسمى في الشعر المغربي «الملمع»^{*} الذي جمع فيه الشعراء بين اللغتين العربية والفارسية. فالخرجات الأعمجية من تأليف الوشاحين العرب، وليس مقتبسة من الشعر الغنائي الروماني»⁽³⁴⁾.

(30) نشرتها مجلة المتأهل المغربي، العدد الثاني عشر عام 1978، ص ص: 221-256.

(31) الأغاني للإصفهاني 307/5 ط. دار الحياة. بيروت 1955.

(32) نفسه : 162/5.

(33) الأدب الأندلسي موضوعاته وفتوحه : 385 ط. الرابعة 1979 دار العلم للملايين بيروت.

* ساخرة من الحيل الملمع إذا كان فيه نلامع، أي يكون في حجمه يقع تغافل سائر لوينه. (السان العربي، مادة: لمع).

(34) جيش التوشيع . مقدمة المحقق : 4 ط تونس 1967.

إضافة إلى هذا فإنَّ الوشاحين ونقاد هذا الفنَّ في الغرب الإسلامي سُمِّوا هذا الصنف من الموشحات ذات خرجات أعمى بالموشحات الزئفية** تبييزاً لها عن الموشحات الأصلية التي لم تتسرب إليها العجمة.

ثالثاً : ما لاحظه هؤلاء الباحثون من خروج الموشحات عن التقاليد العربية في الشعر كتعزّل الفتاة بمحببها، ورأوا في ذلك حجة على «إسائية» الموشحات. إنَّ هذه الملاحظة لا ترقى إلى مستوى الحجة، لأنَّ هذه المخالفة إنما توجد في الخروجة وحدها، وما قبل الخروجة يتنق مع سنته الشعر العربي، كما أنَّ هذه المخالفة وقع فيها شعراً من أمثال عمر بن أبي ربيعة، وقد وقف عندها النقاد وفي مقدمتهم ابن رشيق في عمدته⁽³⁵⁾. ثمَّ إنَّ كلاً من عمر بن أبي ربيعة وأصحاب هذه الموشحات يتخيّلون المرأة وهي تعبر عن مشاعرها ورغباتها، وليس ذلك من قبيل الحقيقة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فديوان الشعر العربي - منذ القديم - لا يخلو من تعزّل الفتاة بمحببها. ألم يُلْقِي عمر بن الخطاب بالشاعرة الذلفاء نبِيَّ الحبس حين بلغه تعزّلها بنصر بن حجاج قالمة :

مَنْ هَلْ سَبِيلٌ إِلَى مَنْسَرِ نَاسِهَا
إِلَى فَتَنِي مَاجِدِ الْأَعْرَاقِ مُنْتَهِي
وَلَا حَبْسَهَا كَتَبَتْ إِلَيْهِ تَرَوَّلْ شَرْلَهَا وَتَكَرَّهَ بِطَرْبَتَهَا ذَكِيَّةً، وَتَسْعَطَهُ بِقُولَهَا :
قَسْلِ الْإِلَامَامِ الَّذِي تُخْشِي بِمَوَادِرِهِ
إِنَّي شَبَّيْتُ أَبَا حَنْصَ بِغَيْرِهِما
إِنَّ الْبَهْوَيِ زَلَّةُ الشَّفْوَى، وَنُورُهُما
مَالِي وَلِلْخَسْرِ تُوْلِنْصِرِي مُنْدَلِي

كما أنَّ أخبار لبلى الأخبلية وعلاتها بتُرْبَةِ بنِ الْحَمِيرِ، وشعر ولادة في ابن زيدون التي بادَتْهُ العراجيف والغرام بنفس الحرارة... كلَّ ذلك لا يغيب عن أذهان قراء الشعر العربي القديم.

** والزَّيْفُ في اللُّغَةِ الْأَبْيَانِ غَيْرُ الشَّرْعِيُّ أَوُ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَى قَوْمٍ هُوَ عَنْهُمْ غَرِيبٌ. (السان العربي، مادة: زنم).

(35) العدة : 124/2.

(36) نصر البستان لبلاد العجم وخرسان للواقدي: 80 ط. مصر 1309 هـ

وأمامنا نوجع مما قالته أغرايبة مسنة تذكر ماضي أيامها وغرامها في شبابها، قولها :

فَفَقِتُهُمْ سَبْتًا وَجِئْتُ عَلَى رَسْلِي
جَرِيتُ مَسْعَ العَشَاقِ فِي حَلْبَةِ الْهَوَى
تَرْبَلَتْ ثُوبَ الْحُبَّ مُذْ أَنَا يَافِيعُ
وَمَتَعَتْ مِنْهُ بِالصُّدُودِ وَبِالسُّوْضِلِ
فَسَا لِيْسَ الْعَشَاقُ مِنْ حُلْلِ الْهَوَى
وَلَا خَلَعُوا إِلَى الشَّيَابِ الَّتِي أَبْلَى
وَلَا حَلَسَةً إِلَى شَرَابِهِمْ فَضْلِي⁽³⁷⁾.

رابعاً : ما قبل في مسألة شروع أوزان المושحات التي لا تجري على العروض العربي، فابن سنا، الملك كان أول من نبه إلى هذه الظاهرة حين صنف المoshحات حسب أوزانها صفين رئيسين: قسم يسير على أوزان البحور الخلبلية، وقسم هو مالا مدخل لشيء منه في شيء، من أوزان العرب، وهذا القسم منها هو الكثير الذي لا ينحصر⁽³⁸⁾. وكان هذا الوشاح النائد يسعى إلى ضبط عروض الموشح، إلا أنه اعترضه، ضمنياً، بفشلته في سعيه هذا، ثم حاول باحثون آخرون المحاولة نفسها وفي مقدمة لهم «هارتمان» الألماني في كتابه الموشح، نوصل إلى نتيجة مفادها أن المoshحات كلها (146) وزتها أو يحرا مشتقة من بحور الشعر العربي، إلا أنه أعرض عن نماذج كثيرة وجدها لا تخضع لهذه الموارزن مما يدل على فشله، أيضاً في المسألة⁽³⁹⁾.

وفي عام 1975 نشر فقيد البحث الأستاذ محمد الفاسي مقالة علمية ربعة المستوي بعنوان «عروض الموشح» أوضح فيها أسباب فشل الباحثين في تحديد عروض الموشح بقوله : «والسر في فشل هذه المحاولات هو أن أصحابها ساروا على مبدأ البحث عن الأوتاد والأسباب والتأويل ومبازين البحور العروضية، مع أن الموشح... كان السبب في اختراعه التخلص من هذه الطريقة والخروج عن هذا الضيق الضيق الذي ثار عليه أهل الأندلس والمغرب...»⁽⁴⁰⁾.

وانطلاقاً من هذا يمكن القول: إن تعليل هؤلا، لإثبات «إسبانية» المoshحات من هذه النقطة، مجانب للصواب، لأن الموشح لم يكن محصوراً في بحور الشعر الخلبلية بقدر ما كان

(37) شاعرات العرب جمع وتحقيق عبد الدبيع صقر، منشورات المكتب الإسلامي 1967.

(38) دار الطراز : 47-44.

(39) (39) 199-201: Das Muwassah ولخص هذه المعاولة د. جودت الركابي في مقدمة تحقيقه لكتاب دار الطراز ص: 14.

(40) عروض الموشح، مجلة المتأهل، العدد الثاني ص. 45 عام 1975، الرباط.

تضُرراً وشُورَة على النطاق الضيق الذي حُصِّرَ نَبْهَ إِبْدَاعَ شُعُراءَ الْعَرَبِ. فَالْمُوشَحُ كَسَانِرُ الْفَنَّونِ لَهُ تَقَابِلَةٌ خَاصَّةٌ وَشَرِوضَةٌ مُخَاصَّ بَهُ أَيْضًا.

وللإشارة فإنَّ المَرْحُوم الأَسْتَاذ مُحَمَّدُ الْفَاسِي حَدَّدَ فِي الْمَقَالَة السَّابِقَةِ قِرَاءَدُ عَرْوَضَ الْمُوشَحِ وَمِيزَاتِهِ، فَجَاءَ عَمَلُهُ ثُبِّرَا لِمَا قَامَ بِهِ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِدِيُّ فِي حَصْرِ بَحْرِ الشِّعْرِ الْغَرَبِيِّ، ثُمَّ إِنَّ الْخَرْجَاتِ الْأَعْجَمِيَّةِ جَاءَتْ مُسَجَّمَةً مَعَ وزَنِ بَاتِيِّ أَقْفَالِ الْمُوشَحَةِ وَبِحُرْبَهَا، كَمَا لَاحَظَ ذَلِكَ دُ. سَيِّدُ غَازِيُّ نِي تَوْضِيْعَهُ لِأَوْزَانِ كَانَةِ الْمُوشَحَاتِ الَّتِي جَمَعَهَا فِي دِيوَانِ الْمُوشَحَاتِ.

خَامِسًا : عَبَاراتُ الْخَرْجَاتِ الْمُطَعَّمَةُ بِالْأَعْجَمِيَّةِ وَالْفَاظُهَا

فِي قِرَاءَتِي التَّسْتَرِيَّةِ حَوَلَتْ حَصْرُ أَدْمَمِ الْكَلِمَاتِ وَالْعَبَاراتِ الْأَجْنبِيَّةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي هَذِهِ الْخَرْجَاتِ (وَعُدُودُهَا 46 خَرْجَةً)، فَوَرَدَتْ أَنَّ أَغْلَبَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَالْعَبَاراتِ مِنَ الْمَعْجَمِ الْمُتَدَارِلِ بَيْنَ الْعَثَاقِ وَأَهْلِ الْبَرِّيِّ فِي بَيْثَةِ الْأَنْدَلُسِ الَّتِي كَانَتْ تَعِيشُ اِزْدَوَاجِيَّةَ اللِّغَةِ (الْعَرَبِيَّةُ وَالْإِسْبَانِيَّةُ) بَعْضُهَا إِسْبَانِيَّةُ قَدِيمَةٌ وَبَعْضُهَا الْآخِرُ تَشَاهِلَيَّةٌ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَا تَطْوُرَ وَتَحْرِيرَ فِي النَّظَامِ الْصَّرْفِيِّ وَالْتَّرْكِيَّيِّ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى كَلِمَاتِ عَرَبِيَّةٍ فَصِبَحةٍ وَعَامِيَّةٍ. لَكِنَّ الْوَثَّاَجُ الْأَنْدَلُسِيُّ حَاوَلَ أَنْ يَخْضُعَ كَثِيرًا مِنْهَا لِلنَّظَامِ الْفُصُوْتِيِّ الْعَرَبِيِّ وَأَنْ يَكْيِفَهَا مَعَ إِيقَاعِ الْمُوشَحِ وَوْزَنِهِ.

وَهَذِهِ ثَلَاثَةُ مِنْ تَلْكَ الْأَلْفَاظِ :

amor, amante, amare	أُمُورُ، مُورُ، أَمَارَ، أَمَنْدِي
besas, bésame, besos	فِرَاشُ، بِعَجَمُ، بِسِعَجَمُ، بِشُورِسُ
mi corazon	مِي كُورُشُونُ، قُرْجُونِيٌّ
dulce	دُلْجِي
dormire, dormir	دُرْمِيرِيٌّ، دُرْمِريٌّ
non me loques	نُّونْ كَارُونْ
mi alma	مُوَالِسِيٌّ
no quiero no	نُّونْ كَارُونْ
nose queda	لُشِّي كِينْدِي
mamma	مَمَّ، نَمَّ، مَتَّ
ireme	يِرْئِي
que fáre	كَفْرِي كَفْرِي (مَاذَا أَفْعُلُ)
viencs, ves, averte	بِنَ إِيشِ بِيِشُ، أَفِرْتِ

وأمامنا بعض النماذج اخترت مقتطفات منها، وهي :

يقول محمد بن عبادة المالقي، ولعله ابن عبادة الفراز في موشحة مطلعها :

من مورد الشُّنْسِيمِ من سِلْكِ فَلْجِ ذِي غُرُوبٍ فِي قَلْتِ
إِنْ دَائِهُ عَاطِشَنْ مُلْطِي وَجِبَّ أَطْفَا الْهَمِيْبَ فِي الْوَقْتِ
وخرجتها :

سِيْ سِيدِي إِبْرَاهِيمَ يَا شَوَّا مِنْ دَلْجِ شَانْتِ بِسِيرِ ذِي نُخْتِ
إِنْ شُونْ شُونَ كَارِشَ يَسِيْبِي تِبِيرِ غُرْمِي أُوبِ أَبِيرِ⁽⁴¹⁾
 وبالإسبانية القديمة :

Mi sidi Ybrahim yá nome Men dolce
vente mi abe de noche y si non quieres
ireme abi he gar mi ohe verte

ومعناها :

سيدي إبراهيم ياذا الإسم العذب، أقبل إلي في الليل، فإذا لم تساعدت إليك، ولكن
أخبرني أين الفاك ؟

وهذا نموذج آخر لمجهول، مطلع :

جَرْرَى فَضَلَّ ذَلِكَ الْمَرْطَطِ وَاسْحَبَى الشَّرَبَ رَبَّ الْفَرْطَطِ
إِلَى أَنْ يَخْتَمِهَا بِقَوْلِهِ كَمْ قَوْلَتْ كَمْ قَوْلَتْ كَمْ قَوْلَتْ كَمْ قَوْلَتْ كَمْ قَوْلَتْ
شَدَّتْ ثُمَّ أَغْرَضَتْ لَعْبَاً عَجَبَاً مِنْ مَقَالِهَا عَجَبَاً
نَسْ تَسْرَكِي إِلَّا كُنَّ الشَّرَطَةَ أَنْ تَجْمَعَ خَلْجَالِي مَعَ فَرْطَيِ
إِلَّا كُنَّ الشَّرَطَةِ⁽⁴²⁾ non te amare
أن تجمع خلجالي مع فرطي

وعلل هنا التضمين للكلمات الأعجمية من باب الخروج من الرتابة المعهودة في الشعر،
ومن قبل التلميع والتلوك الذي ألح عليه تقاد الشريش⁽⁴³⁾. وبعود السبب في ذلك إلى مقدار

(41) عدة مجلس رقم 22 ص. 33 ديوان المنشقات 184/1، و 44.

(42) عدة مجلس رقم 140 ص. 211-212 Las jarchas romances pp. 110, 212.

(43) انظر ما قاله في هذا الشأن ابن سنا، الملك في دار الطراز : 41-40.

الاختلاط والاقرابة من الناطقين بهذه اللغة، كما أن ثقافة الوشاح ومعرفته للغة الإنسانية جعله يعنى مو شحّته بهذه العبارات التي كانت متداولة في الخطاب اليومي للأندلسيين، وبخاصة أصحاب الغرب وحضر السُّبُرَات في الأندية وقصور الأمراء.

كل هذا يؤكد أنَّ اخْرَاجَاتِ المُطَعَّمَةِ بِالْفَاظِ الْلَّهِجَةِ الرُّوْمَانِيَّةِ أَوِ الْفَاظِ الْلَّغَةِ التَّشَالِيَّةِ هِي مِنْ تَعْصِيمِ الْوَشَاحِ الْعَرَبِيِّ نَفْسِهِ، وَلَا تَوَجُّدُ عَلَاقَةٌ بَيْنِ تَأْلِيفِ الْمُوشَحِ وَأَوزَانِهِ وَالْخُرْجَةِ، وَأَيُّ أُثْرٍ أَجْنبِيٍّ كَمَا يَفْتَرُضُ هُؤُلَاءِ الْبَاحِثِينَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ اخْتِلاطُهُ بِالْعَوَابِيرِ الْعَرَبِيَّةِ، وَتَكْيِيفِ الْأَلْفَاظِ الْأَجْنبِيَّةِ مَعَ قَالِبِ الْمُوشَحِ بِنَاءً وَوَزْنًا وَقَانِيَّةً.



مَرْكَزُ تَحْقِيقِ الْمُوْشَحِ وَالْعِلُومِ الْعَرَبِيَّةِ

رسائل جديدة لأبي عبد الله بن أبي الحصال

حياة فارة - كلية الآداب
فاس - المغرب

أ - مقدمة :

لعلّي أبحث عن البداية للحديث عن رجل وعصر، ولاشك أنَّ كلَّ بداية تتسم بالحذر والترىث والتحوط، لما لها من منزلة خاصةٍ في تقديم الصورة المنطقية للقول، ولما كان الأمر كذلك، تبيّن أنَّ البداية هنا تحاول أن تلمس طريقها بين كتب البرامج والفالهارس والتراجم، كما في كتب التاريخ والجامعات والاختبارات، لاستطيع تقديم إضافة جديدة لتلك العلاقة.

فاما الرجل، فهو أبو عبد الله محمد بن أبي الحصال الغافقي⁽¹⁾ ذو الوزارتين، الإمام البليغ، المحدث الحجة، وأحد أعيان كتاب الزمان، من أهل الحصال الباهرة، والأذهان الشافية، من قرية بشقورة تسمى (نرغيلط)، وبها نشأ وعنهَا تردد إلى الحاضرة في طلب العلم، ثم سكن قرطبة وغرناطة.

وأما العصر، فهو عصر دولة المرابطين التي لم يحفظ لنا التاريخ من صفحاتها المشرقة سوى وقعة الزلاقة التي استطاعت أن تتحول⁽²⁾ إلى القبطرى⁽³⁾ لتوسيع نشاطه المخرب إلى ما يلي بنسبيه جنوباً، والتي (لم يكن في الأندلس غزوة أعظم منها، قُتِلَ فيها من النصارى نحو ثلاثة ألف).

وإذا كنت قد أشرت آنفاً إلى تقديم إضافة جديدة لعلاقة ابن أبي الحصال بعصره، عصر المرابطين، فلأنني أتمنى، في هذا العرض المتواضع، وذلك بمساعدة أستاذنا الجليل محمد مفتاح، تقديم رسالتين جديدتين لابن أبي الحصال لم يسبق نشرهما، ويرجع تاريخهما إلى الفترة الأخيرة

(1) انظر : الدليل والذكمة 6 - 286 . القلائد: 199 ، الغرب ج 2 - 66 ، الصكّة رقم 1294 ، المطب ص 187 ، الذخيرة م 6 - 784 ، المعجب: 168 ، أزهار الرياض ج 5 - 155 ، الإحاطة ج 2 . 388 . برركلمان ج 6 . 265 . بغية المتنفس ص 131 . معجم الصنفي ص 144 . رایات المبرز: 74 .

(2) الخلل المرشّة ص: 62 .

من أيام علي بن يوسف بن تاشفين، ثم ابنه تاشفين بن علي، وما أعتبر ذلك من سيرات الفوضى التي عجلت بانقضائه، أمر المراطين وزوال ملوكهم، وافتتاح عهد جديد مع قدرم المرحدين، وهي فترة لا نكاد نعرف من تفاصيلها⁽³⁾ في الأندلس إلا البيكيل العام للتطورات السياسية السريعة المتلاحقة التي احتشدت فيها، وترجم نفر من شارك في هذه الأحداث، أما حقيقة الأمر في الأندلس، وأحوال الناس وموقفهم من هذه الكوارث المتلاحقة التي حلّت بيلادهم، والعدو يتخطفها واحدة فواحدة، هذا كله لا نعرف عنه شيئاً على الإطلاق.

من هنا كانت أهمية هذه المجموعة من الرسائل التي أكشف عن بعضها في هذه المحاولة الشراطعة، ولعلني أطبع إلى القول بأنها ساعدنا على إثارة هذه الحقبة التاريخية بإضافات وإسهامات مشرقة في تاريخ المراطين، وتعينا على تصحيح ما أخرج من صفحات هذا التاريخ على يد بعض المأذونين الذين ظلموا أصحابه، وظلموا التاريخ معهم.

وإذا كان المستوى الأول، يتعلّق بالشروع التاريخي الذي ساعدت على إنشاج هذه النصوص، فإن المستوى الثاني الذي أريد أن أسميه فيه بكلمة إضافية، وهو علاقة الرجل بعصره، يتعلق بما كنت وقت تأليفني هاوش تحقيق الفصل الذي خصّ به ابن سام ابن أبي الخصال⁽⁴⁾، وما له من علاقة نصبية بما أورده المقرئ في أزهار الرياض⁽⁵⁾.

ولعل هذا الفصل، كان من المحرّاز الذي دفعوني إلى نشر بعض رسائل ابن أبي الخصال، لتفّت على تصحيح هذه العلاقة، والكتّفت عن الدور الإيجابي الفعال الذي قام به الرجل طوال هذه المرحلة، أعني بذلك بداية نيازة المراطين التي آن استشهاده على يد بعض المصامدة رحمة الله، كما سنوضح ذلك في حيّته من هذا العرض.

(3) انظر: نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المراطين إلى المرحدين، أي من 520 إلى 540، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد 3، الجزء 1، حسين مؤنس.

(4) جاء في النَّجْرِيَّةِ ص: 787 . انتهت رقم (2) من القسم الثالث، المجلد الثاني ما نصه: «وتقعده به (الضمير يعود على ابن أبي الخصال) قيام صاحبه ابن الحاج أمير قربة بالثورة على ابن تاشفين، ولما استشهد ابن الحاج وولي بعض أশبال المغرب اتّصل به ابن أبي الخصال، ثم انتقل معه إلى سرقسطة، ثم استشهد ابن الحاج فلزم ابن أبي الخصال داره خانقا، وامتد حصوله أيام ابن تاشفين».

(5) أزهار الرياض ج 5 . ص 169 - 170 .

وفيما يخص المحاولة التي رامها الأمير محمد بن الحاج ضدّ علي بن يوسف انظر: البيان المغرب ج 4 ص: 48 - 49 . معجم أصحاب الصدقي لابن الأثير ص 133 .

2 - عصر ابن أبي الحصال :

ساعدت الظروف ابن أبي الحصال أن يواكب مرحلتين من تاريخ الدولة المرابطين : بداية التأسيس لهذه الدولة في العدوة والأندلس، ثم مرحلة الأرج والازدهار والإشعاع إلى أن أذلت شمس هذه الدولة بالأقوال والغروب على يد الموحدين.

إن ببداية دخول يوسف بن تاشفين الأندلس، كما تحدد ذلك المصادر التاريخية، كان قد اتخذ أولاً طابع الجهاد في سبيل الله، ثم تحول بعد ذلك إلى موجة جديدة من الفتح المرابطي، وقد تكون الدولة الشهيرة التي أجب بها المعتمد ولده الرشيد، حين اعترضه على الاستجاد بالمرابطين، لردع ملك قشتالة (حرز الجمال عندي خير من حرز الخنازير)⁽⁶⁾، من الأقوال المأثورة التي تشهد على استئصال أمر العدو، وخطورة المرحلة والإسراع بالامدادات المرابطية التي اعتبرت الاستفجائية دعوة صريحة إلى المشاركة في الجهاد والذود عن الدين المشركي.

لكن يجب لا ننسى أن موقع «إشبيلية» الاستراتيجي باعتباره واسطة عقد الأندلس، قد يكون من الأسباب التي دفعت أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى بداية التفكير، والتخطيط لملك الأندلس، فكانت البداية مع سقوط «قرطبة» في أيدي المرابطين، توالت بعدها فتوحات وإنجازات توّكّد⁽⁷⁾، بلا ريب لمع صفحات جهاد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وأنصتها.

ومن لا شك فيه أنه استطاع أن يعلى كلمة الإسلام، ويقطع طمع العدو. ثم استمر على ذلك ابته على، كما يقول عبد الواحد المراكشي⁽⁸⁾، وأعادا إلى الأندلس معهود أمتها وسالف نضارتها عيشها. فكانت الأندلس في أيامهما حرماً آمناً⁽⁹⁾.

أما المرحلة الثانية التي عاشها ابن أبي الحصال وواكب أحدهما، فتمثل في احتلال، أمير المسلمين علي بن تاشفين سدة الملك سنة 500 / 1106، ولا ننسى أن ابن أبي الحصال كان من الكتاب الأعيان الذين عملوا في ديوان إنشا، هذا الأمير، بل (كان من أقربهم عنده، وأكبرهم

(6) المثل الموثقة ص 44 - 45. وفي بعض المصادر (رعى الحال عندي خير من رعي الخنازير).

(7) انظر مثلاً : البيان المغرب ج 4 - أعمال الأعلام، 163 . المثل الموثقة ص 66 وما يليها - المعجب: 130 . روض القرطاس: ص 100 وما يليها.

(8) المعجب: ص 93.

(9) المصدر السابق.

مكانة لم يدله) ⁽¹⁰⁾. كما كان كاتباً خاصاً لابنه تاشفين في بعض مراحل إمارته بلاد الأندلس، وسنعد على توضيح هذه العلاقة في الفقرة الرابعة من هذا العرض.

وتنتهي المرحلة بتسليم الأمير تاشفين بن علي مقابلة الملك بعد وفاة أبيه سنة 537 / 1142، إلى حين استشهاده سنة 539 / 1144.

وتتميز هذه الفترة كسابقتها بالانتصارات والفتحات الساحقة ⁽¹¹⁾ التي أبلى فيها المرابطون بلا، حسناً، يشهد لهم بذلك جل ما نسبت عليه من مصادر تزخر تلك المرحلة، وثما لا ريب فيه أنَّ جهود علي بن تاشفين أخذت تشجع في النصف الثاني من حكمه إلى الإشارات والغزوات المتتالية على « طبطة »، وقد اضططلع ابنه تاشفين بأمر هذا الجهاد، وجثم نفسه عنا، هذه الميزة بشيماسة وسالة نادرتين، يشهد له بذلك صاحب أخلل قائلاً: (كان بطلاً شجاعاً حسن الركبة والبيضة)، وقد (هزَّ الجيش وافتتح المحسون وتبيَّن العدو، فلم ينهض إلا ظاهراً ولا صدر إلا ظافراً) ⁽¹²⁾. وكادت الأمور تجري مجرها الطبيعي، وشمَّ فتح طبطة على يد هذا البطل التمترني، لولا ظبور طلائع الحركة الموحدية في المغرب، فانشغل أمير المسلمين بهذا الأمر (واضطربت عليه الأمور من لدن ظبُور المهدى عليه، فلم يستتم له أمر إلى حين وفاته) ⁽¹³⁾.

إنَّ انعكاس هذه الأحداث على عمر ابن أبي الحصال فكريًا وأجتماعياً، يبدو جليًّا وواضحًا من خلال تصفُّح أوراق هذا التاريخ، والرتون على العلامات البارزة التي ساعدت على ازدهار الحركة الفكرية والأدبية في طبلة ^{في طبلة}، والله ليصفع القول بأنَّ صورة الأدب الأندلسي، في هذه المرحلة، قد نضحت وبلغت مرحلة من التطور ساعدتها على إنتاج فاذج أدبية يفخر بها هذا العصر. ولا أدَّ على ذلك من الاهتمام الكبير الذي اتجه نحو الاختبارات الأدبية، والتمثل في كلِّ من : الدَّخْرَة لابن بسام، وقلائد العقيان لابن خاقان، بل نستطيع أن نقول: إنَّ هذه الاختبارات التي جاءت لتعكس روح العصر وثقافة العصر، مرحلة تأسيسية لهذا اللون من الأدب

(10) المعجب: ص 173.

(11) انظر تفصيل ذلك في جل المصادر التي أشرنا إليها آنفاً.

(12) أخلل الموسيقى: ص 121.

(13) المصدر السابق: ص 102.

الذي سعرف نوعاً من التطور والازدهار في العصور اللاحقة.

ثم إنَّ للوقوف على قصائد الشَّعر التي نظمت في هذه المرحلة، كافية لتلمس الصُّورة المشرقة التي عرفها الإبداع الأدبي في ظلِّ المرابطين الذين ساعدوا على إثرانه كما وکينا. إنَّ أشعار ابن خفاجة الذي نعدُه، بحقِّه، مؤسِّس هذا اللُّون من الأدب، وهو وصف الطبيعة، وأشعار ابن الرِّفاق (يُثْلِلُ الذِّرْوَةَ الْعَلِيَا لِلشِّعْرِ الْقَدِيمِ الْمَجَدِّدِ، وليس بعدهما إلا تقليد وانحدار) ⁽¹⁴⁾.

أما أشعار ابن بقي القرطبي، والأعمى التطيلي، وابن عبدون فإنَّها تكشف عن الوجه الصَّبور الذي استطاع أن يضفي إشراقة جديدة في تاريخ الحركة الأدبية الأندلسية.

ولذا كانت هذه النَّماذج الأدبية المشرقة تدلُّ على شيءٍ، فإنَّها تدلُّ على إسهام أمراً، المرابطين بالأندلس في إثراه، واغناه، الحركة الأدبية، بل إنَّ مساعدتهم لها دفعت بأمير مرابطي مثل أبي بكر بن إبراهيم بن تبلويت، الذي كان والياً على شرق الأندلس متخدماً من «سرقسطة» متراً له، إلى احتضان مشروع ابن باجة الفلسفى الذي نجده في حقبة مبكرة من حياته العلمية منشغلاً بصناعة الموسيقى ⁽¹⁵⁾. ونستطيع أن نؤكد، ما دمنا في غمادر الحديث عن فيلسوف سرقسطة، الحضور القوي ⁽¹⁶⁾، بل التَّوجيه الذي مارسه على تفكير ابن رشد في البداية ⁽¹⁷⁾، لأنَّ «الجواجم الطبيعية» - وهي ما يمثلُ المرحلة الأولى من مراحل تطور الفكر الرشدي - وخاصة «جواجم السَّمَاعِ الضَّيْعِيِّ» أو «جواجم كتاب النفس» قد كتبت بالهام من ابن باجة، وابن رشد نفسه يصرح بذلك في مراجعته المتأخرة ⁽¹⁸⁾،

ونعود إلى ما كُنَّا بصدده فنقول: إنَّ احتضان هذا المشروع الفلسفى من طرف أمير مرابطي تمَّ على الرغم من أنَّ العصر كان يشهد نقوذ الفقهاء، المتزمتين في المغرب والأندلس نقوذاً

(14) تاريخ الفكر الأندلسي، إنجل جنالك بالتشا، ترجمة حسين مؤنس، ص 124.

(15) لا يملك فيما وصلنا إليه من آثاره، في هذا المجال، إلا رسالة مختصرة في الألحان تجدها في آخر مخطوط أكسفورد، انظر: مزيلفات ابن باجة، جمال الدين العلوي - دار النشر الفribية - ط 1 - 1983 - ص 160، الهاشم رقم 151.

(16) رسائل فلسفية لأبي بكر بن باجة اتصوص نسخة غير منشورة) جمال الدين العلوي، دار النشر الغربية - ط 1 - 1983 - ص 42.

(17) المصدر السابق.

خلق هذا النوع من التناقض بين النقبا، حركات الدولة، الذين يبررون أعمالها، ويضمون تطبيق الشريعة، وبين التأثير النسفي الذي كان يعتقد أشياء تخص التفسير، تفسير النصوص وتنظيم الأمور الدينية في المجتمع.

3- بعض ملامح الترسيل عند ابن أبي الدجال :

لقد كان ابن أبي الدجال معاصرًا لأعلام العصر أمثال ابن سام والفتح بن خاتان وأبن عبدون وغيرهم، وكانت تجمعه بمعاصريه علاقة ودية، وأواصر حميمية تبدو من خلال الرسائل الإخبارية التي تشهد له ببيان قصرت البلاغة على محتده، وألقيت أزمة الفصاحة في يده، وترسقت الخطابة والكتابة باعتزازهما إليه.

وإذا كانت كتابته، كما يقول ابن الخطيب، كالشمس شهرة، والبحر والقطر كثرة، فإن الوقوف عليها، يبيّن مدى توسيع اهتمامات الرجل، وإطلاعه على معارف شتى، استطاع أن يجمع فيها بين الترسيل الناقد، والشعر الرائق، وهو إنماز غزير، بلاشك، حدد صاحب المطلب في خمس مجلدات⁽¹⁸⁾.

من هذه الجهة، تأخذ الكتابة الديوانية والإغاثية عند ابن أبي الدجال شكلاً ميّزاً وخاصاً بالنسبة إلى الكتابة المعاصرة له، ذلك أنَّ ملامح البيان عنده يتزوج فيها الترسيل المسجوع المحكم بالبعد الشاعري الذي تأخذ فيه الكلمة أبعاداً دلالية متنوعة بتنوع معارف صاحبها، تشهد له بتضلعه العريق في أصول الكلمة وأصنافاتها.

ولاشك أنَّ شكل الكتابة الذي تميز به رسائل ابن أبي الدجال، جعلت منه إمام النثر وإنْظم بدون منازع، بل تستطيع أن تقول: إنه أسس لصنعة الكتابة في الأندلس، بحيث لم يطلق اسم كاتب بالأندلس على رجل، كما يؤكّد الفقيه أبو مروان بن مرّة، قبل أبي عبد الله ابن أبي الدجال⁽¹⁹⁾.

اعتماداً على ذلك، أصبحت الكتابات للأحنة تحذر حذوه، وتنهل من معين معرفته، ولاشك في ذلك (مادام هو آخر الكتاب وأحد من انتهى إليه علم الآداب)⁽²⁰⁾.

(18) انظر : المطلب ص 188.

(19) أزهار الرياض : ج 5 ص 169.

(20) المعجب : ص 175.

ثم ألا يكنا أن نضيف، ونحن نتحدث عن خصوصية الترسيل لدى ابن أبي الحصال، شكلا آخر تميزت به الكتابة عنده، امترجت فيه ذاتيته الأندلسية بموضوعية العصر الذي كان يستلهم منه مادة موضوعاته ورسائله. وهو هذا بعد الديني العميق المتمكن في النفس، والروح الراهدة التي تجد في حب النبي صلى الله عليه وسلم وآلله متنفسا لها.

ومن خلال الوقوف على هذه الخلفيات الصريرة والضمنية التي أسهمت في تشكيل الكتابة عند ابن أبي الحصال، يجوز لنا أن نقول أن رسالته اضطاعت بدور التوجيه والإرشاد، لأنها قامت على إرساء، منهاجية الكتابة السلطانية، بصفة خاصة، على أساس ثابتة وواضحة، تخضع، من جهة، لذوق العصر وثقافته، وتتقيد، من جهة ثانية، بضوابط البلاط المراطي، وكذلك المرجعية العامة التي تحدد معالم شخصية الأمير المراطي.

ولا شك أن مراعاة هذين الشرطين يفرضان ذهنية لامعة، وشخصية ذكية تستطيع أن تجمع بين تفتح الأندلسين وذوقهم وحضارتهم، وبين حزم المراطيين وانضباطهم عاطفيا وأخلاقيا. ويجد الأمير المراطي في شخصية ابن أبي الحصال الشروط التي تلام عقليته ومزاجه، فيستطيع بهذه الخدمة السلطانية، إذ نجده كاتبا خاصا لأمير المسلمين على ابن تاشفين لم كتابة لابنه تاشفين، كما أشرنا آنفا، كما اختص بالكتابة للأمير أبي يحيى (أبي يكر) بن أبي عبد الله محمد بن الحاج.

واللافت للنظر، في هذا الإطار، أن الكتاب في عهد المراطيين كانوا يختارون لكتابتهم العلمية والأدبية، وحيثتهم *الجمعيات*⁽²¹⁾ في حين تجدهم في عهد الموحدين يعيثون بعد اختبار ولائهم وإظهار إيمانهم بتعاليم المهدى وخليفة عبد المؤمن⁽²¹⁾.

4 - موضوع الرسائلتين :

إن الرسائلتين اللتين أقام بشرهما هنا، رسالتان رسميتان، كلتاهما في التهنة. فاما أولاهما، فهي خالية من التاريخ، ولكن يظهر من موضوعها، ومن بعض القرآن الوارد في الأبيات الشعرية التي افتتح بها ابن أبي الحصال رسالته، أنها في تهنئة الأمير تاشفين بن علي بولية غرناطة التي ثُمت سنة 523 / 1128، حسب اتفاق جل المصادر التاريخية التي تحدثت عن المرحلة، كما يستفاد منها أنه كتبها، وهو بحضور مراكش.

(21) انظر : ابن عبد ربه الحفيظ، محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، ط 1 - 1992 - بيروت - لبنان - ص

وتتميز الرسالة بالترميم البديع الذي انفرد به قلم ابن أبي الحصال، امتنعت فيه طلاوة الكلمة الشعرية ببيان العبارة الترثية، استطاع أن يكشف من خلال ذلك التزام عن سور بلاغية شهد له بالكمال، لا نستطيع إزاحتها إلا أن تردد مع ابن سَمَّانْ أنه بحق (أسكت القاتلين واستوفى غاية المحسنين)⁽²²⁾.

وأما الرسالة الثانية، فإنها تعدّ وثيقة تاريخية هامة من حيث مضمونها الذي يتعلّق بالحديث عن غزوة من سلسلة الغزوات البطولية الخالدة التي قام بها الفارس المرابطي المغوار تاشفين بن علي.

والرسالة بدورها خلو من التاريخ، فضلاً عن أنها لا تكشف صراحة عن هذه المعركة التي أحرز فيها الأمير المرابطي على النصر البين، ولكن يبدر من خلال تتبع الواقع والمحضون التي ذكرها ابن أبي الحصال في هذه الرسالة، أنها تعني الحملة التي قام بها الأمير تاشفين (قصد العدُّ المنبغ بطليطلة لرفعه عن عقرها ودفعه عن أفقها وقطرها).

ولما كان أمر الحملة متعثراً، حسب ما يبدر في ثناب الرسالة، طرأ تحول في استراتيجية الغزوة، إذ يمّ المحاربون وجواههم شطر «مكادة» و«شتت أولالية»، (نخريراً معااهدهما وزلزلوا قوا عدهما) و(غادروهـا كالرّسم الداـئـرـاـ). وحين فراغـهم من حطم تلك الجـهـاتـ (أخذـوا الصـدرـ باللـؤـاءـ منـشـورـاـ رـاجـمـعـ مـرفـورـاـ وـالـفـتحـ يـشـرقـ لـورـاـ).

ويبدو من خلال القرائن والعلاقات الواردة في سياق الرسالة أنها تعود إلى الخطبة التي تولّى فيها تاشفين بن علي ولالية الأندلس، إذ كان أبو عبد الله بن أبي الحصال في هذه الفترة كاتباً له إلى جانب مؤرخ الدولة المستنصرية أبي بكر الصيّري⁽²³⁾.

ويمكن تحديد بداية هذه الولاية، ونعني بذلك ولاية «غرناطة» و«المية»⁽²⁴⁾، حسب ما جاء في البيان المغرب⁽²⁵⁾ والإحاطة⁽²⁶⁾ بسنة 523 / 1128⁽²⁷⁾.

(22) الأخيرة، القـ. الثالثـ، المـجـلـدـ الثـانـيـ، صـ 787ـ.

(23) انظر : الإحاطة ج ١ ص 450ـ.

(24) أما ولابة قرطبة فإنها لم تنضف إليه إلا في سنة 526 م حسب ما جاء في البيان المغرب ج 4 . 87 . 4ـ، نظم الجمان ص : 199ـ.

(25) البيان المغرب ج 4 ص 80ـ.

(26) المصدر السابق ج ١ ص 449ـ.

(27) أما ابن زرع فإنه لم يعهد بداية هذه الولاية، وكلاً مناطق الإمارة، وإنما أطلق التقول على عمومه (في سنة خمس عشرة وخمسماة جاز أمير المسلمين إلى العودة، وهي أخاه تيسا جميع بلاد الأندلس، فلم يزل عليها إلى سنة شرين فترقى تيس ورثي مكانه الأمير تاشفين بن علي) درر القرطاس ص 164ـ.

في حين لا تستطيع ضبط نهاية هذه الولاية ببطأ حقيقها، وإنما نستطيع أن نقول: إنها كانت في حدود سنة 531 / 1136 أو 532 / 1137⁽²⁸⁾.

ولعلنا من خلال الوقوف على الأحداث الشارikhية التي عرفتها فترة ولاية تاشفين بن علي بالأندلس، على الرغم من ندرة التفاصيل الشارikhية الدقيقة التي أتسمت بها هذه المرحلة الخامسة من حياة الدولة المرابطية، نستطيع أن نرجع تاريخ هذه الغزوة التي تحدثت عنها رسالة ابن أبي الحصال، فنقول: إنه يكاد يغلب على الظن أنها تعود إلى الفترة ما بين 526 / 1131 ، 530 / 1135 وإنها غزوة من أعنف الغزوات التي حلّت بالنصاري، والتي أراد تاشفين منها - فيما نرى والله أعلم - التصاص لأبطال لتونة وزعمائه الذين نكلّت بهم الحرب الغادرة التي شنتها العدو على المسلمين بإشبيلية وإيقاعه بالمسلمين فيها سنة 526 / 1131 ، وكان أمير إشبيلية أبو حفص عمر بن علي بن الحاج قد بُرِزَ إليه (فكانت به الذلة في زهر من المسلمين استشهد جميعهم)⁽²⁹⁾ إن الغزوات المتعددة التي شنتها تاشفين بن علي على النصارى وأشارت إليها جل المصادر التي وقفتا عليها لم تتحدث إطلاقاً عن هذه الغزوة، ولم تشر إليها ولو من طرف خفي⁽³⁰⁾، اللهم ما جا، بصفة الشعيب في بعضها⁽³¹⁾.

(28) يحدّد ابن عذاري حرقة تاشفين عن الأندلس إلى حضره أبيه سنة 531 هـ (ص 96) في حين نجد ابن الخطيب لا يقطع برأي في ذلك (سنة إحدى وسبعين وخمسة وسبعين وقبل سنة إثنين) الإحاطة ج 1 ص 453 . وينفرد ابن القطبان بتحديد خروج تاشفين من الأندلس إلى العدو بعددًا دقيقاً، إذ يقول (رأياز البحر في مصدر جمادي الأولى، ودخل مراكش في أول مرجعي عن هذه السنة بعد سنة 522 هـ) نظم الجمان ص 233.

(29) الإحاطة ج 1 . 452 . 452 . نظم الجمان : 197 . الطرب: 82 - 83 .

(30) انظر مثلاً تراث الأحداث والغزوات لبشا ، من سنة 523 هـ إلى سنة 531 هـ في البيان المغرب (ص 80).

(31) وكذلك الأمر في نظم الجمان أيضًا ، من صنعة 181 وما يليها ، في حين نجد صاحب الحلل الرويبة يكتفي بالإشارة إلى إثنين منها: غزوة الشهيرة بأحواز بطلبيوس ، وغزوة جبل الفصر . أما ابن الخطيب في الإحاطة فقد ذكر من أخبار جهاد تاشفين غزونه لحسن السكة سنة 524 هـ ، وفصل الحديث عنها - ج 1 . ص 451 . وأشار إلى غزوة له عقب مهاجمة النصارى لإشبيلية سنة 526 هـ وهي التي كانت بأحواز بطلبيوس .

في حين نجد ابن أبي زرع يورئ لغزواته في ثلاثة مراحل: جل الغزوات سنة 520 هـ؛ وهناك غزونان تالبان

على هذا التاريخ إحداهما سنة 528 يقظة محمود التي أرخ لها ابن القطبان سنة 527 هـ (انظر ص: 20).

وآخرها غزوة بمحض عتبة سنة 530 هـ (روض القرطاس ص: 164).

(32) أعني بذلك الغزوة التي ذكرها ابن أبي زرع سنة 520 هـ حيث هزم الأمير تاشفين النصارى (بحضور الصباب وقتلهم قتلاً ذريعاً . وفتح ثالثين حصناً من حصين بلاد الغرب ، وكتب بالفتح إلى أبيه) انظر تفصيل ذلك: روض القرطاس ص: 164 .

وما نجد الإشارة إليه هينا ، هو أن سنة 520 هـ التي أرخ فيها ابن أبي زرع لكتبه من غزوات تاشفين بن علي يجب أن يعاد فيها النظر من حيث التقييم الزمني للغزوات والغزوات المرابطية بالأندلس .

من هذه الجهة، كان نشر هذه الوثيقة ضرورياً ولازماً، لأنها محاولة ترمي إلى الكشف عن سجل البطرولات الخالدة التي حفّقها الفارس الممتنع الأمير تاشفين بن علي، فضلاً عن أنها ستجلي صفة أدبية مشرقة من تاريخنا الأدبي الأندلسي الشّرّ، يبرهن فيها ابن أبي الحصال عن أنه كان فارساً في سيدان البيان، وحامل لواء الإحسان لأهل هذا الشأن.

الرسالة الأولى

وكتب أيضاً في المعنى⁽³²⁾ : (الونر)

وردتَ ورودَ مُتَهَّلِّفَةِ الْفَسَامِ
وَسَبَبِكَ وَأَنْتَ هَامَ وَهَامٌ⁽³³⁾
فَهَذَا أَخْتَرُ النَّفَحَاتِ نَصْرٌ
وَهَذَا سِرُّ الْحَيَاةِ وَلَا حِيَاةٌ
وَهَذَا أَخْتَرُ الصَّنْعَاتِ دَكْمٌ
وَهَذَا سِرُّ الْحَيَاةِ وَلَا حِيَاةٌ
يَغْبَرُ الغَيْثُ فِي ظَلِّ الْحَسَامِ
وَمَا اهْتَمَّ الْزُّمَانُ وَطَابَ إِلَّا
يَعْدِلُ سَجَيَّةُ الْمَلِكِ الْهُمَامِ
لَقَدْ فَارَّتْ دِشْتَنٌ⁽³⁴⁾ بِتَاشَفِينِ
وَطَارَ لَهَا بِهِ أَعْلَى السَّمَاءِ
وَمَا نَرَقَ أَسْنِي نَائِلًا مَسْحَلٌ
وَبَيْنَ ظُهُورِهِمْ هَذِئُ الْإِمَامِ
وَلَمْ يَرَنْ⁽³⁵⁾ تَسْدِيهِ وَفَدَ السَّلَامِ
وَلَمْ يَلْمِدْ لِقَضَاءِ حَقٍّ

أطَالَ اللَّهُ يَسَا، الْأَمِيرُ الْأَجَلُ، الْمَلِكُ الْأَوَّلُ الدُّنْضَلُ، وَالْأَنْشَدُ تَهْوِي إِلَيْهِ، وَالْقَبُولُ يُوْضَعُ
لَهُ، وَالْمَحَبَّةُ تُلْقَى عَيْنِهِ، وَالْأَمَالُ تُخْيَى لِدَيْهِ، وَمَقَالِيدُ السُّبَادَةِ وَالسُّبَاسَةِ فِي يَدَيْهِ، وَلَا زَلَّ يَعْوِزُ
الْمَدَى، وَيُرْجِي كَاتِبُ النَّصْرِ وَجِيمُوسَ الْمَهْدِي، وَيَا خَدُوكَلْ ثَيْبَةَ⁽³⁶⁾ عَلَى الْعِدَى، وَهُوَ أَيْدِهُ اللَّهُ.

(32) الضمير هنا يعود إلى ابن أبي الحصال، والمقصود بالمعنى هو (مخاطبة الأمراء).

(33) معنى السبب هنا العطا، والمحيا: الحصب، المطر، وتفيد (هام) الأولى معنى سال من: هي بهم، ولعل الثانية مقلوبة من هام، بضم معنى ذاهب، فيكون المعنى المقصود (بسيل وبذهب).

(34) غرناطة هي دمشق بلاد الأندلس، انظر نفع الطبيع ج 1 ص: 141.

(35) قال الفرق: أرزن قلاتا آزرا قرفته، وأرزنده: عاونته، لسان العرب (أزر).

(36) ثيبة وثيبة ورثة، أخذ الحذر من الأعداء.

لَا يَرَالُ فِي اِنْتِظامٍ مُّتَّقِبَةٍ⁽³⁷⁾، وَافْتِحَامٌ عَقِبَةٌ، وَمَوَارِدٌ وَمَصَادِرٌ مُّرْتَقِبَةٌ، وَمَسَاعٍ⁽³⁸⁾ كُلَّ سَاءٍ لَهَا أَرْضٌ، وَأَدَاءٌ، حَفَّهَا عَلَى الْحَاضِرِ وَالْآدِي فَرْضٌ.

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَنَاهُ عَنْ مَغْزَاهُ رَاضِيًّا، وَلِحَقْوَنِ النُّفُرِ قَاضِيًّا، وَهَبَّنَا لَهُ وَلِلْأَسْلَامِ بِهِ يُسْنَنُ
الْمَأْبِ وَالْمَفْلِ⁽³⁹⁾، وَانْفَتَاحٌ كُلُّ مُرْتَجٍ⁽⁴⁰⁾ مُعْقَلٌ، وَغَزَّوُ الْعَدُوُّ فِي عُقْرِهِ النَّبِيعِ، وَأَمْرُهُ الْجَمِيعِ.
وَلَقَدْ حَلَقْتُ عَلَيْهِمُ الْمَنَابِيَا وَحَامَتْ، لَوْلَا جُدْرُ دُونَهُمْ قَامَتْ، وَسَجَعَلَهَا الْعَرَازِيمُ بِحَوْلِ اللَّهِ دَكَّاً،
وَتَصَكَّبُهُمْ بِوَادِرُهَا صَنَّكًا، سَاعِدَةُ الْقَدْرِ، وَحَالَفَهُ الطَّفْرُ، وَلَازَالَ يَغْزُو وَيَنْتَصِرُ، وَعَدُوُهُ يَصْرُعُ وَيَعْقُرُ،
بِحَوْلِ اللَّهِ وَطَوْلِهِ.

وَأَفْرَأَ عَلَى حَضُورِهِ الْبَلِيلَةُ أَعْمَ السَّلَامُ وَأَوْنَاهُ وَأَبَرَّهُ وَأَخْفَاهُ، ثُمَّ السَّلَامُ الْمَجَدُ عَلَيْهَا
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

الرسالة الثانية

وَفِي الْمَعْنَى لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْخَسَالِ⁽⁴¹⁾ :

كَتَبْنَا بَعْدَ صُدُورِنَا عَنِ الْغَزوِ الَّذِي تَعْنَى فِيهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ بَيْنَ أَمْرِ جَمِيلٍ وَصَبْعِ جَلِيلٍ،
وَعَمَلْ مَبْرُورٍ بِرُفْعَعٍ، وَسَفَى مَشْكُورٍ بِيَضْمَنِ الْمَحَايَنِ الْقَبُولِ وَسَتُوَدَّعُ.
وَنَحْنُ نَشْرَحُهُ لَكَ حِسْبَ اِتْفَاقِهِ، وَنَسْوُقُ الْقَوْلَ فِيهِ عَلَى اِتْسَاقِهِ، لِتَلْقَى فَضْلُ اللَّهِ بِسَا
تَلْقِيَتِنَا مِنْ شُكْرِهِ، وَتَقْدِرُ صَنْعَةَ الْكَرِيمِ حَتَّى يَقْدِرَ عِلْمُ حَدِيدِ عِلْمِ حَدِيدٍ
فَكَانَتْ وَجْبَتْنَا هَذِهِ، تَقْبِلَهَا اللَّهُ، مَغْثُثَةً أَوْلَى عَلَى قَصْدِ الْعَدُوِّ الْمَبِيعِ عَلَى
(طَلِيْطَلَة)⁽⁴²⁾. أَعْدَاهَا اللَّهُ، لِرَفْعِهِ عَنْ عَقْرِهَا، وَدَفَعَهُ عَنْ أَنْقِهَا وَقُطْرِهَا، إِذَا كَانَ الدِّفاعُ عَنْ

(37) وهي الطريقة يعني دارين لا يستطيع ملوكيه، ويقتل هر الطريق الذي تعلو أثار الأرض، وفي الحديث، (لا شفاعة في قتل ولا متقبة) لسان العرب (نقبا).

(38) هكذا في الأصل، وهي غامضة.

(39) من قتل يقتل، إذا عاد من سفره.

(40) مُرْتَج: مُعْقَل.

(41) يقصد معنى (مخايبة الأسراء).

(42) بالأندلس بينها وبين إشبيلية محلة من عشرين ميلا، ومن طليطلة إلى لبلة محلة منها. الرؤوف العطار من:

أهلياً من تواعد الصُّلح وعُثُورِهِ، وشُدُوطِ السُّلْمِ وعَهُودِهِ، فترامت إلى العذر . دمرة الله . الأباء بازدلاً إلينا إليه وورده عيونه⁽⁴³⁾ بقدمنا عليه، فاستشعر المرض روعه⁽⁴⁴⁾، وقضى بهابتنا جمدة، ووردنا الخير بقوله، ونحن إذ ذاك لم نتعد^(خافق)⁽⁴⁵⁾. حرسها الله . فهناك عقدنا الضمير على النسوة لوجهتنا والمسادي نبي غزوتنا، حتى نطا بلاده رطه، مقيس، وتعينا مصانعها كالطريق المعبد، فمررتنا حتى واتينا (قلعة رياح)⁽⁴⁶⁾. حرستها الله . فوصل إلينا بها كتاب عامل (أربيلة)⁽⁴⁷⁾ يذكر أن الجمجمة المنفصل آباؤنا عن « طلبيطة » تألف مرأة في حفل وأقبل يُريد غدر (مضطاسة)⁽⁴⁸⁾ في ثلاثة آلاف، بين حييل ورجل، ودتنا حتى اضطرب محلته « بوادي الرمل⁽⁴⁹⁾ » فاستحررتنا الله على قصده، واستعانت سبحاته على حطمه، وصمدنا تلقاه، وصممتنا لأنثوي إلا لقاء، ووصلنا نحو السير فأدركناه، وحثتنا السفينة ووائتانا، حتى لحقناه « بدار الشائزة»⁽⁵⁰⁾، ليتنا بيتنا ناجز نجيتنا⁽⁵¹⁾، عامدين لطيتنا⁽⁵²⁾.

(43) عَيْنَهُ: جراسمه.

(44) رُوعَهُ: قلبه.

(45) بالأندلس يقرب حصن يضرُّون، وهو حصن حصين، ومعقل جليل، في أهلة نجدة وحزم وجلادة وعز، الروض المعطار ص: 426.

(46) مدينة تابعة لمدينة طليطلة في التقسيم الإداري الأندلسي، وتوصل بأنها حد فاصل بين أرض التصارى وأرض المسلمين، وبعدها الرمازي يأنها شعاليشة قرية وجنبي طليطلة، وأنها تقع على وادي أنه، وهي مسافة في الأغلب باسم التابعي علي بن رياح التخمي الذي اشترك في نفع الأندلس.

راجع : الروض المعطار رقم 150 ص: 162.

(47) في الأصل (أربيلة) : حصن بين سرتة وطلبيطة، من أعمال الأندلس بينها وبين كل واحدة منها عشرة فراسخ استرلى عليها الإبريق في سنة 533 د. معجم البلدان . لياتوت الحمرى . المجلد ١ . ص: 166.

(48) في الأصل مضطامة : والغالب هو ما أثبتناه في المتن: قرية في مديرية مدينة ريال Ciudad Real (قرية من طليطلة)، الخلة السيرامج 2 . 178 . الهاشم رقم (2).

(49) وادي الرمل، سلسلة جبال متrosطة الارتفاع تتفرع عن سلسلة الجبال الوسطى في وسط شبه الجزيرة، وتبعد من هذه الجبال نهر يسمى وادي الرمل يتجه إلى المحيط ماراً بضاحية الأسكنريمال، ويصب في نهر تاجه شرقي طليطلة، وهذا النهر، كما يدل عليه اسمه . جاف معظم العام تقريباً إلا في أوقات المطر الغزير.

انظر: الخلة السيرامج 2 ص: 345 . الهاشم رقم (1).

(50) لم أقف على تحديد موقعها في جل الماجم المغرانية المطبوعة.

(51) من بيبي: قال ابن الأعرابي: بيتك: قصدك . لسان العرب (بيبي).

(52) الطيبة: النوبة.

قوردة أيضاً كتاباً عامل «أرييلية» المذكور، وأن هذا العدو المحتل «بِوادي الرمل» أسر رحلاً من أهل «أرييلية» فعدهم بما أردناه، وأخباره يقصدها إياه، فكع⁽⁵³⁾ عن المصائد، وضفت عن المقاومة، ونكص على اعتابه، ورأى أن وجه الخزم في انقلابه. فحمدنا الله تعالى على ما أرهن من كيده، وأضعف من أيده، ورأينا، عندما صفع لدبنا من خبره وبيهنا من صدره، أن تعجل الفزو إلى جهنمي «مكادة»⁽⁵⁴⁾ و«شتت أولالية»⁽⁵⁵⁾، فتقىدنا نحوهما، وتمتنا بين أنفهما، فقدمنا بين أيدينا من العسكر. آلاء الله. ألقا وخمس مائة فارس، تضيّعهم مغيرة، وتخل بهم دائرة مبيرة⁽⁵⁶⁾. فصبّحوا «مكادة» وأخرقوها من جميع جهانها، وشثوا العارة على ذواتها، واكتسحوا ما وجدوا من غنيمتهم، واستوّغبَ القتل والأسر من ألفي خارج مدinetهم، ثم تلوّاهم نحن في جمعنا الموقر⁽⁵⁷⁾، ولوانا النصر، فقدمناها فما اضطربنا الأنبية، ولا نصيّنا الأخبية، حتى دمرناها تدميراً، وجعلناها هباءً منثوراً، ودام أعداء، الله ثبوتاً فرشّتهم السهام، وطالعهم الحمام، واشتبه عليهم القتال، وضاق بهم المجال، حتى دخلت المدينة عليهم من أبوابها، والجاهم الخضر إلى الترقي في أسبابها⁽⁵⁸⁾، والتعلق بذوابق قصابها، واستبيح حمى المدينة بالقصبة لستعاتها، واعتصموا بذرؤتها⁽⁵⁹⁾ وعمورتها⁽⁶⁰⁾، وكأنوا عدداً جمّاً لا طمع لنا في غالبهم إلا في الأمد الطويل، والاستعداد للليل، فامكنا عليهم بعد أن جد علبهم البلا، وأخذ القتل منهم والسبأ، وقسّ كثيراً منهم الشر⁽⁶¹⁾، والختيم الجرح، وخلاقاً محاولتنا أمر «مكادة»، ألقى

مركز تحقيق كلام المؤلف في علوم مسلمي

(53) كعُ يكعُ كما : جنٌ وضفت.

(54) ذكرها صاحب المغرب في كتاب الملكة الظليلة الذي عنونه: بكتاب «السعادة في حل قرية مكادة».

(55) منها صاحب المغارب في كتاب الملكة الظليلة الذي عنونه: بكتاب «السعادة في حل قرية مكادة».

(56) العباس أحمد المكادي. المغرب - ج 2 . ص: 45.

(57) مدين من أعمال طليطلة بالأندلس، معجم البلدان المجلد 3 ص 366.

(58) مهلكة، من بار الرجال ببور بوراً وبار غيره فهو مبيرة

(59) في الأصل الوقور، وأضفنا اليه لاستامة وزن المتجمعة.

(60) اقتباس من قوله تعالى: «فَلَيَرْتَمِنَّ فِي الْأَسْبَابِ» سورة ص الآية 10.

(61) في الأصل باختلافها.

(62) الذروة والذروة: المكان العالى، ج: الذرى.

(63) غفرة الدار: حولها وقرباً منها.

(64) اقتباس من قوله تعالى: «إِنْ يَنْتَسِكُمْ فَرَحْ لَقَدْ سُنَّ الْقَرْمَ فَرَحْ بِنْلَهُ». آل عمران الآية 140.

إلى «شتت أولادك» من عسكرينا - وفراة الله. من عاجلها بالعنف، وتقتلها بالسيف، فقتل رجائزها، وأسر عيالها، وألعنها ملحق أختها «مكادة» في التفجير، وأخريق المتظير، وصدر عنها وقد زلزل تواعدها، وحرثت معاهدها، وعمليقت بقطع الدابر، وشودرت كالرجم الداير، وشركت شر، باجد العاثر. وحين فراغنا من حطم تلك الجهات، وتدمير تلك الساحات، وأخذنا في الصر(63) باللواء، منشداً، والجمع صوراً، والنسم يُشرق نوراً، فائنا، ولاء الله عندنا حسن جميل، وظل السلام على الأولياء ممدوداً ظليل.

وأخذ الله على ما عرّتنا من الظفر، وسوانا من الغنم الأوفر حمنا يتكلل بزيد النعم،
ويتنضي دوام صنعة الأكرم. لا رب غيره.
وطائعنا لتأخذ من النعمة التجدة بقسمك، وتضرب فيها بسهمك، وتُثبّتها هنالك،
حتى يستوي الأولياء في ذلك، وتبلغ سلاماً عصياً ورحمة الله.



(63) الصدر: الرجوع والعودة.

الرّباط والرّابطات في الأسماء والأثار الإسبانية

تأليف : مikel de EPALZA (مikel de EPALZA)

اليكانت - إسبانيا

تعریف : المسین المعموی

كلية الاداب - القیروان *

الرباط مؤسسة إسلامية ، تدخل عند المسلمين في نطاق الأنشطة الروحية والعسكرية⁽¹⁾ . وقد ترك الرباط منذ ألف سنة من تأسيسه، معالم أثرية وتسميات لمواقع جغرافية مهمة في الغرب الإسلامي ، وخاصة الحصون التي تعهدت بالترميم في سوسة والمستبر بالبلاد التونسية، وهو نفسه الاسم الذي أطلق على عاصمة المغرب الحالية : الرباط (رباط الفتح)⁽²⁾ .

وهناك في إسبانيا اتجاهان يعتنيان بال بتاريخ المعلم انطلاقاً من حفريات تعود إلى العصر الإسلامي، ومن تسميات من أصل عربي للمواقع، هذان الاتجاهان قد جدداً في هذه السنوات الأخيرة البحث في بعده من الأبعاد الأكثر طرافة في الإسلام خلال القرون الوسطى؛ وهو روحانية التطلع للحرب على أساس أن المراقبة نشاط مكمل للجهاد، كما هو سائد في إطار الروح الحربية والنطوعية في الإسلام⁽³⁾ .

(*) تستعمل المختصرات الفالية للنماذج التي كتب بها المراجع. (Ar.) بالعربية، (Fr.) بالفرنسية، (Ang.) بالإنجليزية، (Esp.) بالإسبانية.

1) انظر فصل "رباط" في : دائرة المعارف الإسلامية المختصرة (Shorter E.I.), لندن - لندن، 1961، 473-475.

2) انظر، على سبيل المثال ، تصولا في نفس هذه المجلة لـ L. Golvin (L. Golvin) - ملاحظة حول لفظ رباط (مصطلح هندي) وتأريخه في الغرب الإسلامي (Fr.)، في: مجلة الغرب الإسلامي والبحر المتوسط، (Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée) أبكس - إن- بروفنس ، 5-6، 1968، 95-101. والسيد M. Brett، برات (M. Brett) : منتدى، مرابط، ولبي، ومهدى: 4 أنواع في التاريخ الإسلامي لشمال إفريقيا (Ang.) نفس المرجع، 29، 1980، 5-15.

3) انظر بالنسبة إلى الأنكار المراكبة، أ. وبار (E. WEBER) - ج. رابينو (G. REYNAUD) تقديم م. دي إيلزا (M. de EPALZA) : صلبيّة الأسس وجهاد البرم: التنظير والمارسة للعنف في العلاقة بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي (Fr.)، باريس 1989. وم. دي إيلزا (M. de EPALZA) : المستبر بإفريقية والمستبر بشرق الأندلس ، والتراث الأندلسي في الثقافة العربية والإسبانية (Fr.)، تونس 1991، 95-106.

وقد صدر في هذا الشأن تأليفان جماعيان يثلان هذا الاهتمام المزدوج بالخلفيات وسميات الموضع، توصلًا إلى نتائج في الدراسات الإسلامية لا يُستهان بقيمتها في معرفة المجتمع الإسلامي الكلاسيكي⁽⁴⁾.

وقد فتحت، في إسبانيا الحالية، نتائج البحث في بقايا الآثار والتحف المأثورة للمواضيع المتعلقة بهذه المؤسسة الإسلامية في المجتمع الأندلسي، مجالاً جديداً للبحث في معرفة الإسلام في القرون الوسطى، معرفة من شأنها أن تدقق تدقيقاً أفضل العلاقة المستمرة بين الروحانية الإسلامية وبعدها الجهادي-أو بالأحرى التطوعي - الأكشن تداول.

اكتشاف أثري مثير: مساجد ثواردمار.

اكتشف باحث الآثار الألبكاني (رافائيل أزوار رويز: Rafael Azuar Ruiz)، في ديسمبر 1984، أثنا، حملة تنقيب قصيرة مجموعة آثار تتالف من أربعة مساجد، ثم واصل عمله إلى أن اكتشف ما يصل إلى إثنين وعشرين مسجداً صغيراً مجتمعة في أعلى الكثبان على الشاطئ بجوار مدينة (ثواردمار دال شغورا: Guardamar del Ségura)، الساحلية، على الضفة اليمنى الجنوبية، عند مصب نهر شغورا (Ségora) العظيم في البحر الأبيض المتوسط. وقد نشر الباحث هذا الاكتشاف في مختلف الأوساط العلمية⁽⁵⁾، وفي الكتاب المذكور آنفاً المشتمل أيضاً على وقائع ندرة التأمة سنة 1989⁽⁶⁾.



4) رافائيل أزوار (Rafael AZUAR) (ناشر) *الرّباط زمن الخلقة في كثبان ثواردمار (أليكانتي) الحزن، التقرير الكتابي، الخبرات، والروايات، (أليكانتي، Esp.)*، أليكانتي، 1989، 217 ص. وم. دي إبيلزا (EPALZA) (ناشر): *الرّباط الإسلامي، تاريخ تأسيسه ودراسات جهوية أخرى في ملتقى رباطات الدولة الإسبانية* (7-10 سبتمبر 1989)، سانت كارلس دي لا رابطة (Sant Carles de La Ràpita)، 1993، 359 ص (Esp.).

5) انظر خاصة ر. أزوار (R. AZUAR) *اللاحظات الأولى حول اشتغال الخفيات المفاهيم في الترجم (el Yaci-miento) الإسلامي حول كثبان ثواردمار بشغورا (أليكانتي)*: إمكانية العثور على رباط من عهد الخلقة، شرق الأندلس. دراسات عربية (Esp.), أليكانتي، 2، 1985، ص 125-136؛ وـ رباط من عهد الخلقة في كثبان ثواردمار (أليكانتي)، أعمال ملتقى الخفيات الفروسية الإسبانية . مع III (Esp.), الأندلس، سرقسطة ، 1986 ، ص 505- 525 : إمكانية وجود منتشر في كثبان ثواردمار بشغورا (أليكانتي)، الجزائر الشرقية بالأندلس وعلاقتها بشرق الأندلس في المغرب وأوروبا المسيحية (ق. XIII-VII)، (Esp.)، مدينة دي بولا، 1987، ص 265- 309 : رابطة ثواردمار. ألف سنة تحت الكثبان ، نقاش (Esp.)، بلنسية ، 21 ، سبتمبر 1987 ، ص 22.

6) انظر : رافائيل أزوار (Rafael AZUAR) (ناشر) *الرّباط زمن الخلقة...، 9، 13-17 وخلقة* ، ص 208-215 (Esp.).

وقد قاد السيد أزووار (M. Azuar) في السنوات الأخيرة عدة حملات تنقيب وأشغالاً مُكلفة لترميم الآثار المكتشفة وحفظها. ومنذ ذلك الوقت بدأ ظهور بعض الأبحاث حول هذه الآثار الإسلامية⁽⁷⁾. وهناك تأليف ثان قيد الإنجاز، بإشراف أزووار (M. Azuar)، وليس من سبب تأخير ظهوره إلا الجدل القائم في خصوص الحفريات، بين هذا الباحث والأستاذ المختص في الحفريات الفينيقية بجامعة البكالوريوس ألفريدو فنزلاس براتس (Alfredo Gonza-Prats Iez) الذي يطالب بدراسة عبئية لمدينة فينيقية مهمة كانت قد طُرحت هي أيضاً تحت كثبان قواردماز (Guardamar) في أسفل مستوى الطبقية الشاملة على الآثار الإسلامية⁽⁸⁾.

ولم يكن - قطعاً - اكتشاف ما في قواردماز (Guardamar) ولبد الصدفة، وإنما مهدت له أعمال سالفة يتعين ذكرها.

وللذكر في الدرجة الأولى من بين تلك الأعمال السابقة وجود لوحة تذكارية لتأسيس مسجد، عشر عليها في نهاية القرن الماضي (في سنة 1897) بمناسبة إنشاء لتشييت الرمال بأشجار السرور، أشرف عليها المهندس فرنسيسكو ميرا (Francisco Mira)⁽⁹⁾. وقد احتفظت بلوحة تأسيس المسجد المزخرفة في 944/333 بالتحف الأخرى ببرسية. وقد نُكِّت رموزها، ثم درسها بعد بضعة أشهر من اكتشافها المستعرب الأكاديمي فرنسيسكو كوديرا (Francisco Codera)⁽¹⁰⁾. وهي تحتل مكاناً مرموقاً في أهم قائمات مجموعة الألواح المكتوبة بالعربية بإسبانيا⁽¹¹⁾. ولدى المكان الضبوط الذي تم فيه اكتشافها في منطقة الرمال الممتدة قرابة أربعين كيلومتراً حذو لشاطئه، يقع مجهولاً.

7) انظر أعلاه هامش عدد 4. رضي، فونيارز لورات (S. GTIERREZ LLORET)، خزفيات من العصر الحجري الأندلسي في جنوب إسبانيا في العصر العتيق (Esp.)، البكالوريوس (Esp.)، 1988، ص. 294، 294، م. دي إيبلا (Mikel de EPALZA)، التسليط بالفينيقية ...

8) تقديم منجم فينيقي في المتنقى الثاني للحفريات الفينيقية البرنسية (Fr.) (يابسة، 1987، 1987) في المتنقى الأول حول العصر الحجري في شبه الجزيرة الإيبيرية (مدريد، 1989) وأ. فنزلاس براتس (A. Gonzalez-Prats)، أضروا، جديدة على ما قبل التاريخ في الجنوب الشرقي (Esp.)، البكالوريوس (Esp.)، 1990، جدل في صياغة البكالوريوس بين الباحثين أزووار (Azuar) ورو. فنزلاس براتس (A. Gonzalez-Prats) في أكتوبر 1992 (Fr.).

9) انظر: ميرا و بوتلا (F. Mira y Botella)، إعادة تعبير كثبان قواردماز بشقورة، مدريد 1929، 6-5، (Esp.).

10) انظر: ف. كوديرا و زيدن (F. Codera y Zaydin)، كتابات عربية بقواردماز (Esp.)، المجلة التاريخية للأكادémie الملكية، مدريد XXI، 1987، ص. 31-33.

11) انظر: أ. ليفي برونسال (E. LEVI-Provençal)، كتابات عربية بإسبانيا في أربعة وأربعين لوحة وصورة تمهذجية (Fr.)، باريس لندن، 1931، رقم 95، م. من. برسالو نوراس (M.C. Barcelo)، مقارنة من أجل مدونة للكتابات العربية البلينسية (Esp.), مدينة، بنسبة، Torres XXXIV، 1984.

وقد حُشِّم نشر مستعرين لباحثين، قبل بضع سنوات من اكتشاف المساجد الصغيرة، جَلَبَ اهتمام الباحثين تجاه هذه المنطقة من مصب نهر شقرة (Ségura)، ونحو ماضينها العربي. فقد كان أحدهما بحثاً في الأصل العربي للتسمية "ثواردمار" (Guardamar)⁽¹²⁾ وكان الآخر يزكى تأكيداً توياً على العلاقة بين اللوحة التذكارية لتأسيس المسجد وتسمية الموضع بـ (الدور - Almodóvar)، وهي تسمية يذكرها علماً الجغرافية العرب وتذكرها وثائق أرشيف القرون الوسطى، وعلى الأخص ما كان منها من أصل عربي مصدره غرناطة بنى نصر⁽¹³⁾.

إنَّ هذا التَّدْرِير أو "النَّعْطَف" النَّبْرِي هو المذكور على أنه (موضع) يقع قرب مصب نهر مرية . وكان أزوار (Azuar) قد أشار إلى هذه الصلة من قبل⁽¹⁴⁾.

إنَّ تحديد موضع هذا المدور التاريخي وتصنيفه الخضري لهو موضوع احتسالات كثيرة متضاربة، لا يدو إلى حدَّ الآن أنه أتيَ الدليل على ثبوت أيٍ منها على الوجه الأكمل : فقد يتعلَّق الأمر - رغم أن المصادر العربية لا تذكر شيئاً من هذا القبيل - بوجود مدينة مهمة مدفونة تحت الكثبان قرب المساجد الصغيرة⁽¹⁵⁾ ، وقد يحتمل أن يكون الموضع معلماً آثرياً من العهد الإسلامي يقع على قسم الهضاب في الموضع المعروف بمحكمة التَّنتيش الكبرى (Inquisición Grande) قرب المعطنات الأخيرة لنهر شقرة (Ségura) على بعد ثلاثة كلمترات من مصبَّه بين ثواردمار (Guardamar) وروخالس (Rojales)⁽¹⁶⁾ . وقد يحتمل أن يقع "الموضع" بفتح الباءة في المكان الحالي لقرية والقصر العربي القديم بثواردمار (Guardamar) في الموضع المعروف بالذكرة (Redonda) المحتمل اشتراق تسميتها من اللُّفظ العربي "الدور" (méandre). أي "المَحَاط"

جزء تertiي ثكميور علوم مسلحي

- (12) انظر . دي إيبلازا (M.de EPALZA) "رسم موضع ثواردمار، ثواردمار (وادي الكثبان)" ، سهل العرب (الوادي المُرّ Rio Amargo) - و مسليون (Mesleon) نزل العيون (Posada de) ثلاثة أيام، أماكن عربية دخلت نفس اللغة الرومنية (Esp.) ، مجلة معهد الدراسات الأثيوكاتية، أليكتات، 29. 1980. ص 205-214 ; 38. 1983. ص 89-99.
- (13) انظر م. س. برسيل توراس (M. C. Barcelo Torres) ، "الدور" أهالي من كسرة تدمر مدفونون في كثبان ثواردمار شقرة (Esp.) ، سعادى ، بلدية ، XXV. 1985. 71-59.
- (14) انظر: ر. أزوار رويس (R. AZUAR Ruiz) دراسة حول القلاع الأنباكتية القرسطنية (Esp.) (في منطقة المغرب) أليكتات، 1979. ص 123-214.
- (15) انظر: ر. أزوار (R. AZUAR) الرياط في عهد الخلافة ... ص 213-214.
- (16) انظر: أغريسا مرفاز (A.Garcia Menarguez) " حول تحديد موقع الدور ، في مصب نهر شقرة ، شرق الأندلس. دراسات عربية (Esp.) ، أليكتات، 6. 1989. ص 149-157.
- (17) انظر: م . دي إيبلازا (M. de EPALZA) ترٹشة لدراسة الرياطات والمدن: قرية الدور (Esp.) الرياطات الإسلامية ... 95-98؛ أغريسا مرفاز (A.Garcia Menarguez) ، المرجع أعلاه . ص 150.

إن اكتشاف المساجد في الموضع الذي استخرجت منه اللوحة التذكارية التأسيسية المحفوظة في المتحف الأثري بمر西ة (Murcie) كان في النهاية نتيجة مقاربة مزدوجة تمثل في :

- التأكيد بحثاً عن منبع ما، في الكثبان ، لأنه يمكن أن يكون مؤشراً على وجود مسجد قريب، في حاجة إلى الماء الصالح للطهارة في عادات المسلمين (وهذا هو طرح اختصاصية في الإسلاميات، الأستاذة ماريا خيسوس روبيارا ماتا (Maria Jesús Rubiera Mata) وهو طرحي أنا أيضاً، في بحث وقع الشروع فيه بمعونة طلبة من الجامعة، ينتهيون إلى قرية ثواردمار (Guardamar)⁽¹⁸⁾.

وبالاعتماد على أبحاث السيد أزوار (M. Azuar) المنطلقة من البحث في بعض العالم الأثري المشرف على الكثبان، وبالتدقيق في مكان بجانب موضع يسمى لا فونتيتا "الخنفية الصغيرة" (Fonteta)⁽¹⁹⁾.

إن عملية اكتشاف أربعة مساجد، ثم اكتشاف ما يصل إلى إثنين وعشرين مساجداً صغيراً مجمعة يعتبر أمراً ملفتاً للنظر ومثالاً فريداً يعرف في الإسلام*. وهذا من شأنه أن يطرح سالة طبيعة هذا الموضع الخاص بالعبادة الإسلامية.

وهناك ثلاث فرائن تحمل على مزيد التوضيح فيما يتعلق بدراسة الروابط والرابطات الإسلامية وهي:

- انتقال رباط المستبر، بتونس، على مسجد ثان يسمى مسجد النساء، (وهو اقتراح قدّمه روبيارا ماتا (Rubiera-Mata) متبنٍ في ذلك المائلة بين الربطات في التسمية الإنسانية والرابطات حسب أوليفر آسين (Oliver Asin)⁽²⁰⁾).

- ما افترضته من أنَّ هذا الموضع ينطوي مع موضع الرابطة (المستبر) القائمة في شرق الأندلس (Xarc-al-Andalus) وقد ذكرها المغربي ياقوت الحموي وحدد مكانها بين أليكانت (Alicante) وقرطاجنة (Cartagene)⁽²¹⁾.

(18) انظر: م. دي إبيلزا (M. de EPALZA) مستبر إفريقية ...، ص 97-98. وحول احتياجات المسلمين للماء، انظر النايلف جماعي لـ م. دي إبيلزا (M. de EPALZA) (ناشر): الماء، والسكان المسلمين /، (Esp.) بنيسا (Penisa) 1988، وم. دي إبيلزا (Penisa) (ناشر): الحمامات العربية في منطقة بلنسية (Esp.)، بلنسية 1989.

(19) انظر: ر. أزوار (R. AZUAR) الربط في عهد الخلافة ... ، ص 15.

(*) يبقى هنا الأمر قابلاً للنقاش بسبب صورة مائلة لهذه المساجد في «سدراته» قرب «ورجلان» في الجزائر، وفي المدينة الترورة، فيما يُعرف بـ «المساجد السبعة» (الغرب).

(20) انظر: ج. أوليفر آسين (J. Oliver Asin) "التونسون في إسبانيا من خلال أسماء المراضع" ، الكراسات التونسية، تونس XVIII/ص 69-70، 1970 : ج. مارسي (G. Marçais) ملاحظة حول الربط في بلاد البربر، مجموع في التاريخ والحضارات في الغرب الإسلامي (Fr.)، الجزائر، 1957، I، ص 36-23: ل. غولفان: المرجع المذكور

(21) انظر: م. دي إبيلزا (M. de EPALZA) . المستبر في إفريقية ...، ص 95-99. نص ياقوت، معجم البلدان ط. ف. درستيفيلد، ليزييف، 1866-1872، IV، 621، ط. القاهرة 1324/1901، م. 8، 176، والترجمة الإنسانية لـ ج. عبد الكريم، إسبانيا الإسلامية في كتاب يالوت (ق XII-XIII)، غرناطة 1974، 292.

- النقوش الكتابية المحفوظة على جدران مساجدين من المساجد الصغيرة والشيء ترددت فيها عبارة: (دخل هذا الرابطة، (كذا) (22).

إنَّ هذا السبب هو الذي دعا عالم الحفريات أزوار (Azuar) أن ينعت هذا الموضع بـ "رابطة الخلافة" (وقد دعته أيضاً إلى ذلك سنة تاريخ تأسيسها، المحددة حسب اللوحة بسنة 944/333، وهو تاريخ في صميم عهد الخلافة الأموية بقرطبة على الرغم من اكتشاف بقايا مواد إسلامية تعود إلى عهد متقدم تحت المسجد الذي حفظت فيه اللوحة المذكورة) (23). وإنَّي أفكُر - اعتماداً على نص باقى المحموي وعلى المفردات العربية التي لها صلة بلفظ رباط أن مجرِّع [المسجد] كان يسمى منستيراً، أو أنَّ كلَّ مسجد من المساجد الصغيرة كان يسمى رابطة (24).

وهكذا نبانَ هذه المؤسسة الإسلامية تفتح مجالات للبحث متعددة ومتنوعة الاختصاص، انطلاقاً من بقايا المواد المحفوظة تحت كثبان قوارد مارداش شفورة، وهناك، بالإضافة إلى تحليل هذه الأشياء (خاصة المصايبع الصغيرة...) احتمالات كثيرة مطروحة حالياً بين المختصين حول ترعرعه هذا المجتمع الأثري الفريد: نهل هو حصن عسكري؟ أو جانب من مدينة الدور؟ أو رابطة للتتسك؟ وهل الجدران القائمة إسلامية أو فبنيتية؟ وبيدو لي - من زاوية نظر دينية، وحسب الدراسات الإسلامية - أنه ينبغي أن توضع قبل كلِّ شيء مسألة الموقع الحربي لهذا المجتمع الأثري وطبيعته العسكرية.

وأعتقد أنَّ الموضع كان نظرياً موقعاً استراتيجياً (فهو على الشاطئ؛ وفي مدخل نهر شفورة (Ségora)، ومنه كان دخول بحارة شفورة في القرن 9/3 إلخ.). ولكنَّ هذا المجتمع الديني لا يدخل ضمن شبكة الخطط الاستراتيجية للحماية والمراقبة العادلة التي تؤمن بها قرطبة ساحل تدمر (Tudmir) (أراضي مقاطعتي مرسية (Murcie) وأليكانت (Alicante) حالياً). إنَّ هذه المراقبة السياسية والعسكرية كانت تقوم بها شبكة تابعة لسلطة الدولة من مدن قلاعية قائمة على طول طريق أاشيلت الروماني القديمة (Via Augusta) التي أعاد المسلمين استعمالها وتهيئتها (لورقة، مرسية، أربولة، أش، أليكان، شاطبة،

(22) انظر: س. برسالو (C. Barcelo)، "الكتابات العربية وقوارد مار" (Esp.)، الرباط في عهد الخلافة، ص 185-195.

(23) انظر: ر. أزوار (R. AZUAR)، الرباط في عهد الخلافة....، ص 195-183.

(24) انظر: م. دي إپالزا (M.de EPALZA) توطئة حول أصل ومعنى وتطور كلمة الرباط (Esp.): الرباط الإسلامي، ص 66



بنسبة⁽²⁵⁾. أما في خصوص الطبيعة العسكرية لهذا المجتمع الأثري (وليس من الصدفة) من وجهة نظر علم الآثار أن تكون الجدران فنيقة فمن الأخرى أن تعزى إلى روح الشيطان الإسلامية للمرابطة لا إلى الجهاد، أي إلى الازدواجية القائمة باستمرار بين الأصل الحربي (روح) النطوع في الدين الإسلامي موضوع الحديث لاحقاً⁽²⁶⁾.

والفعل، وحسب الدراسات الإسلامية، إن اكتشاف المجتمع الأثري المرموق بهضاب ثواردمار دال شقورة كان عاماً في غاية الأهمية، من شأنه أن يجدد البحوث حول الرباط والرباطات والروابط والمستيرات والزوايا في إسبانيا. وهي مُؤسسات ومبانٍ نموذجية في الإسلام الكلاسي تمَّ في الأندلس بصورة عامة.

دراسة التسبيات: ربيطة، ربيدة، رابطة (Ràpita, Ràpida, Ràbita، رابطة). لقد جددت دراسة الرباطات، بصورة موازية، ويقطع النظر عن اكتشاف ثواردمار، مبادرةً منبثقة عن مقايرية لغوية لأصل الواقع الجغرافي. وذلك بتنظيم جمع من الباحثين التسعين إلى مدينة قطلاتبة صغيرة، هي "سانت كارلس دي لا رابطة" Sant Carles de La (Ràpita) (في مقاطعة طرخونة Tarragona) جنوب مصب نهر الإبر Ebre)، من ذوي الشغف بالتاريخ المحلي، ملتقي في سبتمبر 1989. وهذه المجموعة "أركل" Arrels (يعني "جذور" في القطلاتبة) كانت تقودها شخصية محلية قوية، هي ثالبيري بوري Valeri Boel (Boc)، وكانت غايتها أن تجمع أثنا، المتلقى بين عاشرين تقريباً متكمليين وهما: القيام بترأسة بين سكان من إسبانيا يشتغلون في تسمية مشتقة من اللفظ العربي رابطة (طرخونة، ولاية Lleida)، وبرشلونة، وسيرة، ووالبة (Huelva)، وجيان (Jaén).

مِنْ تَحْتَ زَمْنَهُ كَامِلَةٌ عِلْمُ الْمَسْلِمِ

(25) انظر روبييرا (M.J.RUBIERA) مذكرة ثلثة وطرق الرسمانية والعربي (Esp.), ألبكانت، 1985، وملوك الطوائف في دائمة، ألبكانت 1985، 1988 (ط2).

(26) انظر دراسات شاملة تتعلق بالأندلس لـج. أوليئار آسين (J. Oliver Asin)، الأصل العربي للرباط والرابطة ومرادفهما. مساهمة في دراسة الخطوط العسكرية في التاريخ القروسطي من خلال معجم الناظ شبه الجزيرة الإيبيرية، المجلة التاريخية للأكاديمية الملكية، مدريد XV، 1928، ص 347-395، 542-496، لـ. توراس بلباس (L. Torres Balbas)، "الرباطات الإسلامية الإسبانية" (Esp.)، (مجلة) الأندلس، مدريد XIII/2، 1948، 475-498، ومقالات مختلفة، مدريد، مع 4، 1982، 157-174؛ م. دي إپالزا (M.de EPALZA) (ناشر. توطئة للدراسة)، ص 61-107 (Esp.)، ومؤلفون آخرون، الرباطات الإسلامية

وشرناتة ، والمرية ...) ، والجُمُع أَيْضًا فِي مؤْثِرٍ عَلَيْيِّ ، بِحُضُورِ خَبْرَا ، فِي مُخْتَلِفِ الْمِيَادِينِ ، اَتَى لَهَا عَلَاتَهُ بِهَذَا الْاَسْمِ الْعَرَبِيِّ (لِسَانِيَّة ، دِينِيَّة ، هَنْدِيَّة ، تَارِيْخِيَّة ... إلخ) . وَكَنْتُ تَدْرِيْسَ اِدَارَةَ الْعِلْمَةِ بِوَصْفِي أَسْتَاذَ الدِّرَاسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ بِجَامِعَةِ الْبِكَانِتِ ، فِي نَفْسِ الْحِبْرِ الْلَّغُوِيِّ التَّرْدُوجِ (الْقَطْلَاطِيِّ - التَّشْتَالِيِّ) بِالسَّاحِلِ الإِسْبَانِيِّ مِنْ الْبَحْرِ الْأَبِيسِ الْمُشْوَطِ . وَتَدْرِيْسَ جَمِيعِ هَذَا الْمُؤْتَرِ جَمِيْرَارَا مُحَبَّ شَنْبِرَا بِخَبْرَا ، إِسْبَانِيِّينَ وَعَرَبَ فِي شَوْرَنَ ، اِنْرِيَّاطَاتَ ، كَمَا جَمِيعُهُمْ بِبَعْضِ الْمُؤْرِخِينَ أَصْبَلَيِّ الْجَهَةَ أَمْدَوَ الْمُحْسُرَ بِعِلْمَوْمَاتِ تَارِيْخِيَّةَ مُتَوْزَعَةَ حَوْلِ الْمَاضِيِّ الْعَرَبِيِّ لِمَنْطَقَةِ طَرْفَوْشَةَ عَنْدَ مَصْبَبِ الْأَبِيرِ . وَقَدْ جَمِعَتِ الْإِسْهَامَاتُ الْعِلْمِيَّةُ لِهَذَا الْمُتَشَقِّيِّ فِي مَجْلِدِ ذُبِيلِ بِنْهَارِسِ هَامَةَ وَضَعَبِنَا فَرْنِيْسُكُو فَرْنِكُو- سَانْشَازِ (Francisco Sánchez) ⁽²⁷⁾ . وَيَبْغِي أَنْ يَعْدَنِي السَّنَوَاتُ الْمُقْبِلَةُ مُثْلِ مُلْتَقِيِّ سَنَةِ 1989 مَعَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى ظَاهِرَةِ التَّوْأْمَةِ بَيْنِ السُّكَّانِ - بَنِي ذَلِكَ الْمَدِنِ وَالْقُرَى الْعَرَبِيَّةِ ، وَالْمَالَطِيَّةِ ، وَالْإِيَّالِيَّةِ ، الْحَامِلَةِ لِهَذَا الْاَسْمِ - مَعَ مَا يَنْبَغِي رَصْدُهُ مِنْ إِمْكَانِيَّاتِ لِتَوْسِيعِ مَجَالِ الْبَحْثِ فِي اِنْرِيَّاطَاتِ عَلَى مُخْتَلِفِ الْأَصْعَدَةِ . وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ أَعْمَالًا سَابِقَةً دَرَسَتِ أَيْضًا تَسْمِيَةَ الرِّيَّاطَاتِ ، وَتَدَّ كَانَ مِنْ أَكْثَرِهَا اَعْتِبَارًا بَحْثَ "خَائِمِ أُولِيَّشَارَآسِنِ" (Jaime Oliver Asin) حَوْلَ الْأَسْمَاءِ الْمُشَتَّتَةِ مِنَ الْأَصْلِ الْلَّاثِي الْعَرَبِيِّ (أ.ر.ب.ط.) . الْمُبَشَّوَّثَةُ بَيْنِ مَفَرَّدَاتِ الْلُّغَاتِ الْرُّوْمَانِيَّةِ وَبَيْنِ أَسْمَاءِ أَسَاكِنٍ شَبَهِ الْجَزِيرَةِ الإِبِيرِيَّةِ ، إِلَى جَانِبِ مَعْطِيَّاتِ أُخْرَى لِغَوِيَّةِ وَجَغْرَانِيَّةِ وَتَارِيْخِيَّةِ وَإِسْلَامِيَّةِ أَخْذَتِ مِنْ بَقِيَّةِ نَوَاحِيِّ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ ⁽²⁸⁾ . ثُمَّ إِنَّ أُولِيَّشَارَآسِنِ (Oliver Asin) زَادَ - نَيِّ العَشِيرَاتِ الْمَوَالِيَّةَ - نَيِّ تَدْقِيقِ الْعَلَاقَةِ بَيْنِ أَسْمَاءِ الْأَسَاكِنِ الْإِسْبَانِيَّةِ الْمُشَتَّتَةِ مِنَ الْبِيُونَانِيَّةِ الْمَعَرَّةِ "الْمَسْتِيرِ" ، وَالْأَسْمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُشَتَّتَةِ مِنَ الْأَصْلِ (أ.ر.ب.ط.) ⁽²⁹⁾ . وَقَدْ كَانَ بَحْثُ أُولِيَّشَارَآسِنِ (Oliver Asin) أَيْضًا مُتَمَحُورًا حَوْلَ الطَّابِعِ الْحَرَبِيِّ وَالْدِينِيِّ لِهَذِهِ الْمُؤْسِسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ خَلَالِ الْقَرْوَنِ الْوَسْطَى . وَكَانَ مِنَ الْبَدِيهِيِّ أَنَّ يَضَعِّفَ مِنْ هَذِهِ الْإِنْفَاظِ وَهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ بِذَخْرِهَا فِي الْلُّغَاتِ الْرُّوْمَانِيَّةِ طَابُعُهَا الْدِينِيُّ الْإِسْلَامِيُّ

(27) انظر الـرِّيَّاطَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ ... وَتَوْطِنَةُ لِدِرَاسَةِ دَمِ دِي إِيْلِزا (M. de EPALZA) ، بِالْكُتُلَانِيَّةِ (ص 59-95) ، وَبِالْإِسْبَانِيَّةِ (ص 61-107) - وَدِرَاسَاتِ مُعْمَقَةٍ تَعْلَمُ بِخَلْلِهِ وَالرِّيَّاطَاتِ . تَأْلِفَ د. بِرَامُونْ (D. Bramo) ، وَم. مَارِينِ (M. MARIN) وَم. إِسْپِنَارِ (M. ESPINAR) وَج. أَبِلَانِ (M. ABELLAN) ، وَف. الدَّشَراوِيِّ ، وَج. شَيْعَةِ ، وَف. فَرْنِكُرِ (F. Franco) ، وَب. كَانُوِ (P. CANO) ، وَس. بِيَارِنَا (C. Biarnés) ، وَج. أ. غُرْمَازِ صَانِعَرَانِ (J. A. Gomez Sanjuan) ، وَهِيَ أَعْمَالٌ سَتَقْدِمُ لَاحِقًا مُشَفَّرَةً بِتَفَاصِيلٍ ضَانِيَّة.

(28) انظر: ج . أُولِيَّشَارَآسِنِ (Oliver Asin) J. Oliver Asin (Esp.) الأَصْلُ الْعَرَبِيِّ ...

(29) انظر: ج . أُولِيَّشَارَآسِنِ (Oliver Asin) J. Oliver Asin (Esp.) "الْتَّرْنِسِبُونُ فِي إِسْبَانِيَا".

المميز، وهو ما زاد في الرفع من درجة دلالتها الحربية إلى أقصى حدٍ. ولم يكن من السهل هنا أيضاً تمييز العنصر العربي في الإدارة السياسية الإسلامية تسيزاً واضحاً من العنصر النطوي في الروحانية الفردية والجماعية عند المسلمين. ورغم ارتباط هذين العنصرين ارتباطاً وثيقاً في الخطاب الإسلامي، فإنه يمكن تحليل كلِّ منها على حدة كما هو الشأن بالنسبة إلى الرياط والجهاد في علمي الكلام والفقه الإسلاميين.

إنَّ دراسة نسبة الواقع التي كانت محور بعض المساهمات المهمة في مذكرة مدينة سانت كارلس دي لا رابطة (Sant Carles de La Ràpita)، قد وسعت المعرفة بواقع الرياطات، وذلك بالاعتماد على نصوص جديدة ساهمت في معرفة أنصل لتاريخ هذه الواقع، خصوصاً في مملكة بنو نصر بغرناطة⁽³⁰⁾، وجيان⁽³¹⁾ ووادي الأير، وشرق الأندلس⁽³²⁾، وفي قطلانية، وفي سانت كارلس دي لا رابطة نفسها (Sant Carles de La Ràpita)⁽³³⁾. وقد طور المزتر أيضاً، باعتماده على نصوص جديدة من العصر الإسلامي والعصر المسيحي، المعرفة بما كان قائماً من انتلاقات واحتلالات بين الرياط والرابطه والمستبر والزاوية⁽³⁴⁾.

(30) انظر . إسبنار موريتو (M. ESPINAR MORENO) وج . أبلان بيريز (J. ABELLAN PEREZ) "الرياطات الإسلامية في الأندلس: الفصادر والباحثون" (Esp) الرياطات الإسلامية ...، ص 131-175 . والدراسات التقديمة لم . إسبنار موريتو (M. ESPINAR MORENO) وج . مرتيناز رويز (J. Martínez Ruiz) "قرية منتشرة في أواسط القرن 16 . كراسات المكتبة الإسبانية بطنوان" . تطوان ، 23 - 24 ، 1981 ، ص 191-278 : وج . مرتيناز رويز (J. Martínez Ruiz) "العالم الدينية الإسلامية في غرناطة الورسكية (لغة متأخرة)" (Esp) : في: عبد الجليل التميمي (ناشر) . تطبيق الشعائر الدينية عند موريكيي الأندلس (1492 - 1609) . زغوان (تونس) 1989 ، 137-121 .

(31) انظر ب . كانو أفيلا (P. CANO AVILA) ملاحظات حول القلعة الملكية (جيان) (Esp) "الرياطات الإسلامية" ...، 217-224 .

(32) انظر: ف . فرنوكو شاز (F. Franco Sanchez) "رياطات المستبر وشمال شرق شبه جزيرة الأندلس" (Esp) ، الرياطات الإسلامية ... ، ص 191-210 .

(33) انظر . برامون (D. Brámon) . "ربط الكسكال عند مصب نهر الأير" . الرياطات الإسلامية ...، 109-120 . مجموعة دراسات حول الرياطات . نفس المرجع ، ص 211-215 : ج . آ . غوماريز سانخوان (J. A. Gomez Sanjuan) . الربط التسلسي (Esp) . نفس المرجع ، 253-266 : آ . مانشنت (A. Manent) . الربط في سهول طرخونة ، سلسلة الجبال الذهبية (Esp) . منتسرات عدد 374 ، فيفري 1992 ، 114-115 .

(34) وذلك بالاعتماد على أعماله، م. إسبنار موريتو (M. Espinar Moreno) - ج. أبلان بيريز (J. Abellán Pérez) ، ن. م. م. ماين (M. Marin) ، «المجاهدة في الرياط ببايرقينا» (Esp) في : الرياطات في عهد المخلافة ... ، ص 199 - 207 ، والربط في الأندلس وفي شمال إفريقيا (Esp) في : الرياطات الإسلامية ... ، ص 121 - 130 : وفرحات البشاروي : دور الرياطات في الجهاد العربي في القرن الوسطى (Arb.) ، في الرياطات الإسلامية ... ، ص 177 - 186 ، جمعة شيخة : والرياطات في كتب الطبقات ، (Arb.) الرياطات الإسلامية ... ، ص 187 - 190 .

ولكن وللمرة الثانية ، إن دراسة نصوص تاريخية تتعلق بهذه المؤسسات وبهذه المسئيات ، لهي مما يؤكد الازدواجية المشار إليها قبلُ بين الأصل الحربي والأصل التطوعي في الإسلام⁽³⁵⁾ .

العنصر المركزي في هذه الباحث: التأسيس الإسلامي للرباط.

يسطيع المرء أن يطرح بعض المسائل الجديدة حول روح التطوع للجهاد في الإسلام في معرض الحديث عن التأسيس الديني للرباط والمباني الشديدة في القرون الوسطى التي تركت آثارها في التراث وفي تسمية الواقع الإسبانية (رباطات ، رابطات ، منابر ، زاوية ، وجمعيات ...) . ولا يعني ذلك بداعة هنا الدخول في جميع المسائل التي طرحتها البحوث في هذه السنوات الأخيرة في جميع الميادين .

I. المراقبة ، حل تطوعي بديل عن الجهاد الإسلامي .

إن أهمية العامل الحربي في الدين الإسلامي ، منذ البدء ، مشهورة جداً⁽³⁶⁾ . فقد انتظم الإسلام في القرن 1 / 7 برسمة في صورة دولة ، أو في صورة هيكل دولة عاصمتها المدينة، وأشتمل على كل المؤسسات المؤلفة لتنظيم دولة بما في ذلك المؤسسات الحربية .

فمحمد [صلى الله عليه وسلم] هو في نفس الوقتنبي حامل لرسالة إلهية ، ورجل سياسة يتغدو أتباعه نحو حياة جماعية تقوم على بنية الدولة. وسيستعمل لبذه التبادلة السياسية - الدينية ولنشر رسالته جمسيع الوسائل المتاحة له بما في ذلك الوسائل العسكرية⁽³⁷⁾ . ويصور القرآن والستة هذه السمة العسكرية لرسالته في صورة عنصر قد تداخل بين عناصر أخرى للدين الإسلامي ، غاية في المخصوصية.

(35) انظر م. دي إيبليزا (M. de EPALZA) في المرجع المذكور أعلاه، 98 - 99 .

(36) انظر : فصل «جهاد» في : دائرة المعارف الإسلامية المختصرة Shorter E. I. 89 (I.) (Esp.)؛ وف. م. بريغا، F.M.PREJA (إسلامولوجي ، مدريد، 1952-1954 ، I ، 1954-1955 ، 555 - 558)؛ وأ. قبيسار - E. WE - BER - ج. رابينو (G. REYNAUD) المرجع المذكور أعلاه.

(37) اعتمدت في موضوع بنية العناصر العسكرية في السياسة الدينية لمحمد [صلعم] بمقال - محمد : الرجل في بعد التاريخي وقيمته الأخلاقية (Esp.) لم . دي إيبليزا (M. de EPALZA) في : دراسات فلسفية وأدبية . مجلة جمعية الفلسفة في المغرب ، الرباط ، 2 ، 1977 ، 68-82 . (الترجمة العربية ، نفس المجلة ، 4 ، 1979 ، 80-46).

وهكنا أخذ الجهاد (أو الحرب المقدسة) الذي يعني، عند صاحب العقيدة، "كلَّ عمل صالح مبذول" ، أهمية متزايدة على أنه جُهد عسكري جماعي وطني (في سبيل الله) ذلك أن خطر الحرب المتمثل في الموت أثنا، القتال يحتم وجود سلطة هيكلية تدفع إلى الإذعان لقيم سامية مثل: (الكلَّ في سبيل الوطن، عند الجيش الإسباني) والتَّبَشِير بالجنة الذي يعد به الدين كلَّ من يموت "شهيداً" (شهادة الإيمان، شهيد، مستشهد) في الجهاد في سبيل الأمة الإسلامية (يعتبر الإسلام الاستشهاد في سبيل الأمة ، وفي الحروب الوطنية التي تنظمها السلطة الإسلامية المؤهلة استشهاداً مقبولاً، ولكنه يرفض الاستشهاد الفردي - الذي ينبغي تجنبه - عن طريق التقىة أو الكتمان⁽³⁸⁾). ومن هنا تظهر الأهمية المترف بها لهذا الواجب الجماعي للجهاد في الإسلام ، ولهذا العمل الصالح المبذول في سبيل الله ، وهو الواجب الذي يعني الأمة الإسلامية بتمامها، والطريق الأقوم المتحم على كلَّ سلم اتباعه للفوز بالجنة في الحياة الأخرى. وقد اعتبر هذا الواجب العسكري أحياناً بشارة الرُّكن السادس من أركان الإسلام، بعد الأركان الخمسة المألوفة (الشهادة والصلوة وصوم رمضان والزكاة والحج)⁽³⁹⁾ . إلا أن تاريخ الأمة الإسلامية قد ملىء، منذ السنوات التي تلت وفاة الرَّسُول [صلعم] ، بالانحرافات عن هذا المبدأ والتَّأويلاط التشعُّبية له ، وحتى عند حدوث مواجهات بين المسلمين، يتذرع في ذلك بالطابع المقدس "للجهاد" وبالجزء منه في الآخرة. وهذا هو السُّبُب الذي جعل فقهاء، الإسلام وعلماء، الكلام يبتُّون تدريجياً تشريعاً صارماً حول هذا "الجهاد المقدس" ، مستندين على نصوص القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة. وهو ما جعل فرض الإسلام لمارسة الجهاد عسكرياً أمراً غير قابل عملياً للتطبيق بسبب القيود الفقهية والنظرية الموضوعة للقيام به .

فالمسلمون المقظرون دينياً على الأهمية التي يوليهما الإسلام للجهاد وما ينجم عنه، من وعود بالجزاء، بوصيَّة متنفسٍ متعاقبة للخلاص ^{كما تُؤكِّد ذلك آيات قرآنية كثيرة جداً وأحاديث نبوية} . يشعرون بضرر من الإحباط بسبب عدم استطاعتهم إثبات جميع ما يرومون تحقيقه من الواجبات الإسلامية بتحقيق الجهاد. لذا مارس المسلمون المرابطة باعتبارها نشاطاً تعريضياً ، لعدم إمكانية قيامهم بالجهاد. وتضع كتب الفقه المرابطة مع الجهاد في نفس الباب⁽⁴⁰⁾ ، أو تضعها من بين الواجبات العبرة في الإسلام (الجهاد ،

(38) انظر: L. Cardaillac (L. Cardaillac)، الموريسيون والمسيحيون: المجاهدة الجدلية (1492-1640)، باريس 1977، 87-101. الترجمة الإنسانية ، مدريد 1979، 164-165.

(39) انظر أعلاه الهاشم 36 ..

(40) انظر مثلا الكتاب المغربي الكلاسيكي الذي نقله إلى الفرنسية: L. برجر (Berger, L.) ، رسالة .. ابن أبي زيد القبرواني ، ط7 ، الجزائر 1979، 164-165 ..

المرابطة ، الحج')⁽⁴¹⁾ . وفي ظني ، أنه مازال ينبغي القيام بدراسة حول الرباط باعتباره مؤسسة وسلكا دينيا من خلال أهم المؤذنات الإسلامية ، وبالأخص في الفقه المالكي بالأندلس⁽⁴²⁾ . ولأن اهتمام الباحثين قد انصب خاصة ، إلى حد الآن ، على مسائل ظرفية في النصوص التاريخية وعلى بقايا المعالم الأثرية وما حفظ من أسماء الأماكن . وهذا ما أدى لمرة أخرى إلى رؤية جزئية تماماً لواقع هذه المؤسسة الإسلامية التي كان درس أنسها الفتهة - وإن بصمة مجملة - علما ، الكلام والفقها ، المسلمين السبئيون في القرون الوسطى .

II الاستكاد الروحي - التطوعي :

للمرء أن يستخلص ، نظرا إلى انعدام دراسة مستوفاة عن نظام المرابطة في الإسلام ، بعض الملامح لمعرفة روحانية أولئك " الذين يخرجون للمرابطة " ، إما اطلاقا من معطيات متفرقة من نصوص تاريخية⁽⁴³⁾ ، وإما من تحليل بعض الآيات القرآنية التي يمكن ربطها بهذه الروحانية⁽⁴⁴⁾ . فتند تستوجب ممارسة المرابطة قبل كل شيء إطارا جغرافيا وسياسيا واجتماعيا معينا ، إذ لا يمكن أن تتحقق المرابطة جغرافيا إلا في منطقة " حدودية " من دار الإسلام (الشغر) ، لأن الأمر يتضمن الدخان عن الأمة الإسلامية كما هو الشأن في إطار الجهاد . وتحظى كل من الأندلس والمغرب بهذه الوضعية الجغرافية المرموقة ، من هذه الناحية ، بسبب امتداد الساحل البحري ، وبما للإسلام أيضا في شبه الجزيرة الإيبيرية من حدود برية مهمة تناهيا المالك المسيحية ، وهي حدود مشتركة ولكنها قابلة دائعا لاستغلال المسلمين على أطرافها استعدادا خصاً مناطق النفوذ الإسلامي⁽⁴⁵⁾ . أما من الناحية السياسية فيما

4) انظر مرعطة النضاة حتى يتمون بهامهم رغم كل التحاصب ، كما لوتعلق الأمر بالجهاد والمرابطة والحج ، في نص من إشبيلية في القرن XII ، أ. غرسيا ثوماز (A.Garcia Gomez) -أ. ليثي برونسال (E. LEVI- Provençal) ، إشبيلية في أوائل القرن XII ورسالتين عبدين (Esp.) ، إشبيلية 1981. (ط2) 50 - 51.

42) وقع تهميش العبدالديني للرباط ، قياساً بالاعتناء بالبعد المعماري واللغوي في فصل " رباط " من دائرة المعارف الإسلامية اختصرة (Shorter E.I.) 473- 475 ، أو في فصل " رابطة " لـ ج. كورومينس (J. COROMINES) في المعجم الإتيمولوجي التكميلي للغة الكتالانية (Esp.) ، برشلونة ، مع VII .. 137 ، 1987.

43) انظر: م. مارين (M.MARIN) المرجع المذكور أعلاه .

44) انظر: م. دي إبليزا (M. de EPALZA) "روحانية الرباط" اعتمادا على القرآن « المرجع أعلاه ، ص 73 - 75 .

45) انظر: ف. فرنكرو سánchez (F. Franco Sanchez) المرجع أعلاه : و م. دي إبليزا (M. de EPALZA) ، " الإسلام الأراشوني ، إسلام الشغر " (Esp.) تورياسو مونغرانيكو (TURIASO. MON- OGRAFICO) ، الإسلام الأрагوني ، طرخونا ، 7 ، 1987 ، 12-9 .

أنه لا أثر للجهاد المقدس" في المعنى الديني الدقيق، فإنَّ نشاط أولئك الذين يرغبون في المرابطة ينبغي أن يُعوَّل فيه على حسن تفهم السلط المحلية لهم . فمن المجاز حينئذ أن نفترض أنه وجدت ، منذ العصر الأموي إلى مستهل القرن 5 / 11 ، مؤسسة تقوم بالمرابطة في كل مقاطعة إدارية ، - وهو أمر بدبيهي في قطلانية انطلاقاً من الأسماء ، الباقية لواضع الروابط - في حين كان يتزايد لاحقاً عدد الروابط حول المدن عامة . ثمَّ في جميع المناطق الواقعة في مملكة بني نصر بغرناطة⁽⁴⁶⁾ . وأمام الناحية الاجتماعية فإنَّ ما سبَّل محلَّ الجهد ، وهو فرض حماعي ، ينبغي أن يمارس في نطاق "مجموعات". ومن هنا كان استقرار طوانف دينية تمارس المرابطة في كامل التراب الإسلامي في مناطق تعتبر نظرياً استراتيجية .

وتتألف هذه الطوانف الدينية شبه القارة من عباد لا ينتسبون دانماً إلى المحاربين . وربما وقع إقصاً ، المحاربين المحترفين عن مواضع التعبد هذه لعدم ملائمة الحياة فيها لنسف حياتهم العنيف . وبالفعل ، فهؤلا ، العباد المسلمين مهما فطروا على روح التطوع الإسلامية وعلى أمل الاستشهاد في غارة من غارات العدوِّ استشهدوا قد يزهقهم لدخول الجنة ، كانوا يجتمعون خاصةً ليكونوا (مؤمنين حقاً) ، وهذا هو أيضاً معنى ما أعرب عنه في ملتقى "سانت كارلس دي لا رابطة" (Sant Carles de La Ràpita) الشبان المسلمين الإسبان المتنمون إلى حركة المرابطين ، المجاهرة بنشر إسلام أكثر التزاماً بالسنة⁽⁴⁷⁾ . وباعتبر ، ظهور حركة المرابطين من القرن 5 / 11 إلى ق . 1236 في صورة مجموعة دينية اختارت الاختلا ، للتعبد على ضفاف نهر السينغال ، ثمَّ انتهى أمرها إلى تكون جيش وإلى تأسيس دولة حكمت المغرب الأقصى والأندلس هدفُها مدافعة النصارى ، بعتبر حالة استثنائية تماماً⁽⁴⁸⁾ . ذلك أنَّ ممارسة شعائر العبادة خاصةً ، كانت من البدء ، وحدها محور الأنشطة في هذه الموضع المخصصة للخسوس والخلوة الروحية " طالت أم قصرت⁽⁴⁹⁾ .

وتعكس هندسة المصايف الصغيرة بغير وسائل ، خاصةً ، الأنشطة التعبدية لروادها أكثر مما تعكس الأنشطة العسكرية بالمعنى الدقيق⁽⁵⁰⁾ . وتتركَّد المصطلحات المستعملة

(46) انظر أعلاه هامش (30) .

(47) انظر: م . دي إيبلا (M. de EPALZA) ، في المرجع المذكور ، 87-99 وج . ناتور مورينو (NIETO MORINO) و م . بيريز غالو (M. PEREZ TELLO) ، "شهادة الحركة العالية للمرابطين والريالات الإسلامية" ... ، 279-282 .

(48) انظر ملقطات عامة لـ (V. LAGARDERE) ، المراقبون إلى مسى عيسى يوسف بن تاشفين (Fr.) ، 1039-1106 (Paris 1989) . وج . برش نيلا (J. BOSCH VILA) ، المراقبون ، (Esp.) ، غرناطة ، 1990 ، ط 2 . راجعها أ . مولينا لوبياز (E. MOLINA LOPEZ) .

(49) انظر أعلاه ، الهامش (44) .

(50) انظر: م . إسبينار مورينو (M. ESPINAR MORENO) وج . أيلان بيريز (J. ABELLAN PEREZ) في المرجع المذكور أعلاه .

للإشارة إلى هذه المؤسسات الدينية أن التوجّه التّعبيدي كان يحظى بالأولوية المطلقة لدى هذه الطوائف .

ومن المعلوم أن لفظ رياط لم يرد في القرآن إلا مرتين واحدة ، وهذا أمر من شأنه أن يُشنّل المفسّرون القدامى وعلماء الإسلاميات المعاصرین . ولكنّي أظنّ أنه يمكن أن تربط صلة بين مؤسسة الرياط والخمس آيات المتضمنة لكلمات مشتّتة من الأصل الثلاثي العربي رب.ب.ط. (أفعالا وأسماء) ، وهي آيات كثيرة التداول لأنها تقصّ أحاديثاً مهمة من التاريخ الديني قبل الإسلام (طفولة موسى ، أهل الكهف ،) أو الإسلامي (غزوة أحد) أو تلخص تعاليم الأساسية في الإسلام (س. الكهف ، آ١٤ : س. الكهف ، آ١٥ : س. الأنفال ، آ١١ : س. آل عمران ، آ١٦٠ ، آ٨ ، آ٦٠) . ونستطيع أن نستخلص من هذه التصورات التي قد تكون بالتأكيد من أكثر ما يتذكّره العباد المسلمين من هذه الطوائف الإسلامية ، العناصر الأساسية للفعل الروحاني في الرياط حتى يكونوا "مؤمنين حتّى" .^(٥١)

ويمكن أن نستخلص من هذه الآيات القرآنية الخمس المبادي الروحية التي تقوم عليها المؤسسة الدينية للمراقبة وهي :

- الاستعداد لتقبيل العون الإلاهي .

- وهو العون الذي يكون في الشدائدين أثناء الجماد .

- وعلى الأخضر العون الذي يصير به المجاهد "مزمنا حقاً" .

- في جميع الأحوال العصيرة في الحياة .

- ويحصل هذا الاستعداد بالقيام بالمشروع الديني الإسلامية .

- وخصوصاً منها شعائر الصلاة .

- الدّعاء المستمر الذي يذكر اسم الله .

- إيتاء الزكاة .

المساهمة خاصة في تمويل المجاهد للدفاع عن الإسلام

ويكفي منظّفيّاً أن ينفكّ المرء أن هذه المبادي توجه المباداة الداخلية في جميع الروابط الإسلامية ، مع ترك كلّ مركز يختار بعرّبة خصوصية تنظيمه في إطار هذه الروحانية .

وهكذا فإنّ الأمر يتعلّق حينئذ بممارسة دينية تشتمل على ثلاث نقاط أساسية هي :

١. روحانية الدفاع عن الإسلام (ملازمة الشّفر ، الاحتراس من الخطّر ، التّحلّي بالمرودة والشجاعة المفرطة ، وربما المساعدة في أشغال تحصين وفي تدريبات عسكرية) .

(٥١) انظر أعلاه الهاشم (٤٤) .

- واستذكار ما وعد به، المرابطون الذين يستشهدون في الجهاد الإسلامي من ضرب الجزا)،
- 2 . روحانية تعبد يقوم بها "المؤمنون حقاً" (الصلوات الخمس المفروضة كل يوم، والتضرع لله، ونواقل أخرى، وترتيل القرآن).
 3. روحانية إحسان بالمال (تصدق على الفقرا، تمويل الرابطة، تضامن بين المربيين أو بين المقيمين في الرابطة ، دفع النفقات العسكرية ...).
- وهذا نابع . حسب ما يبدو . من الأحكام القرآنية الخاصة بالمرابطة الإسلامية، ولكن الأمر يتعلق خاصة ببدل للجهاد الإسلامي⁽⁵²⁾.

III . المصطلحات المستعملة في تسمية هذه الخلوات : المستير، الرابطة ، الرياط ، الزاوية ...

لقد تركت تصدى إلى آخر هذا العرض الموجز، إشكالية لم يقع بعد حلها حلاً كاملاً، وإن لاحظها تقريباً جميع الباحثين ، وأشارتها بالأخص ماريا خبسوس روبيارا ماتا في ملتقى " سانت كارلس دي لا رابطة "⁽⁵³⁾، إنها إشكالية المصطلحات المستعملة في شأن هذه الخلوات الإسلامية، فما زالت بعض الشكوك تحوم حول المعنى الدقيق لأنماط "المستير" ، "الرابطة" ، "الرياط" إن فيما بينها من اختلاف ، وإن فيما إذا كانت تعني نظروا في المؤسسات ، وإن في الصلة التي تربط بينها وبين الأنماط المماثلة لها مثل "زاوية" و"جمعية" ، إلخ . ⁽⁵⁴⁾ إن الأمر يشعلن بإشكالية ينسجم أن تطرح في البحوث المستقبلة حول هذا الموضوع .وعلى أساس ما توفر من وثائق محفوظة ويحرث تم بعد إنجازها على وجه من الافتراض العقول نسباً دون أن يكون ذلك مدققاً بعد تدقيقها كافياً، يمكن تقديم بعض المعلومات الأولية التي لم يأبه لها الباحثون بالنظر في مداخلاتهم

الرياط : هو المؤسسة أو المسلك الإسلامي الكامل أو البديل للجهاد في معنى روحانية التطوع أو الخلوة الروحية القائمة في المناطق الحدودية أي الشغر (ومنه اشتق اسم : **الشَّغَرِيُونَ** "tagarins" أو **الشَّغَرِيُونَ** "zagarins" . وهو الاسم الذي أطلق في إسبانيا على سكان هذه الجهات . وتعني الكلمة "الشَّغَرِيُونَ" خاصة المسلمين القاطنين في وادي نهر الأبر) أو في مملكة أрагون . أما الكلمة "الشَّغَرِيُونَ" فتعني أولئك القاطنين في مملكة بني نصر بغرناطة وتعني على الأخص من يقطن في الجهات الشمالية والشرقية⁽⁵⁵⁾ .

(52) نفس المرجع .

(53) انظر الرياطات الإسلامية ص 7 ، 16 ، 66 .

(54) انظر أعلاه ، الهاشم (50) .

(55) انظر أعلاه ، الهاشم (45) .

المرابط : (ج . مرابطون) وهم أولئك الذين يمارسون المرابطة. وقد أطلق اللفظ خاصة على الحركة السياسية والعسكرية في الجهة الغربية من بلاد المغرب، أو في الأندلس أو على المملكة البربرية العسكرية التي كانت عاصمتها مراكش من ق. 11/5 إلى ق 12/6. وتعني الكلمة " مُرَابِطٌ " عامة (وهي الإسبانية أيضاً مرابيط " morabito " تأثراً بالفرنسية) الأولياء، الصالحين الذين يجتمع حولهم أهل الورع من المسلمين (انظر زاوية) أو الأخرجة وفيها رفاتهم - التي تحظى بضرب من التقديس. ⁽⁵⁶⁾

المنستير : (ج منستيرات ، و " almonacides " و " almonastires " و " almonasteres " ، « almosterces chiles » في الإسبانية والبرتغالية) لفظ من أصل يوناني استعمل في البداية للدلالة على الأماكن التي يرابط فيها المسلمون باستمرار في مجموعات يكرر عددها أو يقل .

الرابطة : (ج . رابطات وروابط) تدل على كل خلية من بين خلايا المستير. وقد تدلّ بدءاً من ق 12/6 ، على المبني المعزول حيث يجتمع المسلمين، حولولي صالح، تصدّي العبد .

الرباط : (ج . رباطات وربط) ويدل خاصة في المغرب، على التحصينات العسكرية للدولة الإسلامية للدفاع عن السواحل (سوسة ، المستير، الرباط ...).

الزاوية : (ج . [زوايا] وفي الإسبانية القديمة " زقية " " zogüias ") وتدل على مصطلح صغير للخلوة الروحية (ولغة الركين) وهي شبيهة بالرابطة، ولكنها لا تستند استناداً واضحاً إلى روحانية الرباط أو " الجهاد في سبيل الله " الإسلامي .

الجامعة : (" algimia " أو " aljama " في الإسبانية القديمة) وهي مسجد يجتمع فيه الناس للصلوة . وهي بالتأكيد من قبل المساجد الجامعية المعدة لأهل الريف خاصة في غرناطة وملكتها في عبد بن نصر (في 7-9-13-14-15)

زهاد مجاهدون أو عباد متطرعون :

من بين المشاكل العديدة التي تطرحها مؤسسة الرباط أنه ينبغي الإشارة خاصة إلى طابعها الجهادي أو التطوعي. ويدو، استناداً إلى وقائع عديدة من تاريخ الأندلس، أنه يوجد بعض التعارض بين النعالية الغربية للمجاهدين، والورع الديني لدى المتطرفين . وإذا استثنينا عصر الدولة المرابطية، فإن التعارض يبدو بيناً بين النظافة التي تتضمنها الهيئة العسكرية (" يحارب ليقتل ") والرغبة في الحصول على نعيم الجنة عند أهل الورع من المسلمين (" يجاهد ليستشهد ")، وإن استعملت المجموعتان المسلمتان نفس الخطاب الديني الإسلامي. فالفصل بين هاتين المجموعتين مهما بلغت محاولة تحديده، ومهما أقيمت المعادلة

(56) انظر المرجع السابق. برات (Brett) . في المرجع المذكور أعلاه.

فيه بين العنصر العسكري، والعنصر التطوعي، في هذه المؤسسات الإسلامية لا يمكن من فهم الظواهر التي تدور حول هذه المحوانب من الروحانية الإسلامية الفروسيطية ومن تحلياتها المعمارية .

ويظهر انعدام الدقة هذا خاصة في بعض مجالات التاريخ الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية، حيث يكون مجدياً . على الأقل على مستوى الافتراض - أن تقوم بعض التمييز المفید لفهم أحسن للظواهر الاجتماعية ذات الطابع العسكري كال التالي :

1. ينبع التمييز استراتيجياً بين شبكات الدولة لمراقبة حدود البلاد الإسلامية البرية والبحرية (بما في ذلك المدن الدقاعية وطرق مواصلاتها وأبراج المراقبة فيها ...) والوضع على الحدود حيث تتصرف تلك "الرياطات" أو طوائف الزهاد وأهل الورع من المسلمين.
2. وينبع معيارياً تبصّر الرابطات المعدة للتعدد والتطلع من الرياطات ذات الطابع القلاعي العسكري .

3. كما ينبع عسكرياً تمييز الجنود من المرابطين، وإن كان الفريقان يستندان إلى نفس الروحانية الجهادية في الإسلام : فالجنود يحترون الحرب ومحظون في القتال، وهم أقرباً، ولكنهم غير حرصين دائمًا على تطبيق التعاليم الدينية؛ أما المرابطون فأهل ورع يرغبون في الاستشهاد من أجل العقيدة ، وهم غالباً ما يكونون مسيئين أو معوقين يحرضون على أدا، الفروض الدينية ليكونوا "مؤمنين حقاً". وبمعنى آخر فإن الخدمة العسكرية وحياة الجنود لا تتلامم دينياً وحياة طوائف العباد في المستيرات والرابطات والزوايا، كما أن عدم كفاية المرابطين العسكرية لا تتلامم والجذوى المحربة المطلوبة من الجيش الإسلامي .

4. وينبع التمييز أيضاً في معارك المسلمين ضد النصارى في القرون الوسطى، وخاصة منذ عصر المرابطين في القرن 12/6، بين الجيش النظامي للدولة وبين حشود الزهاد المسلمين الصاحبين لهم : فالجنود يذهبون إلى المدافعة والقتال ، والزهاد يذهبون للاستشهاد . وهذا ما قد يفسّر جزئياً مجموعة من أهم الميزات العسكرية للجيش الإسلامي في مواجهة الجيش المسيحي ، مثل واقعة قشتالة (Cutanda) (514 / 1120) التي أدت إلى خسارة الإسلام لواحد نهر الأبر: فإن طول إعداد الحملة المرابطية وجاذبيتها الدينية - بما أن الأمر فيها يتعلق بحرب مقدسة في نظر الفقهاء والقضاء المسلمين - جعلت جماهير من الصالحة، المسلمين يتضison إلى صلب الجيش النظامي . وقد أفسدت جماهير الصالحة، هذه، برغبتها في الاستشهاد ، الخطة [الداعية] والجذوى الهجومية في صفوف الجيش الإسلامي⁽⁵⁷⁾ .

57) إن ظاهرة تنقل العلماء المسلمين بين شرق الأندلس وبين الجيش المرابطي المتقدم ييط، انطلاقاً من مراكش لغزو سرقسطة والذي سينهزم في المعركة الحاسمة بقشتالة، وهي المعركة التي أدت إلى خسارة المسلمين لسهل نهر الأبر سنة 514/1120 ، قد درسها م. ج. روبيرو M. J. RUBI-ERA وم. دي إيسيلزا M. de EPALZA في : شاهضة الإسلامية من ق. VIII إلى ق. XIII)، شاطئة

إنَّ الرِّبَاطَ بِالأنْدُلُسِ وَالْمَغْرِبِ فِي الْعَصْرِ الْوَسِيْطِ يَبْدُو فَعَلًا مَؤْسَسَةً وَمُسْلِكًا إِسْلَامِيْنَ لَا أَثْرَيْهَا فِي الْإِنْجَازَاتِ الْخَدِيْثَةِ . وَلِلْمُرْءِ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ سَبَبِ ذَلِكِ . إِلَّا أَنَّ عَدَمَ نُجَاحِ الْمُؤْرِخِينَ الْمُسْلِمِينَ أَنْفَسُهُمْ ، أَثْنَاءَ مُلْتَقِي "سَانْتَ كَارْلُوسَ دِيَ لَا رَابِطَةِ" (Sant Carles de La Ràpita) فِي التَّعْمِيْزِ بَيْنَ الْمَرَابِطَةِ وَالْجَهَادِ فِي النَّصُوصِ التَّارِيْخِيَّةِ ، لَهُوَ مُغْرِيٌ قَوِيٌّ مَا دَامَتْ مَؤْسَسَةُ الرِّبَاطِ مَعْدَمَةً فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ . وَفِي الْمُتَابِلِ فَإِنَّ شَبَانًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الإِسْبَانِ - يَنْتَمِيُونَ إِلَى حَرَكَةٍ "الْمَرَابِطِينَ" ذَاتِ الْأَصْلِ الْمَغْرِبِيِّ - كَانُوا يَسْتَندُونَ خَاصَّةً عَلَى مَثَابِلِ الْجَهَادِ عِنْدَ الْمَرَابِطِينَ ، وَهُوَ حَرَكَةٌ دِينِيَّةٌ اَنْتَهَتَ إِلَى تَأْسِيسِ دُولَةٍ حَكَمَتْ فِي الْغَربِ الْإِسْلَامِيِّ فِي قَ 6-5 / 11-12 ، لَكُنْهُمْ كَانُوا يَذَكَّرُونَ دَائِمًا أَنَّ مَسْجِدًا "الْمُؤْمِنِينَ حَتَّىٰ" هُوَ مَرْكَزٌ رُوْحَانِيَّهُمْ .

وَلَيْسَ التَّأْلِيفُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَعْنَاصِ الْمُخْتَلِفَةِ مِنَ الرُّوْحَانِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، مِنَ الْعِيدِ الْإِسْلَامِيِّ الْكَلاسِيْكِيِّ وَمَا هُوَ سَانَدٌ دَائِمًا فِي الْإِسْلَامِ ، مِنْ أَقْلَى مَا يَغْرِي بِالْبَحْثِ فِي الرِّبَاطِ الْإِسْلَامِيِّ ، بِالْاعْتِمَادِ عَلَى دراساتِ حَدِيثَةٍ مَسْدِرُهَا الْحَفَرَيَّاتُ وَأَسْمَاءُ الْأَماْكِنِ . *



مَرْكَزٌ لِـ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ وَالْمَدِيْنَةِ

(58) انظر إلى: M. PEREZ (J. NIETO MORINO) و M. بيريز تالو (TELLO)، في المراجع المذكورة أعلاه.

^٣ ملاحظة: 1- حافظنا وفنا، للنص على اصطلاحات تتعلق براحل التاريخ الأوروبي مثل (القرون الوسطى)، وعلى حسب نابعة من الفهم الغربي للتجسيم للإسلام مثل (الإسلامي الكلاسيكي) أو مستعارة من التجسيمة.

2- نضيف إلى قائمة المراجع زيادة في القائمة ، المراجع التالية :

Med Lahbib Hila : L'Ascèse et son Influence Sur la Société Ifriquienne Jusqu'à l'Epoque Aghlabite (Th : Doc, soutenue à la Sorbonne en 1975 : dacty) ; 5 è partie: Ascèses & Ribats. pp ; 432 - 513

- د . م . إِسْلَامِيَّة 2 . (E.I.2 .) ج VIII ، ص 510 ... فَصِلْ "رِبَاطٌ" Ribat ، المنشور بعد كتابة هذا المقال . (المغرب)

دور الطراز في الأندلس في عصر دولة بنى أمية

إعداد الدكتورة سمر السيد عبد العزيز سالم

أستاذة التاريخ والحضارة الإسلامية المساعدة

كلية الآداب جامعة الإسكندرية

يرجع الفضل الأعظم في تنصير قرطبة وتجسيدها، وتنظيم شؤون الإدارة والحكم في الأندلس إلى الأمير عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل (حكم ما بين 755 / 138 - 772 / 172)، فهو الذي دون بها الدواين «ورفع الأواين وفرض الأغطبة، وعقد الألوية، وجند الأجناد، ورفع العصاد، وأوثق الأوثاد، فأقام للملك آلة، وأخذ للسلطان عدته»⁽¹⁾ فشهد له أداء خصومه بعد مرقى همة ومصا، عزّعته، ولقبه أبو جعفر المنصور بـ«قرش»⁽²⁾. لقد عمل عبد الرحمن على إحاطة نفسه بهالة من فخامة الملوك وأبهة الخلفاء، وحاول أن يجدد ما طمس لبني أمية في المشرق من معالم الخلافة ويسترجع ما القرض من آثارها⁽³⁾. ويدرك ابن حبان أنه أول من أنشأ دار البرد بالأندلس⁽⁴⁾، ويعتقد أن دار البرد المذكورة كانت تختص بحباكة البرود، ثم

مركز تحقيق وتأريخ كاتب البرد علوم مسردي

(1) المقري، نفح الطيب، تحقيق معيي الدين عبد الحميد، ج 1، القاهرة 1949، ص 310. محمد محمد مرسى الكھلاری، مراكز صناعة الحرير في الأندلس من خلال النصوص التاريخية مع تطبيقات على بعض من منتوجاتها الحريرية، مجلة كلية الآثار، العدد الرابع 1990، القاهرة، ص 202.

(2) أخبار مسموعة في تاريخ الأندلس، لمؤلف مجهول، نشره دون لالوتنى، القنطرة، مدريد، 1867، ص 119. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، نشره لبني بروفنسال وكولان، ليدن، ج 2، 1948، ص 59.

(3) المقري، المصادر السابقة، ج 1، ص 308.

(4) يقول ابن حبان في المقبس: «كانت هذه الدار البردية (يقصد دار البرد أو دار الطراز كما شاعت تسميتها فيما بعد) من بناء الأمير الداخل عبد الرحمن بن معاوية رحمة الله عليه» المقبس، تحقيق د. عبد الرحمن الحجي، بيروت، 1965، ص 66، كما يذكر أنها كانت تقع بغربي قصر قرطبة وفي صدر سوقها العظمى.

أغنىها دار الطراز في عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط، فاتسعت بذلك مرايقها⁽⁵⁾، وكان الأمير عبد الرحمن الأوسط (حكم ما بين 206 / 821 - 238 / 852) رجلاً على مستوى عالٍ من الثقافة والعلم، عالماً متبعراً في علوم الشرعية والفلسفة، وكان من أعظم أمراء بيبي أمية في الأندلس الذين وضعوا الأساس الأولى لحضارتها التي بلغت ذروة تقدمها في عصر المخلافة. فقد خصّ أهل العلم برعايته، وكان مكرماً لأهل الأدب والفن والصناعات من ضيقات المشرق بمواهبهم، فأدناهم إليه ورفع منازلهم، كما كان مولعاً بالتمثيل والإنشاء والشعر، فهو الذي أضاف إلى جامع قرطبة زيناتين متتابعتين، وأقام القصور والمتربفات، وأسس مدينة مرسية، ورتب رسوم الملكة، وأول من فخم السلطة بالأندلس وأحدث الطرز، واستنبط عملها⁽⁶⁾، كما أحدث بقرطبة دار السكة، وضرب النقود باسمه، ولم يكن فيها ذلك منذ أن فتحها المسلمون. وإليه يرجع الفضل الأعظم في فتح أبواب الأندلس على الشرق بعد أن كانت موصدة، وأهم ما أنجيزه فيما يتعلق بالصناعات قيامه بإنشاء دار الطراز الخاصة بقرطبة. وكانت الأندلس قبله تعتمد في ذلك على ما كان يجلب إليها من المنسوجات الشرقية من مصر والعراق والشام، والغربي أن إبراهيم بن حجاج الذي استقلَّ بإشبيلية وترمذنة وما والاها في عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط (حكم ما بين 275 / 888 - 300 / 912) اتخذ طرازاً بإشبيلية «يطرز فيها على اسمه كفعل السلطان إذ ذاك»⁽⁷⁾. وظلت دار الطراز بإشبيلية تنافس دار الطراز بقرطبة إلى أن سقطت دولة بني حجاج على يد عبد الرحمن الناصر في سنة 301 / 913.

كان يتولى دار الطراز من الأمير عبد الله بن الفتحي⁽⁸⁾. وفي سنة 313 / 925 ولّي خلفه النسي الكبيسي الطراز، ثم تولى بدر مولى عبد الرحمن الناصر خطبة البرد بالإضافة إلى الخجابة والوزارة وخطة الخليل منذ اليوم الذي بُويع فيه عبد الرحمن بالإماراة في سنة 300 /

(5) السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة المخلافة في الأندلس، ج 1، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص 215.

(6) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 2، ص 91.

(7) ابن عذاري، المصدر السابق، ج 2، ص 127.

(8) ابن عذاري، نفس المصدر، ج 2، ص 148، وقد توفي ريان النقاش صاحب الطراز في سنة 298 / 910.

(٩). وأُسند الناصر ولأبة الطراز سنة 313 / 925 إلى خلف الفتى الكبير^(١٠). ويبدو أن تسمية دار الطراز مرةً بالطراز ومرةً بدار البرد ظلَّ فائماً إلى أن ضُمِّت التسميتان معاً بعد أن تعرضت دار البرد المصاقيبة لقصر الخلاقة بقرطبة لحريق حدد في 20 شعبان سنة 324 / 935، فأُنْتَ النيران عليها، وعندئذ بادر الخليفة عبد الرحمن الناصر بتجديده عمارتها، فأمر بإعادة دار البرد على رسم رسمه، دلَّ على فضل معرفته، ومفاصص حكمته، فسما بناؤها، ونصبت أبوابها على ما حد، ورفعت فوقها عليه توفي عليها، ويؤمن معاً الإضرار بها»^(١١) ونستدل من روایة ابن الخطيب في أعمال الأعلام أن دار الطراز والبرد اتسعت اتساعاً كبيراً وشملت العديد من المراقي وأصبحت تشبه بما أضيف إليها من منشآت المدينة. يقول ابن الخطيب: «ومن آثاره التي ضربت بها الأمثال، وقضبت منها العجائب، حمل الطراز ببابه لنسج ما يحتاج إليه من الخلع والكسي وملابس الحرم وغير ذلك، فقد كان (أي دار الطراز) على عهده مدينة تشتمل على آلاف من الخلق، تداخلت فيها المراقي والمساجد والحمام والسوق، ولو تبعنا أصنافهم وما كانوا يحاولونه من صناعاتهم ويناغون به المشرق من بضائعهم، ومقدار جرایاتهم ونفقاتهم، لضاق عنده الكتاب»^(١٢).

واستمرت هذه الدار على هذا النحو من الاتساع حتى ضاقت بها السوق الكبرى المجاورة للقصر الخلاقي إلى أن تولى الحكم المستنصر بالله بن الناصر، فأمر ببنائها في المحرم سنة 361 / 971 من موضعها إلى دار الزوامل بالمقارنة بالطرف الغربي من قرطبة، وأقام في الموقع الذي كانت تشغله دار الطراز أو دار البرد حوايلٍ لليرازين ليُسع بها سوقهم، في حين نقلت دار الزوامل من موضعها الذي احتلته دار الطراز إلى الدار الواقع على مقربة من المحبس عند قصر الناعورة^(١٣). وأصبحت دار البرد والطراز القديمة بذلك قبساً للتجار توسيعها بها السوق^(١٤). وهكذا أصبحت دار الطراز ودار البرد خطه بهذا الاسم، أُسند الحكم المستنصر بالله ولاليتها إلى فائد النظامي الفتى الكبير الصقلي^(١٥) الذي ارتفعت مكانته لدى الحكم، فنقله من

(٩) ابن عذاري، نفسه، ج ٢، ص ١٥٨.

(١٠) نفس المصدر، ص ٩١.

(١١) ابن حبان، المقتبس، تحقيق د. شالبيتا، وكوبنطي وصح، مدريد، 1989، ص 383.

(١٢) ابن الخطيب، كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق ثيفن بروفنسال، بيروت 1956، ص 40.

(١٣) ابن حبان، المقتبس، القسم الخاص بالحكم المستنصر، تحقيق د. الحجي، ص 66.

(١٤) ابن حبان، المقتبس القسم الخاص بعبد الرحمن الناصر، تحقيق شالبيتا ص 383.

(١٥) ابن حبان، تحقيق الحجي، ص 63.

دارد إلى دار الحاجب جعفر بن عبد الرحمن الصقليي (ت. 360 / 970⁽¹⁶⁾، وكانت تعرف آنذاك بخفة الطراز والبرد، وظل فاتح النَّظامي يشولاها في حياة الحكم إلى أن توفي الحكم في 4 صفر سنة 366 / 976. وكان فاتح وقت وفاة الخلبة على رأس الصَّفَالْيَة، وكان يليه في المرتبة صاحبه جوزر صاحب الصاغة والبازرة⁽¹⁷⁾.

ومن المعروف أنَّ دار البرد والطَّراز هذه هي الدَّارُ الْخَاصَّةُ بِالْخَلْبَةِ الْأَمْوَى، أي أنَّ إنتاجها تاصر على استخدام الخلبة ومن يخلع عليهم من كبار رجال الدولة أو عظماً، الوافدين على الحضرة ترطبونه من أمراً، المغرب المواليين له. ويتميز إنتاج هذه الدَّار بِأَنَّهَا تحمل في نسيجها نقشاً كتابياً تشتمل على أدعية للخلبة، أو تحصل اسم من أحاديث إلَيْهِ فِي بعض الأحيان إذا كان من الشخصيات الْهَامَّة. من ذلك الملابس السَّنَبَةِ والكسى الفاخرة التي هادي بها عبد الرحمن النَّاصر محمد بن خزر في سنة 317 / 929، فقد نسج عليها اسم محمد بن خزر تقديراً لشخصه. وبعلن ابن حيَّان على ذلك يقوله : «وكان الذي اختصَ به فِي تطريزه لما اصطنه من خاصٍ لِهِدِيَتهِ هذه من الملابس، في طرازه المخاصِ، باسم محمد بن خزر، أعظم قدرًا من ذلك، إذ كان شيئاً لم يتقدَّمَ ملوك قبْلِهِ إِلَى ولِيَّ مِنْ أَوْلَائِهِ، قد اعتدَّ به عليه النَّاصر لِدِينِ اللهِ لِإِنَّهَا تَدُرُّ المُنْزَلَةَ فِي الْجَوَابِ الشَّافِدِ إِلَيْهِ إِذْ قَالَ فِي فَصْلِ مِنْهُ جَرَدَهُ آخرُ الْكِتَابِ :

«ولما حللت من حسن رأى أمير المؤمنين الحَلُّ الذي حلَّتْهُ، ونزلت من نفسه المكان الذي تزلَّته، ذهب ألا يهاديك من لبوسك إلا بما استعمله لنفسه في طرازه الخاصَّ على اسمك، وهذا أمر لم يفعله من تقدَّمَ من الأعاشر بالشرق والغرب  فخره ويعتلد لك ولعقبك سنارة وذكرة، ما بقيت لكم باتية، وثواب الله خير عقبي»⁽¹⁸⁾.

وهكذا كانت دار الطراز الخاصة بالخلبة مخصصة لإهداء الخلع إلى المقربين إليه. ومن بين البدايات التي أنعم بها النَّاصر على الوافدين إلَيْهِ من زعماء المغرب هديَّته إلى موسى بن أبي

(16) نفس المصدر، ص 66.

(17) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 2، ص 260.

(18) ابن حيَّان، تحقيق شالمينا، ص 268.

العافية سنة 319 / 931 وكانت تشتمل على الكس الرقبة من الخز مختلف الأجناس ما بين شقة وعمامة ويرنس ما يقدر عدده بخمس وعشرين قطعة، ومن اللبود الطرازية الأرجوانية عشر قطاعي⁽¹⁹⁾. وكان الحكم المستنصر بالله يهادي أمراء، البربر بالعدوة كثيرا من فاخر الكسوة⁽²⁰⁾. وكان المنصور محمد بن أبي عامر يهادي ملوك إسبانيا المسبحية والقوامين العاهدين، وكذلك من حسن بلاؤه من المسلمين في الحروب والغزوات باخراج النسوجات والكسى من إنتاج دار الطراز بقرطبة. ويدرك ابن عذاري أنه وزع في غزوه الثامنة والأربعين إلى شنت ياقب سنة 387 / 997 «ألفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صوف الخز الطرازي، وواحدا وعشرين من صوف البحر»⁽²¹⁾، وكائن عنبرين، وأحد عشر سقلاطونية⁽²²⁾، وخمس عشرة مرشات، وبسبعين أخطاف دياج، وثوبى دياج رومي وفرو فنك»⁽²³⁾.. ويعلن ابن الخطيب على هذه الهدية النبوة بقوله : «ولفت كسى المنصور في هذه الغزوة إلى ألفي كسوة، وهذا شيء يضيق عنه ساحة الملوك الذين دون ملوكبني أعزهم الله بنصره، فقد كانت الكسى لأول هذه الدولة التي رفع الوزير معظم، معتمدا بهذا الكتاب، لوا، الوفاء لها والذب عنها مذكورة بهذه



(19) نفس المصدر، ص 308.

(20) ابن عذاري، المصادر السابقة، ج 2، ص 347.

(21) هو نوع من الور الصدفي يجمع بين لين الخز وبريق الذهب يتتساقط من حيوانات بحرية على ساحل شترن وفي ذلك يقول الإصطخري «وتفق مختصين أن رقق من الصدف من البحر دائمة تحمل بمحارة على سطح البحر نسقها ويرى لين الخز، ولو نه لون الذهب لا يغادر منه شيئا، وهو عزيز ثليل، فيجمع ويسع منه ثواب، تنتهي في اليرم أرمانا، ويجر عليها ملوك بنو أمية، ولا يشقق إلا سرا، وتزيد تسمة الترب عن ألف دينار لعزته وحسنها» (الإصطخري، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني، القاهرة، 1961، ص 35، القدس، أحسن التراس في معرفة الأنالم، تحقيق دي غوري، لندن 1906، ص 240). وكان هذا العيون البحري يعرف بأبي قلمون (القدس، ص 240).

(22) سقلاطونية صفة من الكلمة سقلاطون، وهو مصطلح من أصل يوناني Ciclation أطلق في الغرب الأوروبي وكان يعرف في اللغة الفرنسية القديمة باسم Siglaton

Blachère: Extrait des principaux géographes arabes du Moyen âge, Paris - Beyrouth, 1932, pp. 197-198.

وقد أطلق هذا الاسم في الغرب الأوروبي على نسيج من الحرير مطرز بالذهب، اختصت بفداد بصناعته، وأعتقد أنه سُئل بذلك الاسم بسبب رسومات الدوائر التي تحملها السريرات البيزنطية والساسانية والإسلامية.

(Marqués de Lozoya, Historia del arte Hispánico, T. I, Barcelona, 1931, p. 268).

(23) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 2 ص 296. هذا وقد عرفت قرطبة بصناعة الفنك من فراء، السمر (المقرن)، نفح الطيب، ج 1، ص 184).

العنود ومجددة لشأنها بحيث تَهُم الحكاية وتفسر الوصف»⁽²⁴⁾. وكان المنصور بن أبي عامر يستدعي أجناد البر إلى الأندلس، فيسخلع على الرجل منهم بلياس الخزَّ الطرازي وغيره بدلاً من لباسه الخلق⁽²⁵⁾.

ولم يتبقَّ من إنتاج دار الطراز بقرطبة سوى قطعة من النسج الرقيق تعرف بطراز هشام المؤيد بالله عشر عليها في سانت إستيبان دي جورمات (غماج)، وتحفظ بها اليوم الأكاديمية التأريخية بمدريد، وهي غثاء، أصفر اللون من الكتان الرقيق يزدان بشرط عريض أبيض اللون يميل إلى الأصفرار، ينقسم إلى ثلاثة مناطق، الوسطى منها تشغله 13 جامة مثمنة الشكل على أرضية مذهبة، تتصل فيما بينها بأشكال نجمية، وداخل الجامات صور أشخاص متربعين في جلستهم يمسك أحدهم بتنين، أو صور حيوانات تعوزها الرشاشة، أحدها يمثلأسداً مجئحاً. أما المنطقة العليا والسفلى فتشغلها نصَّ كتابي منسوج بالخط الكوفي، قبل رؤوس السَّيَّتان في حروفها من أعلى إلى الداخل، ونطالع فيه ما يلي : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ وَالْبَشْرُ مِنَ اللَّهِ، وَالبَشْرُ وَالدَّوَامُ لِلخَلِيلِهِ الْإِسَامُ عَبْدُ اللَّهِ هَشَامُ الْمُؤَيدُ بِاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ)⁽²⁶⁾. وتشبه الرسوم المنسوجة على هذه القطعة نقوشاً تزدان بها بعض العلب والصناديق العاجية من صناعة مدينة الزهراء في عصر الخلافة. ومن الجدير باللحظة أنَّ أجزاء القطعة منسوجة من الخزَّ، وتزدان باللوان بيضاء وزرقاء وخضراء وصفراء ووردية بين خطوط سوداء⁽²⁷⁾. وتجلى في هذه القطعة بوضوح أثر التَّقَالِيدُ الفنيةُ العَرَاقِيَّةُ، ومن المعروف أنَّ التَّأثيراتُ الفنيةُ العَرَاقِيَّةُ بدأت تتدفقُ على الأندلس منذ عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط الذي لم يكن يتحرَّك من اتخاذ الثياب العَرَاقِيَّةِ، رغم العداء السياسي القديم بين بغداد وقرطبة منذ قيام دولة بني أمية في الأندلس، ونستدلُّ على ميل هذا الأمير لارتداء الثياب العَرَاقِيَّةِ المجلوبة من بغداد من نصَّ أورده ابن القوطية يشير إلى أنَّ الشاعر عبد الرحمن بن الشمر دخل على الأمير عبد الرحمن يوماً وعليه ثوب عَرَاقِيٍّ وغُشارَة عَرَاقِيَّة⁽²⁸⁾. ويؤكد هذه الحقيقة قطعة من النسج المعروفة بنسج الفيلة

(24) ابن الخطيب، كتاب أصال الأعلام، ص 68.

(25) ابن عذاري، المصدر السابق، ص 279.

(26) Lévi - Provençal, Inscriptions arabes d'Espagne, Paris, 1931, p. 127.

(27) جوست موريث، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة د. أحمد لطفي عبد البديع، والدكتور السيد عبد العزيز سالم، القاهرة، 1968، ص 411 . محمد عبد العزيز مرزوق، اللونون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت ص 127.

(28) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، نشر خليلان ريفيرا، مدريد 1926 ص 60.

محفوظة بكتبة سان إيسيدور بلباو، تزدان بدوارن بداخل كل منها صورة فبلين متقابلين بينهما شجرة الحياة، ويعلو ظهر كل من الفبلين أسد يفترس الفيل، وعلى ظهر الأسد صقران رأساهما متدايران، ونسبع حول كل دائرة طراز من الكتابة الكوفية نصها : (البركة من الله والبمن... لصاحبه أبي بكر مما عمل في بغداد) نسبعت طردا وعكسا⁽²⁹⁾. لقد كانت للنسوجات العراقية سوق رابحة في الأندلس، إذ كانت الموصليّة والعتابيّة البغداديّة والجرجانيّة من النسيج المستطرف عند أهل الأندلس، تعبّر عن الأنوثة والفخامة في آن واحد، ولهذا اتّخذت ألموزجا احتذاء الطرازون في مدينة المرية في عصر المرابطين كما ستوُضَع فيما بعد، وكانت هذه النسوجات العراقية المجلوّة من العراق وخراسان في عصر الخلافة من بين الهدايا التي قدمها الوزير أحمد بن شهيد إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر، ومن بينها سبعة أفرة بيض من نفيس الفنك خراسانية، وستة مطارف عراقية خاصة له، و48 من الملحف البغداديّة لرينة الحبيل مصنوعة من الحرير المذهب، وستة من السرادقات العراقية⁽³⁰⁾.

وبالإضافة إلى دار الطراز الخاصة بقرطبة ودار الطراز الخاصة التي اتّخذها إبراهيم ابن حجاج باشبيليّة تعدّت دور الطراز العامة التي خصّصت لأهل الأندلس، وكانت موزعة على معظم مدن الأندلس بالإضافة إلى بعض التجمعات العرائبيّة القرويّة التي كانت لديها أنوال لنسج النسوجات الكيانيّة أو النطيبيّة أو الحريريّة. فكانت بالمرية وجحانة ومالة ومرسيّة وغرناطة واشبيليّة وقرطبة وبلطموس وشنترين ولشبونة وغيرها من مدن الأندلس دور طراز عامّة. واحتضّت بعض هذه المدن بنوع معين من النسوجات، فقد ذاعت شهرة بجحانة في صناعة الحرير، إلى أن ظهرت المرية فانتقلت إليها هذه الصناعة⁽³¹⁾، كما ورثت المرية أيضا شهرة قرطبة في صناعة الرشي والديباج⁽³²⁾ وذلك بعد سقوط الخلافة الامريّة وقيام الفتنة البريرية، فقد ذكر

(29) السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، الإسكندرية، 1985، ص 278. محمد الكحلاوي، المرجع السابق، ص 220.

(30) المقري، نفع الطيب، ج 1 ص 335.

(31) الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشره ليفي بروفسال، القاهرة 1937، ص 38. لمزيد من التفاصيل عن صناعة الحرير في الأندلس ارجع إلى محمد محمد الكحلاوي، المرجع السابق، ص 208 وما يليها.

(32) كانت دار الطراز الخاصة تتبع ثياب الخلق، من الحرير المغثّم المرقوم بالذهب المختلف الألوان (ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المشيّد والخبير، ج 4 طبعة بولاق، 1284هـ، ص 138 - المقري، نفع الطيب، ج 1 ص 234). وذكر الرأزي أن من بين النسوجات التي تتبعها قرطبة في عصر الدولة الامريّة بالأندلس الأقمشة التائمة والنسوجات الحريريّة السميكة وغير ذلك (Levi-Provençal, La Description d'Al-Andalus de Razi, al-Andalus, vol. XVIII, 1953, p. 65).

يافوت أنه كان يعمل بقطرية «الوشى والديباج فيجاد عمله، وكانت أولًا تُعمل بقطرية، ثم غلبت عليهما المريّة، فلم يشقّ في الأندلس من يجيد عمل الديباج إجاده أهل المريّة»⁽³³⁾. واشتهرت إشبيلية بصناعة نوع من النسيج لا يتأثر بها المطر⁽³⁴⁾، كما عرفت بنسج القطن الذي ينبع في أرضها ويعتنى ويزكي في يقعتها⁽³⁵⁾. واشتهرت بجانة بصناعة الحرير⁽³⁶⁾. ويدرك ابن حوقل أنَّ أردية أهل الأندلس المصنوعة في بجانة كانت تحمل إلى مصر ومكة والبيضاء وغيرها⁽³⁷⁾، واحتضنت بجانة بهذه الشهادة حتى فاتتها المريّة في هذه الصناعة، فانتقلت صناعة الخزَّ والحرير والخلل الملوثة والديباج إليها. ويدرك ابن سعيد نقاً عن ابن فرج قوله : «حدثني أباً المريّة من صنعة الوشى والديباج على اختلاف أنواعه، ومن صنعة الخزَّ وجميع ما يُعمل من الحرير ما لم يبصر مثله في الشرقي ولا في بلاد النصارى»⁽³⁸⁾، وهو ما أكدَه الرازِي في قوله : «المريّة مفتاح إنْرَقَ والكسَب، وموطن الحنَّاق من أصحاب الصناعات... ونِسَهَا يُصْنَعُ أيضًا الخلل الملوثة النَّفِيسة»⁽³⁹⁾. وذاعت شهرة مرسية في عصر الدولة الأموية «بالطراز العجيبة والصناعة الغريبة للوطاء والبساط»⁽⁴⁰⁾، كما احتضنت سرقسطة بصناعة السُّمور، وفي ذلك يقول العذري : «ولأهلها فضل الحكمة في صنعة السُّمور والبراعة فيه بلطيف التدبير، يقوم في طرزها بكمالها منفردة بالنسج، وهي الثياب المعروفة نسبة بالسرقسطة، لا ثُنَانٍ تلك الصنعة ولا تُحکى في



مركز تحقیقات کاپیور علوم اسلامی

(33) يافوت، معجم البلدان، المجلد الخامس، ص 119.

(34) ابن حوقل، صورة الأرض، تحقيق كرامز، لبنان، 1938، ص 114.

(35) العذري، نصوص عن الأندلس، تحقيق د. عبد العزيز الأهوازي، مدريد، 1965، ص 96. وانظر ابن غالب، قصيدة من كتاب فرحة الأنفس، ص 292.

(36) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 38 . محمد الكحالاوي، المرجع السابق، ص 208.

(37) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 114.

(38) ابن سعيد، المغرب في حل المغرب، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، ج 2، القاهرة 1953، ص 193 وما يليها.

(39) Lévi-Provençal, La Description d'Al-Andalus, Op. Cit., p. 67.

(40) العذري، المصدر السابق، ص 9. وذكر الحميري أنَّ لأهل مرسية حذقا، بصنعة البسط الرقيقة الشرفية وتتجديدها لا يبلغه غيرهم (الحميري، ص 182) وبطلق المقرئ على هذه البسط اسم التتالية نسبة إلى تناوله من عمل مرسية (المقرئ، ج 1، ص 187) ولعلها جنحالة الراقة شمالي مرسية (الحميري، ص 67).

أفق من الآفاق»⁽⁴¹⁾. وقدّمت بسطة واسْتَهْرَتْ بصناعة الحرير وكان ينْتَجُ فيها من شجر التوت
ما لا يحصى⁽⁴²⁾. وكان بسطة الطرز الشَّرِيفَة⁽⁴³⁾.

واستمرَّتْ دار الطراز الخاصة بترطبة تباهي عملها في عصر الفتنة، فقد ذكر ابن بسَامَ أنَّ
الْمُسْتَظْهَرُ بالله أقرَّ على مراتب الخدمة طوانف منهم خدمة الطراز⁽⁴⁴⁾.



- (41) نفس المصدر، ص 22. والسمور حسب ما ذكره المقرئ عن الحجازي: جبران يعمل من وبره الفرا، الرَّبِيع
المقرئ، فتح الطيب، ج ١، ص ١٨٤). وقارن ما ذكره محمد الكھلاري، المرجع السابق، ص ٢١٥.
(42) مجهرل، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لرس مولينا، ص ٧٦.
(43) ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، تحقيق د. أحمد لطفى عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات
العربية، ١٩٥٦، ص ٢٨٤. محمد الكھلاري، المرجع السابق، ص ٢١٤.
(44) ابن بسَامَ الشَّنَفِيني، الآخِيرَةُ نَيْ مَحَاسِنُ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ، تحقيق د. إحسان عباس، ج ١ قسم ١، ص ٥١.

سنساء الـندلس (١)

شاعر . محمد بن حابر
عضو اتحاد الكتاب التونسيين
عضو رابطة الأدب الحديث بالقاهرة

لَا بِسَاعِثِ الْوَحْيِ فِي مِحْرَابٍ وَجْدَانِي
فَقُلْ أَرْضُ أَنْدَلُسٍ صَيَّفَتْ رَوَانِعُهَا
لَا حُسْنَاهَا فِي مَدَى الْأَقْبَاقِ مُنْثِثَةً
مَقْنَى تَهَبُّ عَلَى الْمُشَنَّاقِ فِي سَمَرِ
وَقُلْ جَدَادُهَا جَاءَتْ بِسَلَسلَهَا
أَمْ ذَلِكَ السُّخْرُ إِنْدَاعًا يَهُ انْقَلَبَتْ
أَمْ سِرُّ عِيسَى سَرَفَهُ مِنْ رَيْهِ قَمَضِي
أَمْ حَسَانَتْ لِسْلِيمَانَ وَيَا عَجَباً
أَمْ مَرَوتْ دَاؤَهُ بِالْمِزَارِ مَازِجَهُ
بَلْ وَجْهُ (فُرْطَةٍ) لَا حَسْتَ مَلَامِحَهُ
مِنْ ثَلْعَةِ خَلَتْ عَرْشَ الْمُسْنِ طَلَعَتْهَا
تَرَى بَهَا سَيَّةً (النَّصُورِ) بَاسِةً
الْجِسْرُ بِمَنْدَدٍ بِالْسَّوَادِيِّ الْكَبِيرِ إِلَى
لَا (مَسْجِداً) سَجَدَ الرَّانِي لِهَبَّتِهِ
حَمَسَتْ مَحْدَادَ تَلَهَّدَ الظَّفِيفِ وَمَا

لُدُودَه تَسْبَادَى بَيْنَ أَرْكَانِ
 تَسْبَاسَه بَهَا آيَاتُ قُرْآنِ
 لَدُورُ نِي فَلَكِ الدُّبَى بِخُشْبَانِ
 فِي وَارِفِ الظِّلِّ مِنْ تَخْلِ وَرْمَانِ
 يُغْرِي الْمُجِسِينَ مِنْ رَوْحٍ وَرَحْانِ
 صَدَرَ الْمَيْمُ وَضَلَالًا بَعْدَ هِجْرَانِ
 فِيهِ الْفُسُوبُ تَدَلَّتْ قَطْفَهَا دَانِ
 وَقِي الْأَصِيلِ حَكَتْ حَمْرَاه تَسْبَانِ
 (كِسْرَى) تَحْسُرَ عَنْ تَشْبِيدِ (إِبْوَانِ)
 مِنْ بَغْرِ (فُرْضَةِ) نِي كُلُّ أَوْطَانِ

تَاجَتْ مَلَائِكَه فِي ثَهِيَامِ وَلَيَانِ
 تَعْنَتْ السُّرْقَ (بِالْمَالُوفِ) تَرْخَطْرَا
 تَادَى الْفُلُوبَ (بِأَرْجَالِ) دَعَسْتَكَ إِلَى
 يَا (جَامِعَا) مَسْرُكُ الْأَغْعَلَيْرِ مِسْكُونَه تَرْعَ عَلَمَ مَجْعَلَكَ كَمَا بَيْنَ عُرْيَانِ وَرَسْبَانِ !

هَذَا مُصَلَّكَ شَابَ يَزْدَهِي شَجَرًا
 فِي زُخْرُفِ خَطْبِ الْأَبْصَارِ رَوْقَه
 بِلَكَ التُّلُوشُ شُصُوسُ دَاعِبَتْ قَرَما
 كَائِسًا جَنَّهُ الْفِرْدَوْسِ سَاحَهُ
 أَوْ رَوْضَه بِنَعِيمِ الْحُلُدِ مَشْهَدُهَا
 عَدَنَ جَرَتْ تَحْسَبَهَا الْأَنْهَارُ شَانِهُه
 لَهُ ذِيَالِكَ الْمِسْخَرَابُ مُؤْتَلِهُ
 وَتَمَّهُ حَكَتْ الزَّرْقَاهُ أَنْجَسَهَا
 تُطِلُّ مَنْ شُسْرَفَاتِ فِي سُرْكَادِهَا
 إِنْ الْحَضَارَاتِ أَنْبَارُ وَكَذُ غَسْرَكَتْ
 تَاغَتْ دَفَائِهَا الجَوْزَاهُ مَثَنَهُه
 تَعْنَتْ السُّرْقَ (بِالْمَالُوفِ) تَرْخَطْرَا
 فِيَنِ السُّلَامِ وَقَافَا بَيْنَ إِخْرَانِ

(1) لقد رمنا في هذا التصعيد معارضه أبي البقاء الرندي في قصيدة : رثاء الأندلس فأسميه : «سناء الأندلس». كما رمنا في قصيدة هذا الذي هو من نفس البحر والروي باللون المكسرة إلى كسر نونيته المرفوعة. وقد شحنها أسى وتشاؤما وراسا وشحناه أمللا وتناولا وصناء وأخوة ونشر سلام، بمناسبة الاحتفال بمرور 12 قرنا على تأسيس «جامع قرطبة».

مشهود

صَابَاتُ الشَّشْرِي

للشاعر محبين الدين خريف

(四三)

دعوكَ رَبِّي والفَوَادُ عَلِيلٌ وَأَنْتَ بِمَحْرِ الْذَّئْبِ عَنِي كَفِيلٌ
فِي جَلْسَةِ الْأَقْمَارِ وَهَدَاءُ الْأَنْسَاخِ
قَبْلَ الصَّبَاحِ وَاهْبِي الْمَنَاخِ
أَبْغِي الرِّزْعَاحَ لِمَوْطِنِ الْعُشَاقِ
مركز تحقيق وتأميم وترجمة وطبع إسلامي

أَتَيْتُ لِبَابَ الْفَضْلِ
أَدْعُوا أَجَبَّتِي
وَهُمْ فِي غِيَابِ الْأَهْلِ
خَيْرُ عَشِيرَتِي
بِهِمْ وَبِخَيْرِ الْقَوْلِ
ثَبَلُ دَغْوَتِي
وَعَنِديَّ مِنْ حَرَّ الْهَبَامِ دَكْلُ
وَمَا ذَاكَ فِي شَرْعِ الْغَرَامِ قَلْبِلُ

وقاتني الورود
في المهمة الفقير
وكانني دهري
فتنهت في الآفاق

وَعِشْتُ بِقُرْبِهِمْ	وَلَسْدُتُ بِأَحْبَابِي
عَلَى جَمْعٍ شَرِبِهِمْ	وَطَنْتُ بِأَكْرَابِي
بِهِمْ وَجَهْنِهِمْ	وَعَلَقْتُ أَسْبَابِي
وَعُحْتُ بِسِرِّهِمْ إِلَيْهِ سَبِيلُ	إِلَيْهِمْ شَكْونُ الرِّجْدَ وَهَرَقْبَلُ
وَالْأَمْلِ الْمُشْهُودُ	وَفَزْتُ بِالْمَقْصُودَةِ
وَفِي ضِيَّ الفَجْرِ	فِي اللَّيْلِ إِذْ يَسْرِي
وَعِشْتُ بِالْأَشْوَاقِ	أَسْلَمْتُهُ أَمْرِي

غَادِ رَائِحَةَ
 بِالسَّرْبَائِحَةَ
 كَيْ الْوَجْهِ لَا تَحْ

أَنَادِيهِمْ وَالْحَبَّ
 وَأَذْكُرْهُمْ وَالْقَلْبَ
 وَأَسَأْلُهُمْ وَالْذَّئْبَ

وَمَا ذَاكَ فِي شَرْعِ الْغَرَامِ قَلِيلٌ ~~وَعَيْدِي وَمِنْ حَرَّ الْبُيَامِ دَلِيلٌ~~

(*) الشُّشتري : أبو الحسن علي الصوفي المشهور، أمير التجاردين وبركة لا يبسى المخرقة. ولد بقرية ششتري من عمل وادي آش بالأندلس. خدم ابن سع بن وكان دونه في السن. ولما مات انفرد بعده بالرئاسة توفي بطينه بصعيد مصر سنة 668 / 1269 وفيها قال : «الطين عاد لطينه».

في رحاب الأندلس

شعر : د. مقداد رحيم / العراق

غرناطة

- ١ -

يا غرناطة
جئت إليك عشيقاً
أخطب ودى
يا نسيبي
هل يجهل فردة أنسابه؟
يا ذات الصبح الأبهى
من عسلم صبعك أن ينسل في اللبل

كالخواص العربية ... غنجاً وغراها؟
با ذات الليسل الأخلى ...
من عسلم ليسلك
أن يغرف في بحر الأضواء
وان يشر عند الأرصفة الزهراء
 أصحابه؟
يا ناعمة الطرف المسحورة
من علم طرقك أن يثبت في القلب
كستيلة عطشى
والقلب يمارك أحبابه؟

مَنْ عَلِمَ سِحْرِكَ أَنْ يَخْبُثَ أَبَابَ الشَّرْقِيَّينَ
وَكُلَّ الْفَرْبِ
وَلَمْ يَبْخُسْ طَلَابَةً ؟

مَنْ عَلِمَ جَنْكَ أَنْ يَسْبِحَ فِي غَابَاتِ الْوَرْدِ ،

يَبْاهِي حُسْنَ الْعَذْرَاوَاتِ الْحَسَنَاوَاتِ ،

وَيُصْبِحُ فَرْداً فِي الْغَابَةِ ؟

مَنْ عَلِمَ تِلْكَ جَدَائِلَكَ الْمُشَرَّمَيْهِ الْأَطْرَافِ
بِأَنْ تَسْفَسَ بِالْحَسَنَاءِ ،

وَأَنْ تَغْدو مُشَلِّ خِيُوطَ الشَّمْسِ ،

وَكَالْكَبَتِ يُطْلَعُ عَنَابَهِ ؟



يَا غَرْنَاطَهُ كَمْرَنْتَهُ كَمْرَنْتَهُ كَمْرَنْتَهُ
يَا حَلَامَهُ بِالْمَجْدِ ، وَلَمْ تَعْرِفْ أَسْبَابَهُ
هَذَا قَصْرُ الْحَمْرَاءِ ،

فَأَيْنَ أَبْوَيْ عَبْدِ السَّلَهِ ،

لَمَذَا شَلَقَ أَبْوَابَهُ ؟

وَلَمَذَا أَوْدَعَ مَفْتَاحَ مَدِينَتِهِ

بِأَكْنَهُ الْحَصْمِ

لِيَشْرَبَ فِي زَهْرِ « أَنْخَابَهُ » ؟

وَلَشَنَ أَلْقَى فِي تِلْكَ « الرَّبَوَهُ »

« زَفَرَهُ »

فَالْأَجْيَالُ هِيَ الْأُخْرَى

تهمس بالزفرات الحرى
فمساً
 حين تلامسُ أعتابه
 أو حين ترى الناقوسَ يصفعُ
 يعلو متذلةً
 والمجدَ غادر محراة

- 3 -

يا غرناطة
منْ عَلِمْ حُبُّكَ أَنْ يَغزوَ قلبي
فأجيءُ إلَيْكَ،
أقطعُ أمصاراً وصغارِي
وأنا أعلمُ أني لستُ وحيداً فيه
وأنَّ لِنِسَ الْحُبُّ دُعَاةٌ
لكني أعلم أنكِ تنتظرين العائد
يحملُ بندَ النصرِ 
وقد أوفى النصرُ ثيابةً
أعلمُ أنيكِ تنتظرين
ولكنْ ... هلْ ينسى زمانَ دورته
ويغافِ النجمُ اللماعُ أقطابه؟!
يا غرناطة
ألف سؤالٍ .. يا غرناطة.

غرناطة في 1986-8-18

(يتبع)

ENDÜLÜS'TE RAKS

Yahya Kemal BEYATLI (Turquie)



Zil, şal ve gül. Bu bachçede raksın bütün hızı.
Şevk akşamında Endülüs üç def' a kırmızı.

Aşkin sihirli şarkısı yüzlerce dildedir.
İspanya nes'esiyle bu akşam bu zildedir.

Yelpaze çevrillir gibi birden dönüşleri,
İşveyle devrilis, saçılıs, örtünüsleri.

Her rengi istemez gözümüz şimdi aldadir;
İspanya dalga dalga bu aksam bu şaldadir.

Alnında halka halkadir aşüfte kâkülü,
Göğsünde yosma Girnata'nın en güzel gülü.

Altın kadeh her elde, günəs her gönüldedir;
İspanya varlığıyle bu akşam bir guldeder.

Raks ortasindo bir durup oynar, yürür gibi ;
Bir bas çevirmesiyle bakar öldürür gibi..

Gül tenli, kor dudaklı, kömür gözlü, sürmeli .
Seytan diyor ki sarmali ; yüz kerre öpmeli.

Gözler kamastıran şala, meftun eden güle,
Her kalbi dolduran zile, her sineden : "Ole!"

(*) انظر تعریف هذه التصيدة في الصفحة المزالية.

الرقص بالأندلس

للشاعر التركي الكبير يحيى كمال بياتلي

تعریف السيد الحام رحول (المكتبة الوطنية التركية)

مراجعة : جمعة شحنة (المكتبة الوطنية التونسية)

جرس، خمار، ورد، جنون الرقص كلّه في هذه الحديقة
الأندلس حمراً، حمراً، حمراً، في هذا المساء، مسا، الشوق
وأغنية الشرق، ألسن شتى ترددّها
تُعبّر عن فرح إسبانيا في هذا المساء، بهذا الجرس
النساء، يرقصن ويتحوّلن فجأة برقصهنّ الذاكري إلى مرحة
النساء، يتربّحن بعساقطن، يتبعثر لباسهنّ
كلّ العبرون مشرنّة إلى هنا اللون الأحمر
إنّ إسبانيا في هذا المساء في هذا الخمار، أمواج تتلاطم
على جبين النساء، خصال وخصال على شكل حلقات
وأجمل ورود غمراّطية على صدر وهنّ الناهدة.
وفي كلّ يد قدر من ذهب، والشمس بدقّتها في كلّ فؤاد
إنّ إسبانيا في هذه الأقمشة مستقرّة
تهنادي النساء، أنا، الرقص كأنّهنّ يشين الهوى
لقد قتلتني وهي بلطفتن إلى
لهم بشرة وردية وشفاه حمر، جذوة تتنفس
وعيون سوداء، زادها الكحول جمالا
يُوسوس الشيطان لنفسه، ويقول لي : قبلي
وعانقةهنّ مسرّات وممرّات
الخمار حيّر الأ بصار، والورد يفتح النساء
والجرس يسلا رنينه الفؤاد
وترتفع الأصوات، وكأنّها من فم واحد، مرددة «أولي»*

* كلمة إسبانية تقال للتعجب وأصلها عربي : بالإلهي أو كما نقول بالترجمة : الله، الله.

المكتبة الأندلسية

حصاد سنة 1994

مؤلفات الأستاذ محمد بوذينة :

نواصل في هذا العدد من مجلة «دراسات أندلسية» تقديم مؤلفات الأستاذ والشاعر محمد بوذينة التي يصدرها ضمن «سلسلة من غرر الشعر»⁽¹⁾

4) - **قصيدة البردة وعارضتها** : منشورات محمد بوذينة الحمامات - إنجاز دار سراس للنشر - المطبعة الموحدة تونس - أوت 1994، 169 ص.

يندرج هذا الكتاب الرابع في الإطار الذي أراده المؤلف : وهو جمع ما تبل من منظوم في مدح الرسول (صلعم) وتقديمه تقديمها منهجياً. وهو بذلك له علاقة تكاملية بالكتاب الأول «النفحات المسكبة في مدح خير البرية». والكتاب الثالث «قصيدة بانت سعاد وعارضاتها» .

وقد بدأ الأستاذ محمد بوذينة كتابه بمقعدمة أبرز فيها مالكمارم الرسول (صلعم) من تأثير في نفوس المسلمين عبر العصور. فلا غرو أن تفيض الأشعار في مدح جميل مأثره وكريم خصاله، ذلك لأنَّ صفات الكمال التي رسماها القرآن ، وأنبات الله آياتها موضع حبه وتقديره قد تحجلت في محمد أقدس ما تكون وأسمى ما يُؤمل لها في خير إنسان.⁽²⁾

ثمَّ ترجم لصاحب البردة وهو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله البوصيري⁽³⁾، عاش بمصر في ظلال الدولة الأيوبية وأوائل دولة النصارى. وكان عصره عصر جهاد للصلبيين.

أما قصيده المعروفة بالبردة فقد سأها «الكراكب الدارية في مدح خير البرية» وهي مائة واثنتان وستون بيتاً، منها اثنتا عشر في الغزل، وشکوى الغرام، وستة عشر في التحذير من هوى النفس، وثلاثون في مدح الرسول (صلعم)، وتسعة عشر في مولده، وستة عشر في معجزاته،

(1) كما قدمنا في العدد 12 من «دراسات أندلسية»، ص 66 وما بعدها الكتب الثلاثة الأولى وهي : (1) النفحات المسكبة في مدح خير البرية (مختارات)، (2) مرشحة ابن سهل الإسرائيلي : هل دري ثبني المحس : شرحها وعارضاتها

(2) المقدمة ص 7

(3) قصيدة بانت سعاد وعارضاتها.

وبعد عشر في شرف القرآن ومدحه، وثلاثة عشر في ذكر إسرا، الرَّسُول ومجارجه، وأثنان وعشرون في جهاده وأربعة عشر في الاستغفار والتَّوَسُّل به، ويقيتها في المناجاة». (4)

ثم أورد المؤلف البردة مشكولة مع شرح ما غمض من ألفاظها. وقام بتقديم قائمة أولى في أسماء العلماء الذين شرحاها (75 شارحاً) مرتبة ترتيباً زمنياً من القرن 7 / 13 إلى القرن 14 / 20 وقائمة ثانية في معارضاتها وثالثة في تشاطيرها. ورابعة في تخاميسها.

وفي القسم الثاني من هذا الكتاب قام المؤلف بإيراد معارضات البردة وهي : معارضة الإمام جمال الدين يحيى الصرصري (قتله التتار يوم دخلوا بغداد سنة 656 / 1258)، ومعارضة حازم القرطاجي (ت. 648 / 1285 بتونس)، ومعارضة صفي الدين الحلبي (ت. 750 / 1349 ببغداد)، ومعارضة ابن حابر الأندلسي (ت 789 / 1378 بالبيرة)، ومعارضة الشيخ عز الدين الموصلي (ت. 789 / 1387 بدمشق)، ومعارضة الشيخ عبد الرحيم البرعاني (ت. 803 / 1400 بالحجاج)، ومعارضة تقي الدين أبي بكر بن حجة الحسوي (ت. 837 / 1434)، ومعارضة عائشة الباعونية (ت. 922 / 1516 بدمشق)، ومعارضة عبد الغني النابلسي (ت. 1143 / 1731 بدمشق)، ومعارضة الشيخ صالح محمد الجعفري (القرن 14 / 19)، ومعارضة أحمد شوقي (ت. 1351 / 1932 بمصر)، ومعارضة الشيخ الناصر الصدام (ت. بالقبروان في 8 جانفي 1992). كما أورد المؤلف نموذجاً لتشطير البردة للشاعر الشاذلي خزندار (ت. 1373 / 1954 بتونس)، ونموذجاً لتخميس البردة للإمام محمد المتزلي (ت. 1248 / 1832 بنزل بوزقة).

5) *قصيدة الهمزة وصغار ضتها*، منشورات محمد بوذينة الحمامات، إنجاز دار سراس للنشر - المطبعة الموحدة، تونس، سبتمبر 1994، 163 ص.

بدأ الكاتب بتقديم قصيدة الشيخ البوصيري «من الهمزة» : وهي من أهم تصانيد المدح النبوي. جاءت على البحر الخفيف، وقافية الهمزة المضمومة على غرار معلقة الحارث بن حلزة وعدد أبياتها 456 بيتاً.

وبعد أن ترجم الأستاذ محمد بوذينة للإمام البوصيري، أورد كامل قصيدة المعروفة بـ«من الهمزة» في مدح خير البرية، كاملة ومشكولة مع شرح لما غمض من ألفاظها. ثم ضبط قائمة أولى بشرح الهمزة (35 شرعاً) وقائمة ثانية بمععارضاتها (12 معارضة).

وفي النسخة الثانية أورد الباحث معارضات الهمزة وهي : قصيدة الشَّيخ البوصيري في دفع الرياء، همزة الإمام جمال الدين القرصري (قتله الشَّار يوم دخلوا بغداد 656 / 1258)، همزة الشَّيخ شهاب الدين محمود الحلبي (ت. 725 / 1325 بدمشق)، همزة الأديب جمال الدين بن نباتة المصري (ت 803 / 1368 بالقاهرة)، همزة الشَّيخ عبد الرحيم البراعي (ت. 1400 / 1368)، همزة الشَّيخ شهاب الدين المنصوري (ت. 887 / 1482)، همزة الشَّيخ محمد الأندلسي المعروف بالوزير السراج (ت. 1266 / 1736 بتونس)، همزة الشَّيخ إبراهيم الرياحي (ت. 1850 / 1500 بتونس)، الهمزة الأنفية للعلامة يوسف النبهاني المعروفة بـ « طيبة الغرَا »، في مدح سيد الأنبياء، (ت. 1350 / 1932 بفلسطين)، همزة الملك عبد الله بن الحسين، همزة الشاعر إساعيل صيري (ت. 1372 / 1953)، همزة الشَّيخ عبد الحسين الأزري (ت. 1374 / 1954 ببغداد)، همزة الشَّيخ الناصر الصداقم (ت. بالقيروان 1992).

6) - **القصيدة المنفرجة** : شروحها، معارضاتها ونخاميسها، منشورات محمد بوذينة الحمامات ، إنجاز دار سراس للنشر - المطبعة الموحدة، تونس - سبتمبر 1994، 186 ص.

بدأ المؤلف كتابه بقدمة تعرض فيها إلى من سبق ابن النَّحوي من الشَّعرا، في مشروع تفريج الكروب وكشف المخطوب من علام الغبوب. ثم ترجم ليوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل المعروف بابن النَّحوي صاحب المنفرجة المولود بتوزر في حدود سنة 434 / 1042، والمتوفى بقلعةبني حماد بالجزائر سنة 513 / 1149.

ثم أورد الأستاذ محمد بوذينة القصيدة المنفرجة مشكلة مع شرح لا صعب من الفاظها، وأرد فيها بقائمة لشرحها (33 شرحاً)، وأخرى في معارضاتها (61 معارضات)، وثالثة في نخاميسها (9 نخاميس)، كما أورد شرح الإمام الشَّيخ علاء الدين البصري الدمشقي (ت. 905 / 1500)، (للمتن) للمنفرجة المعروفة بـ « المسيرة المنزعجة لشرح القصيدة المنفرجة »، وشرح زكريا بن محمد الأنطاكي (ت. 926 / 1519 بمصر) المعروفة بـ « الأضواء، البهجة في إبراز دقائق المنفرجة ».

وفي القسم الثاني من الكتاب أورد المؤلف قصيدة الإمام أبي حامد الغزالى (ت. 505 / 1111) بالطبران)، ثم معارضات المنفرجة للنَّحوي وهي : معارضة الشَّيخ أبي العباس أحمد بن كيلان شاه (ت. 621 / 1224)، معارضة الشَّيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن يحيش المغربي (ت. 920 / 1514)، معارضة الشَّيخ خالد التَّشيبندي (ت. 1242 / 1827 بدمشق)، النَّفحة الأربعيَّة في التَّرسُل بأهل سلسلة التَّجَانِيَّة، معارضة الشَّاعر محمود بيرم التونسي (ت. 14 جانفي 1961 بعمر)، قصيدة الشَّاعر جعفر ماجد (أستاذ بالجامعة التونسية)، معارضة العلامة الشَّيخ عبد الفتى النَّابلسي (ت. 1143 / 1731 بدمشق).

أما التّخامس فهي : تخيّس الشّيخ عبد الله بن نعيم المضمر (ت. 636 / 1239) بقسنطينة، تخيّس ابن الشّباط التّوزري «عجالة الرويَّة في تسميط القصيدة النّحوية» (ت. 648 / 1282 بتوزر)، تخيّس الشّيخ عمر القوشي القرشي (ت. 721 / 1321 بقوص)، تخيّس للشّيخ عبد الله الصانع (ت. 778 / 1376 بدمشق)، تخيّس للشّيخ أحمد العيدروس (ت. 882 / 1467)، تخيّس الشّيخ علي المصري (ت. في حدود 1127 / 1715)، تخيّس للشّيخ سلام برّكات القادري،

7) **القصيدة الشّفراطية** : معارضاتها وتخاميسها، منشورات محمد بوزينة، المحمّات - إنجاز دار سراس للنشر، المطبعة الموحدة - تونس - سبتمبر 1994، 97 ص.

لهذا الكتاب علاقة بالكتاب الأول والثالث والرابع والخامس موضوعه هو مدح الرّسول من خلال القصيدة الشّفراطية وعارضاتها وتخاميسها.

بدأ الأستاذ محمد بوزينة كتابه بقدمة تعرّض فيها إلى موضوع مدح النبي، (صلعم) في حياته وبعد وفاته رغم أنَّ ما يقال بعد الوفاة يسمى رثاء، ولكنه في الرّسول يسمى مدحًا. ثم ترجم لأبي محمد عبد الله بن أبي زكريَا، يحيى بن علي بن زكريَا، المشهور بالشّفراطى نسبة إلى قلعة رومية كانت في القديم بالقرب من قصبة تسمى شفراطين، اشتهر ذكره في الأفاق بقصيدة فريدة في مدح النبي، (صلعم) وفي سيرة الصحابة وأعمالهم، وهي المعروفة بالقصيدة الشّفراطية أنشدها بالمدينة تجاه القبر الكبير (5). توفي الشّيخ عبد الله الشّفراطى سنة 466 / 1073.

ثم أورد المؤلف القصيدة الشّفراطية في مدح خير البرية بكلماتها مشكولة مع شرح لما غمض من ألفاظها، وأردّ بها بقائمة في شروحها (91 شرحة) وأخرى في معارضاتها وتخاميسها وتعشيرها.

وفي القسم الثاني من الكتاب أورد المؤلف معارضات الشّفراطية، وهي قصيدة مزيد الدين الطغرائي «لامية العجم» (ت. 513 / 1120)، قصيدة الشّيخ محي الدين بن عربي «من سر الإسراء» (ت. 638 / 1240 بدمشق)، لامية الشّاعر إسماعيل بن أحمد الشاشي العامري، لامية الشّاعر البهاء، زهير (ت. 656 / 1258 بمصر)، لامية الشّيخ عبد الرحيم البرعي (ت. 803 / 1400 بالحجاج)، لامية الشّيخ شمس الدين النواجي (ت. 859 / 1455 بالقاهرة)، لامية الشّيخ شهاب الدين الخلوف «يا أرحم الرّاحمين» (ت. 899 / 1493 بتونس) لامية جلال الدين السبوطي (ت. 911 / 1505 بالقاهرة)، القصيدة الأزلية، قصيدة أم هاني، لامية الشّاعر الموريتاني غالى بن المختار الشّنطاطي

(5) المقدمة ص. 33.

(ت. 1827 / 1243)، لامية الشيخ إبراهيم الرياحي «المراجحة» (ت. 1266 / 1850 بتونس)، لامية الشيخ إبراهيم البختري (ت. 1321 / 1903 بتوزر)، لامية الشيخ الخبيب المستاري «في مولد المصطفى» (ت. 1395 / 1975 بتونس)، لامية الشاعر العراقي عباس الملاعنى «آهات»، لامية البادى المدنى (ت. 1411 / 1991 بتونس). وختم المؤلف كتابه بتخميص للشقرطية وهو : تخميص ابن الشاطئ التوزري (ت 1285 / 684 بتوزر).

8) - مراثي المشاهير للأستاذ محمد بوذينة

منشورات محمد بوذينة، الحمامات، طبع شركة «أوريبيس للطباعة» تونس - أكتوبر 1994، 575 ص.

يعتبر هذا الكتاب الضخم تأريحا للأدب العربي التونسي منذ العهد الأغليبي إلى اليوم، وذلك من خلال غرض شعري أصيل في الأدب العربي هو غرض الرثاء.

لقد قام الأستاذ بوذينة، بعد أن عرك بفن الرثاء، عامة في الأدب العربي، وفي الأدب التونسي بصفة خاصة، بإيراد 209 مرنية لشاعرا، تونسيين رثرا فيها رجال السياسة والنضال والعلم والقضاء، والأدب والصحافة والنّن والمسرح بتونس طيلة حوالي 14 قرنا.



الفتن والخروب وأثرها في الشعر الأندلسي*

تأليف : د. جمدة شيفحة

عرض : د. نجاة المرمي

كلية الآداب - الرباط

حظيت أجيال الأدباء في بلاد الأندلس باهتمام كبير عند المغاربة والمغاربة، ولاشك أن ما حفلت به المكتبة الأندلسية كان مدعماً لهذا الاهتمام ، وكان الخطيب الذي شد إليها الدارسين والنقاد، فكشفوا عن كنزها ، وأعادوا تنظيم عقوتها ودررها ، واجتهدوا في إضاع ، حلقة التمييز عليها، ناسين أو متناسين ما حفلت به المكتبة الجارة أو المكتبة الغربية من رواج وذخائر، ما يزال أكثرها إلى اليوم في حاجة إلى عناد الباحثين واهتمام الدارسين والنقاد، كي تأخذ هذه المكتبة مكانها، وتكتشف عن شخصيتها الواضحة، وتبيّن عن عطاها ومشاركة أبنائها في الحياة الأدبية عبر مختلف العصور.

وكما حظيت الحياة الأدبية في فترات الاستقرار والحياة الناعمة بالدراسة والبحث، حظيت كذلك في فترات الاضطراب والفتنة والخروب، بدراسات عميقه وكتابات دقيقة، أبرزت وجهاً خفيّاً لحالات النفس الإنسانية في الظروف العصبية، وخلجات النفس المضطربة في الفترات المأسوية العصبية، وكانت إنتاجات الشعراء والكتاب أصدق صورة لأساة شعب أبيد في عقر داره، فانتهكت حرمتهم، وأحرقت مؤلفات أبنائهم، واغتصبت حصاراتهم بعد أن تزرت دماؤه.

ويبيّن شيء من هذه المأساة بورخ واقعاً داماً لأمة الإسلام بالأندلس، بعد أن عصفت بها رياح الضياء، وبحكمي غي كثير من الواقعية والصدق مرارة الضياء في لحظات قاسية، وكان الشعر هو هذا الشيء، المتبقى بعد أن ضاعت الأندلس.

لقد ألمت الخروب الدينية، والفنان الطائفة قبلها قرائع الشعراء، الأندلسية ليصفوا عن مشاهدة ومعايشة أوضاع البلاد والعباد، دون تزلف أو رغبة في العطا، فكان شعرهم فعلاً أروع هدية قدمتها تلك الخروب للشعر العربي بالأندلس، وأشمن وشيقة تحكي إنسانية هذا الشعر، وتسمو به إلى أعلى درجات الوجдан الصادق .

* صدر الكتاب في طبعته الأولى 1994، عن المطبعة المغاربة للطباعة والنشر والإشهار - تونس : في 354 صفحة.

وتوثيقاً لهذه المادة الشعرية الخصبة، عمد الأستاذ الدكتور جمعة شبيحة إلى دراسة هذه الظاهرة العصبية : ظاهرة الفتنة والمحروب في الشعر الأندلسي، متكتعاً على المادة الشعرية للكشف عن خبايا هذه الفتن والمحروب في ثنايا أشعار خلدتتها، ولفتت الانتباه إليها.

قسم الدكتور جمعة شبيحة مزلفه «الفتن والمحروب وأثرها في الشعر في الشعر الأندلسي» إلى ثلاثة أقسام ومتقدمة :

- المقدمة : وعمل فيها على ضبط المفهوم وتحديد الموضوع ، ومقدمة الدراسة في بعديها التاريخي والشعري .

تشكل ظاهرة الفتن موضوع الكتاب بصفة عامة، إذ يرصد فيه مختلف الفتن التي عرفتها بلاد الأندلس منذ القرن الخامس الهجري، وما ولدته الاختطرابات الداخلية من تصدع وانقسام، وبالرغم من كون المؤلف يعتني بالجانب التاريخي للفتن، فإنه يرصد الأشعار التي واكبت الأحداث عند شعراء، اختلفت اتجاهاتهم واتساعاتهم. ومن ثمَّ كان الحفر عن الظاهرة منذ الشِّرارات الأولى، وهكذا فقد تحدث عن الفتنة وأثارها الاجتماعية والسياسية مستشهدًا بما كان يراه مناسباً بل وشاهداً عليها، وهكذا فإنَّ هذه، الفتن - موضوع الكتاب - ثلات فتن كبيرة :

القسم الأول : الفتنة الكبرى الأولى : (399 هـ - 422 هـ) ، وتدخل في نطاقها الفترات الآتية :

*الفترة الأموية الأولى : 1) 399 هـ - 406 هـ من شعرائها ابن دراج.

*الفترة الحمودية : (407 هـ - 414 هـ) ، ومن شعرائها ابن دراج وابن الخطاط وابن شهيد.

*الفترة الأمريكية الثانية : (414 هـ)، ومن شعرائها ابن شهيد وابن زيدون.

- الفتن في عهد ملوك الطوائف : وجعلها فترتين :

1- فتن داخلية : نشبت بين طوائف تصارعت على السلطة في قرطبة وغرناطة وسرقسطة وغيرها.

2- فتن خارجية : ومثلها الصراع بين ملوك الطوائف، وما كان يشوب علاقتهم من حقد وضغينة، ألهبت فتيل الشعر لِيُسْهم بدوره في الساحة، ويرثق لظروف سياسية واقتصادية واجتماعية دقيقة.

القسم الثاني : الفتنة الكبرى الثانية : لا شك أنَّ الصراع القاتل بين ملوك الطوائف من جهة، وبين النصارى من جهة ثانية دعا إلى تدخل حكام العدالة المغربية، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه في فترة

المرابطين والموحدين، وهكذا، نجد جعل المؤلف هذه الفتنة فتنتين، محللاً الأحداث، مستشهاداً بقطوعات شعراً - أقل ما يمكن أن يوصفو به أنهم كانوا مرتزقة - كانوا يتغلبون حسب الأوضاع، فيميلون إلى كفة الحكم الذي يُعدّق عليهم. وبعمد المؤلف إلى تفتيت الأحداث بالوقوف عند أهم القضايا التي شغلت الحكم والشعب في هذه الفترة، ومن بينها قضية إحراق كتاب الإحياء، قضية تبعية الإداوة السياسية لبعض الإمارات الأندلسية للسلطة المركزية في المغرب، إلى غير ذلك.

القسم الثالث : الفتنة الكبرى الثالثة : وهي الفتنة التي تضافرت فيها عدة عوامل مغربية وأندلسية، وأدت إلى صراعات دامية بين المنطقتين، وإلى استفادة الإسبان من الوضع، هذه الفتنة خلقت رصيداً شعرياً لا يُنسى به ينطوي عن الواقع وعن الظروف السيئة التي كان عليها الناس، ولعل من أجمل هذا الشعر ما صرّر الضياع والبؤس اللذين أصبحت عليهما بلاد الأندلس. فسجل صفحات متميزة من الشاعر الملتهبة والإحساسات الصادقة إزاء أحداث قوّضت عروش دولات، وأطاحت بدولة الإسلام في الأندلس، بعد أن تفّتت على صخرة الصراع العربي العربي / العربي الإسباني .

لقد أبدى المؤلف في كتابه - الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي - رغبة في الكشف عن عبقرية البلاد الأندلسية في عظامها أبنائها وشعرائها، محللاً الظروف القاسية التي عاشتها البلاد إثر الفتن والصراعات، كاشفاً عن دور الشعر في تحليل الأحداث، وفي إبراز أهم المحطات التي مرّ بها الحكم العربي في الأندلس من خلال اختبارات سعرية حلّى بها مؤلفه.

إلا أنّ اللاحظ على *هذا العمل الغنوي في الدقيق*، إغفال المؤلف - عن قصد أو غير قصد - التّصريح في فهرسه على دولة بنى مرين، وجعل الفتنة الكبرى الثالثة هي فتنة بنى الأحمر، لا أحد من المؤرخين يذكر - سوا، كانوا حاقددين أم منصفين - أنَّ المرينيين قاموا بأدوار جهادية كبيرة في الحفاظ على دولة الإسلام في الأندلس.

لقد تحدّث المؤلف في ثنايا الكتاب عن علاقة السلطة المرينية في المغرب بيني الأحمر، وعن دفاعهم عن الأندلس، وعن نكبة ابن الخطيب، وعن العلاقات المضطربة بين العدوتين، وغيرها من الأحداث، إلا أنه لم يشر في فهرسه المفصل إلى الفتن في عهده بنى مرين كما فعل مع المرابطين والموحدين، ولعلَّ الضبط التارخي للمرحلة يقتضي التّنبّه إلى جهاد المرينيين ودورهم في استقرار الحكم، ولو بحسب مثاواته، فترة من الزمن.

كما أنَّ هناك ملاحظة أخرى، تتعلق بتعاطف المؤلف مع الحكم الأندلسي، وإلى إصدار بعض

الأحكام غير الموضوعية على المغاربة الذين عملوا جهدهم على رأب الصدع في تلك الفترة. فإن كانت هناك أشعار ضد المغاربة، فدون شك هناك أشعار أخرى ضد السلطة الضعيفة في الأندلس، يبقى السؤال معلقاً، أين هذه الأشعار؟ لم ضاعت؟ لم لم يشر إليها الأستاذ المؤلف؟

وأخيراً، فإن انعدام قائمة المصادر والمراجع المعتمد عليها في هذا العمل الجاد، يحرم القارئ الباحث، من العودة إليها كنما دعت إلى ذلك ضرورة البحث، وقد يكون سبب عدم إثبات قائمة المصادر والمراجع إلى أن هذا العمل المنجز هو الجزء الأول من ثلاثة أجزاء، لم تُتَّسْفَ بعد، ففضل المؤلف - فيما يظهر - إثبات مصادره في آخر الجزء، الثالث، لتكون القائمة مستوفية وغير مكررة. وبالرغم من ذلك، فلن أنتظِ العودة إلى مصدر ما أو مرجع ما - أنا الآن في حاجة إليه أثنا، قراءتي لهذا الجزء، المطبع - حتى يتم طبع الجزء، الثالث، وأنند قد تعذر على فرص كنت أرد الاستفادة منها وتوظيفها من خلال ذلك الثبت.



ديوان الجراوي

(أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي (ت. 609 / 1212)

صنّعه د. على إبراهيم كردي
ط. دمشق 1994 (186 ص)

لشاعر الخلقة الموحدية أبي العباس الجراوي - وهو الشاعر الكبير- ديوان لم يصل إلينا. لذا قامت ثلاث محاولات لجمع شعره يقول عنها الدكتور على الكردي «إنها محاولات قاصرة تفتقر إلى التحقيق العلمي، والشرح، إضافة إلى أنها ملأى بالتصحيف والتحريف».

وقد أضاف الباحث لأفضل هذه المحاولات 13 بيتاً، وهي التي قام بها الأستاذ حسن الشبيبي في أطروحته لنيل دبلوم الدراسات العليا بالغرب.

وقام الدكتور على الكردي بالترجمة للشاعر وذكر بعض أخباره، وصنع بعض المدواوالي لتحليل شعره، ثم جمع المقطوعات والقصائد، ورتبها على نسق حروف الهجاء، بالنظر إلى حرف الروي، ورتب السحور ضمن الروي الواحد على ترتيب دوائر العروض المعروفة، مقدماً الروي المكسور فالمضموم فالمنسوج فالمقيّد.

لقد جمع الباحث للجراوي سلسلة وثلاثين وسبعين بيتاً موزعة على خمسة وخمسين نصاً : منها إحدى وثلاثون قصيدة - باعتبار أن القصيدة تتكون من سبعة أبيات فأكثـر- وأربع وعشرون مقطوعة.

وكان منهجه يقوم على البناء على تحرير جميع أبيات القصيدة معتمداً الترتيب التاريخي للمصادر- الأقدم فالأحدث - ثم يضبط الأبيات ويشكلها شكلاً تاماً، ويشير في الخاتمة إلى مناسبة الأبيات إن وجدت، واختلاف الروايات، ويشرح ما غمض من الناظر.

معجم أطـاء المغرب والأندلـس خلال العصور الوسطـى

جمع وتحقيق : د. إبراهيم زعور - د. على أحمد
ط. دمشق 1993. 244 ص

من خلال الاطلاع المستمر على كتب القراءم التراثية، تتبه الأستاذان المحققان إلى ناحية

مهمّة، هي أنَّ تراجم الأطْبَاءِ، من الأندلسيّين والمغاربة خلال العصور الوسطى، لم تلقَ ما تستحقه من اهتمام، باستثناء، أنَّ ابن أبي أصيبيعة صاحب كتاب (عيون الأطْبَاءِ، في طبقات الأطْبَاءِ)، قام بذكر من اشتهر بالطب في الغرب والأندلس حتى سنة 643 هـ / 1246 م في الفصل الثالث عشر من كتابه، ولم يپشم بهم أحدٌ من المؤرخين بعده، فقدت ترجمتهم بمعية في هذا الكتاب وذاك، وعلبه بات لابد من أن يصطدم الميت بمصرعه الحصول على ترجمة معينة لطبيب مغربي أو أندلسي، أضف إلى ذلك أن عملية البحث بعد ذاتها تستغرق وقتاً طويلاً، وكثيراً ما تؤدي إلى اليأس والقنوط.

هذه الأسباب مجتمعة، دفعت بهما لتذليل المصاعب وتقليل العثرات، فتصدياً برغبة صادقة وترأفة لهمَّة جمع تراجم أطْبَاءِ، الجناح الغربي من الوطن العربي الكبير، منذ انتشار المغرب والأندلس حتى نهاية القرن 9 / 15، وأطلقا على مجموع هذه التراجم (أطْبَاءِ، المغرب والأندلس)، وضمَّ هذا المعجم جميع من مارس العلاج والطبابة من المغاربة والأندلسيّين، الذين عاشوا في بلدانهم، والذين هاجروا إلى الشرق العربي واستقرُّوا فيه، حيث استطابوا المقام، ويشبه هذا المعجم إلى حد كبير آية مخطوطه، كانت يحكم المفقودة، وقد ظهرت الآن بعد غياب طويل، الأمر الذي يغري الباحث لأن يعمل على تحقيقها وتحبيبها للطباعة، وهذا ما حدث بالفعل. وكان تصنيف الترجم من طريقة تسلسل حروف الأبجدية مع بعض الاستثناءات الضئيلة التي تخسّد بتخصيص حيزٍ من هذا المعجم لذكر ترجم لأطْبَاءِ، عرفوا في المصادر بالألقاب لهم، مثال ذلك، ابن الأصم، وابن جلجل، وأمير الوليد بن رشد، وأبو مروان بن قبلان وغيرهم.

وقد اتبعا في جمع ترجم هذا المعجم على عدد من الأسس، التي ظلت متّعة حتى النهاية، منها أنها أخذت بعين الاهتمام الترجم الموسعة بالجامعة، وقاما بتحرير الأخبار، التي كان نقلها المؤلف المعتمد عن الآخرين ، وذلك يقدر ما كان يتوفّر لديهما من مصادر، وكانتا ينقلان للطبيب المترجم له أكثر من ترجمة، عندما كانوا يريان لذلك ضرورة ملحة ونافعة، كان تكون هذه الترجم مشتملة على أخبار مختلفة لابد منها، أمّا إذا انعدم ذلك فيأن المعنثين ينحصران منها على المفيد، ولا سيما ما له صلة بالطب والأدوية، كما فعلنا بترجمة الوزير الطبيب لسان الدين بن الخطيب.

إنَّ هذا المعجم الهام يعرَّف بشكل مباشر وصريح بالدور الإيجابي، الذي لعبه الأندلسيون والمغاربة في مجال علم الطب والمداواة، خلال القرون الوسطى سوا، في الشرق العربي أو مغربه.

الفزل الأندلسي

في القرن الخامس الهجري (11م) :
«ابن زيدون والمعتمد بن عباد ثوذجا»

تأليف الدكتور علي ذياب
ط. 2 . دمشق 1994 (165 ص)

هذه الدراسة الأدبية هي عودة إلى القرن 5 / 11، وهي ترصد علمين من أهم أعلام الشعر الأندلسي : وهما ابن زيدون، والمعتمد بن عباد، وتناول الدراسة خصوصاً شعرهما الغزلاني بقراءة معاصرة مبنية على المناهج الحديثة في النقد الأدبي، بأسلوب يتميز بالوضوح والبعد عن التعقيد⁽¹⁾.

مجلسة : ترجمان

طبعة . طنجة (المغرب)

صدر العدد الثاني من المجلد الثالث (أكتوبر 1994) من مجلة ترجمان. وهي مجلة متخصصة تعنى بقضايا الترجمة التحريرية والترجمة الفورية. تصدرها جامعة عبد المالك السعدي (مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة) بإدارة أ. د. بوشعيب إدريسي بويحياوي. وهذا العدد له أهمية متساوية لأنّه عدد خاص بالترجمة ولسانات النص.

ضد سقوط غرناطة في الثقافة الأرويّة خلال القرون 10 هـ / 16 م - 11 هـ / 17 م

طبعة - تونس 1994

415 ص (بالفرنسية)

مركز تحقيق كافوري لعلوم مسلمة

قامت الأستاذتان فاطمة الخداد وعليا بكار بورناز بجمع ونشر أعمال ندوة علمية انعقدت بتونس من 18 - 21 نوفمبر 1992 حول: ضد سقوط غرناطة في الثقافة الأرويّة خلال القرون 10 هـ / 16 - ق 11 هـ / 17 م.

وتضمن الكتاب البحوث التي أقيمت في هذه الندوة باللغتين العربية والفرنسية. وقد أُلقي حول المحور الأول : المتعلق بالأحداث التاريخية (9 بحوث)، وحول المحور الثاني : المتعلق بملكية غرناطة (9 بحوث)، وحول المحور الثالث : المتعلق بالمؤلفات الفلسفية الأندلسية (9 بحوث)، وحول المحور الرابع : المتعلق بالنتائج الإيديولوجية لحركة الاسترداد (8 بحوث).

(1)- ستعود لهذه الأطروحة التبعة لتقديمها شديها أكثر تفصيلاً في العدد المقبل (هيئة التحرير)

المجلة العربية للثقافة

ط. تونس سبتمبر 1994 - 244 ص

صدر العدد السابع والعشرون - السنة الرابعة عشرة من المجلة العربية للثقافة التي تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بادارة الأستاذ محمد البلي إبراهيمي ورئاسة تحرير الأستاذ محمد صالح الجابري.

ويضم هذا العدد أعمال ندوة علمية انعقدت بتونس في أكتوبر 1993 ، حول «التاريخ العربي الإسلامي بالأندلس». والبحث التي أقيمت هي :

- 1) مظاهر من الصراع المذهبي بالأندلس للدكتور فرحات الدشراوي.
- 2) جوانب من التفكير السياسي بالأندلس للدكتور محمد رزوق
- 3) مصحف عثمان بن عفان في الأندلس للدكتور سحر السيد عبد العزيز مالم.
- 4) في الجدل الديني في الأندلس للدكتور إدغار فيبير.
- 5) كتب الفتاوى مصدراً للتاريخ الأندلسي للدكتور عبد الواحد ذئون طه.
- 6) الشعر الأندلسي مصدراً للتاريخ الأندلسي للدكتور جمعة شيخة.
- 7) نقاط الارتكاز في شعر الغزل بالأندلس للدكتور علي ذياب.
- 8) تهذيب المائدة في الأندلس للأستاذ سهام الدبابي المساوي.
- 9) تطور الطب في الأندلس للدكتور فرانشيسكو فرانكو سانشت.
- 10) المواركة واللغة للدكتور عزيز ناصر فتحي الدين
- 11) صور من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر للدكتور ناصر الدين سعیدوني.

المعالس الأدبية في الأندلس

للدكتور عبد الله بن علي بن شعفان

ط 1 - 1415 / 1994

(224 ص) الرياض

يحتوي هذا الكتاب على ثلاثة فصول بدأها المؤلف (بمدخل) أشار فيه إلى بعض الآراء حول أدبية أهل الأندلس، خاصة أولئك الذين فتحوا مجالسهم ويلاظاتهم لتكون مصدراً لنور مشع في سماء الفكر في تلك البلاد. أما فصول الكتاب فقد كانت على النحو الآتي :

الفصل الأول : وهو بعنوان (المجالس الأدبية في الأندلس) : نظرة تاريخية أدبية من خلال استقراء بعض المصادر والمراجع)، بدأه المؤلف بالتعريف بالمجالس ، ثم تَنَّى بالمجالس الأدبية في الأندلس وثقافة أصحابها، وقد تطرق في هذه الجزئية للمجالس الأدبية منذ الفتح حتى غلبة غرناطة، ولم ينس الحديث عن المجالس الأدبية الخاصة.

الفصل الثاني : وهو بعنوان (النشاط الأدبي في المجالس الأدبية). وقد بدأ هذا الفصل (بدخل) تطرق فيه البعض الآخر، التي تهدى للحديث عن النشاط الأدبي داخل المجالس، ثم تحدث عن تعدد النشاطات بتعدد المجالس.

الفصل الثالث : وهو بعنوان (العلاقات داخل المجالس)، وقد بدأ هذا الفصل أيضاً به :

- مدخل، أوضح فيه أن هناك مجموعة علاقات تربط بين صاحب المجلس ورواد مجلسه.
- ثم تلا (المدخل) حديث تناول فيه صوراً من العلاقات داخل المجالس، وأخير سجل الخاتمة التي أبدى فيها بعض الأمور التي لها علاقة بموضوع هذا الكتاب.



ello siga así para bien de la cooperación bilateral.

Nuestras relaciones culturales con España y con Turquía necesitan más intensificación y más diversificación.

Con España, tenemos un patrimonio civilizacional común y la cuarta parte de la población tunecina tiene sangre andalusí, es decir española. Además, muchas ciudades tunecinas siguen conservando costumbres y tradiciones andaluzas ancestrales por ello creemos que el reforzamiento de nuestros relaciones tendrá inevitablemente repercusiones en el ámbito económico ya que abrirá a ambos países posibilidades de cooperación que tanto Túnez como España tienden a consolidar y diversificar.

Con Turquía, tenemos relaciones que nadie puede ignorar, relaciones pretéritas que al credo e historia comunes se refieren y presentes a nivel socioeconómico. En efecto hay grupos sociales tunecinos que siguen orgullosos por su descendencia turca y por los valores y virtudes que ésta representa.

Por esto, la consolidación de las relaciones culturales bilaterales impactará en la cooperación económica turco tunecina y en esto, nuestro patrimonio cultural común puede ponerse al servicio de este punto nevrálgico en las relaciones internacionales, aprovechando en ello la cercanía psicológica que existe entre los dos pueblos.

EL CEROMDI de Zaguán a pesar de sus múltiples actividades académicas y la Revista de Estudios Andalusíes, pese a su labor científica, no bastan para consolidar estas relaciones culturales entre dos grandes naciones como España y Turquía que gobernaron en el pasado el destino del mundo durante siglos. Otras partes deben intervenir para que estas relaciones alcancen el nivel al que aspiran los universitarios e intelectuales tunecinos, españoles y turcos.

La dura labor investigadora incumbe a los eruditos para que realicen estudios objetivos conforme a los métodos científicos más modernos. A las autoridades y a los que tienen el poder de decisión les incumbe brindarles las posibilidades de cooperación y de encuentro sea en Túnez, sea en España o en Turquía para que puedan intercambiar sus experiencias, discutir los resultados de su investigación y publicarlos.

Sin congresos científicos que se celebran aquí y allá ,sin publicaciones en revistas científicas especializadas, será difícil consolidar el aspecto cultural y por ende, el aspecto económico de nuestras relaciones al que todos aspiramos.

Jomâa Chikha
Director de la Revista

Presentación

Siete años después...

Con el advenimiento del año 1995, nuestra revista ya cumple siete años de existencia. La cifra siete, como es sabido, es una cifra sagrada ; es símbolo del bien y de la prosperidad, del optimismo y de la esperanza.

Aunque nuestra revista ha superado la edad infantil, todavía no ha llegado a la del juicio. Por lo que aún necesita el apoyo y respaldo de la gente bien intencionada.

Es-cierto que el barco de los estudios andalusíes puede atravesar, de vez en cuando, alguna tormenta. y el barco zozobra pero no se hunde, porque tiene remos fuertes que pronto lo sacan a flote y lo empujan a seguir su travesía, sereno y con la fe de siempre.

Dichos remos son las plumas de los críticos, de los profesores investigadores tunecinos, magrebies; árabes y extranjeros que, con su ciencia, cubren las páginas de la " Revista de Estudios Andalusíes".

Aquellos, sean de Túnez o de Egipto, de Marruecos o de Irak, de la Arabia Saudí o de Siria, de Turquía o de España, tienen confianza en la revista y en su perennidad al servicio de la investigación científica en general y de la investigación del patrimonio hispanoárabe en particular. Con su respaldo, la revista puede resistir a los tormentas y seguir luchando en nombre de "la igualdad de las revistas científicas en cuanto a su mativación moral y material"

De aquí en adelante, nuestra lucha consistirá en establecer puentes culturales entre Túnez y los países mediterráneos del norte. Si dichos puentes son ya fuertes con algunos de estos países, con otros necesitan cada vez más apoyo e intensificación.

En efecto, nuestras relaciones culturales con Francia son y seguirán siendo excelentes. No cabe duda de que el factor lingüístico desempeña un papel importante en dichas relaciones. El francés es la segunda lengua en el país; es un instrumento de abertura cultural con el cual intentamos seguir el progreso y aportarle nuestra contribución.

Nuestras relaciones culturales con Italia son un hecho concreto. Aunque el uso del italiano queda limitado en nuestro país, ello no impide la multiplicación de las actividades culturales bilaterales.

Por otra parte, los medios de comunicación audiovisuales han reforzado el flujo y reflujo cultural entre nuestros países. Esperamos que

SOMMAIRE



* * * *

* Jomâa Cheikha : Préface: Sept ans après... (en Arabe à droite et en Espagnole à gauche)	3
* Taoufik Baccar (Tunis): Dialectique du pareil et du contraire dans l'Epitre d'Ibn Šuhayd: al-Tawâbi waz-Zawâbi (2 ^e partie, en Arabe à droite)	5
* Ismat Dandach Benchérifa (Maroc): Aspects de la vie sociale en Espagne Musulmane: les rites funéraires (en Arabe à droite)	20
* Mustapha al-Ghdiri (Maroc): Les "Muwaššah" Andalous: Tradition et novation (en Arabe à droite)	37
* Hayât Gara (Maroc): Epîtres inédites d'Ibn Abi-al Ḫisâl (en Arabe à droite)	55
* Mikel de Epalza (Espagne) - Hassine Yacoubi (Tunis): Etude sur le ribat islamique sa spiritualité militaire et ses traces archéologiques et toponomiques en Espagne (en arabe à droite)	69
* Sahar Assayyed Abdelaziz Salem (Egypte): Ateliers des costumes d'apparat (chamarrure) à l'époque omeyyade en Espagne Musulmane (en Arabe à droite)	87
* Recueil de poèmes andalous (en Arabe):	96
- Mohammad Sabir (Tunis),	
- Muhibbin Khraef (Tunis),	
- Miqdad Rahim (Iraq),	
- Yahya Kamal Bayatli (Turquie)	
* Bibliothèque Andalouse : présentation d'ouvrage parus 1994.	105



Revue d'Etudes Andalouses



Tunis